

في أحلام المرء، ينسي أنه ضيقًا على هذه الدنيا



رقصة الكاهنة

جين رن شون

ترجمة: منال حامد



قصص قصيرة مترجمة



رقصة الكاهنة

رقصة الكاهنة
تأليف: جين رن شون

ترجمة: منال حامد
تحرير: إيزيس عاشور

الطبعة الأولى: 2017
رقم الإيداع: 2017/1765
الترقيم الدولي: 9789773193225

الغلاف: محمد حافظ

© جميع الحقوق محفوظة للناس

60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg



Monk Dance by Jin Ren Shun

僧金仁顺

جين رن شون

رقصة الكاهنة

قصص قصيرة من الصين

ترجمة: منال حامد



@ China Translation and Publishing House

بطاقة فهرسة

شون ، جين رن

رقصة الكاهنة: مجموعة قصصية من الأدب الصيني / تأليف: جين رن شون، ترجمة: منال حامد.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017.

ص؛ سم.

1- القصص الصينية

أ- حامد، منال (مترجم)

ب- العنوان 895.3

أسطورة "جاو لي"



اعتاد الملك "شيان زونج" أن ينصت إلى نغمات الموسيقى المنبعثة من آلة الـ "جيا يه" الشبيهة بآلة القانون ويحتسي الشاي وهو جالس في الركن الموسيقي في فترة العصر. تعلمت الملكة "شي لان" العزف على تلك الآلة حينما كانت صغيرة في السن، حينما تلقت تدريباً موسيقياً من أستاذ وعازف بارع يحيا حياة عزلة. وحينما اختيرت لكي تكون قرينة الإمبراطور حملت معها حقيبتها المطرزة ذات اللون الأزرق المائل للرمادي، وثبتتها بخيط حريري لونه أزرق حالك يتدلى منها ويرفرف في الهواء. بدا مثل نهير أزرق صغير. لم تكن "شي لان" على قدرٍ بالغ من الجمال ولكن إجادتها العزف أكسبتها سحراً خاصاً.

توقف الملك أمامها وقال بهرح:

- هل حملكِ لحقيبة مطرزة يعني أنك تخططين لشيء ما؟

اختلجت شفتها قليلاً واحمرت وجنتاها وحركت رأسها، فظهر عنقها الأبيض الناعم الذي بدا مثل قطعة من جذور زهرة اللوتس النضرة. اتجه الملك بدوره ناحيتها وأومأ إلى الحارس الواقف بجواره. وفي تلك الليلة وبعد أن تحممت "شي لان" وتعطرت، تم إرسالها إلى غرفة النوم الخاصة بالملك ومعها آلة "جيا يه". عزفت لاحقاً شجياً على الآلة الوترية للملك.

صاح الملك الذي كان يعرف جيداً ألحان البلاط الملكي مثل موسيقي "الحياة الممتدة"
و"المخلوق السماوي الذي اصطحب معه خمسة من الخراف":
- ما هذا؟!

شعر الملك بالصدمة، وربما الدهشة، من طرافة وحداثة ما تعزفه "شي لان" من ألحان
وأضاف قائلاً:

- فقط نفحات النسيم في صباح ربيعي وضوء القمر في إحدى الليالي الخريفية يمكن
مقارنتهما مع هذا اللحن.

فأجابت "شي لان" قائلة:

- إنها "آلي لانج"، وهي أغنية حب فلكورية.

بعد برهة، نظرت للملك، وبعد لحظة تردد شرعت في الغناء ببطء وبنعومة وأبقت يديها
تتحرك على حافة ألتها الموسيقية.

"آلي لانج، آلي لانج، آلي يو، حبي عبر تل آلي لانج. هجرتني وتركتني يا حبي وسوف تشعر
بألم في قدميك قبل أن تسافر بعيداً لخمسة كيلومترات. آلي لانج أمامنا بتلال متموجة، لكم
بعدت كثيراً؟ الطريق المتعرج لا نهاية له وقلبي بائس ودموعي المنهمرة بردت".

ذاب الملك في اللحن وحملق في العازفة، التي شعرت بالرعب من نظرتة ووجهه الذي تحول
للون الأبيض وبدا شاحباً مثل ورقة ذابلة. وبعد وقت طويل، تنفس الصعداء وابتسم قائلاً: "مثل
تلك النغمات لا بد وأن تُعزف في صالة عزف". وبعدها ببضعة أشهر لاحقة صمم بيتاً موسيقياً
في القصر الداخلي.

شُيّد البيت أو الركن الموسيقي المُسمى بـ"الصوت الطليق" الواقع على
ضفاف بحيرة اللوتس قرب بستان البامبو الذي لا يبعد كثيراً عن غرفة نوم "شي
لان". صُمم البيت على يد حرفيين وعازفين موسيقيين وبُنِيَ بأفضل أخشاب

الصندل كما غُلِّف السطح ببلاط أخضر لامع مزود بفتحات للتهوية وأجراس هوائية من السيراميك المخلوط باليشب والملتدي على شكل طبول من حواف سداسية الشكل. ومما أضيف مزيدًا من الجمال على هذا المعمار هو النهر الصغير الذي عبر تلك المنطقة ليصب في بحيرة اللوتس وتتدفق مياهه فيها.

وضعت "شي لان" منصتها على ضفاف النهر الصغير كي تتناغم ألحانها المنبعثة من آلاتها الموسيقية مع خرير المياه مما يثري الصوت المنبعث منهما. واستقر الملك على ضفاف النهر على بساطٍ مزين برسوم جميلة وانتظر قدوم الحارسين من بيت الشاي وهم يغلون الماء الذي جلبوه من ماء النهر لإعداد الشاي للملك الذي أطرق مفكرًا: "إنها امرأة في الأربعين من عمرها على أي حال"، متخيلًا هيئة عشيقته "شي لان" في المرأة الواقفة أمامه. إن كان هو نفسه قد بلغ الأربعين من عمره و"شي لان" - التي بدت صغيرة كلما تقدمت في العمر - كانت أول من تصدمه بواقع فناء كل البشر وأنه حتى برغم كونه واحدًا من ضمن خلفاء الله الخمسة والموكل إليهم إجراء المهام المقدسة للحكم، لا يسعه أن يفر من مصير الفناء. وفي كل ليلة كانت تُرسل "شي لان" إلى غرفة نومه وترتدي الثياب الحريرية، وبمجرد أن يتعري جسدها، تبدو بشرتها أكثر نعومة من الثياب الحريرية نفسها. كانت تمثّل بالنسبة للملك رمزًا للشباب. اعتاد الملك أن يؤلف الأشعار تيمناً بها، مستخدمًا فرشاة للكتابة وأحيانًا بإصبعه فقط، وأبياتها كالتالي: "اجلسي في صمت حينما يتصاعد العطر الرقيق من شاي لم يكتمل بعد، قدميه لي في الوقت المحدد بسرور يملؤنا وسط براعم الزهر قرب المياه المتدفقة". اعتاد أن يتغنى بأبياته العاطفية برقة لتصل إلى مسامع "شي لان" مع كتاباته، والتي كانت من فرط خجلها تدفن رأسها في خصلات شعرها الطويلة وبعدها اعتاد أن يديرها إليه، ويقرّبها منه على سرير، ويقيم معها علاقة حميمة طوال الليل مرة تلو الأخرى. وتتناثر خصلات شعرها الطويل وتتطاير عبر ملاءات السرير بفعل قبضته القوية. لم

تعد تستطيع أن تخفي حمرة خجلها. وتحاول عبثاً بخصلة من خصلات شعرها بداخل فمها أن توقف الصوت الكامن بداخلها الذي تسبب في إخافتها.

وبعد أن تنتهي تلك المشاعر المشتعلة، اعتاد الملك أن يمسك بخصلات شعر "شي لان" الجميلة بيد ويداعب جسدها بلطف باليد الأخرى، ويتمتم قائلاً: "أنت آلة الـ"جيا يه" الخاصة بي، أنت أغنية حبي". كانت الدموع تغمر وجه "شي لان" وجسدها يرتعش من فرط تلك السعادة، وبعدها بعامين حينما ماتت الملكة "يو لين" راقدة على سريرها بالمرض، ترقى "شي لان" من سرية وعشيقه للملك إلى ملكة ونالت مكانة الملكة "يو لين" واثرة لقبها ومكانتها تمامًا مثلما يرث المرء رداءً حريريًا ينم عن الثروة والسلطة.

وبعد احتفال التتويج، بدت كل سمات الرقة والرفعة للملكة "يو لين" على الملكة "شي لان" والتي لم تزل في العشرين من عمرها. ومع ذلك وفي الوقت الذي بدا فيه كل شيء ناجحاً بالنسبة إليها فإن عاطفة الملك تجاه جسدها الصغير تكاد تنعدم ولم يعد لها أي أثر. لم يعد يستدعيها لغرفة نومه منذ ذلك الوقت. وبالطبع لم يفتقر الملك للحيل لإبداء أو التعبير عن عواطفه خاصة وهو محاط بخادמות صغيرات من ذوات البشرة الناعمة التي تشبه ملمس الزهور في رقتها وخاصة الورود التي تحيط بالقصر في الحديقة.

أبقي الملك على عاداته في احتساء الشاي والإنصات إلى الملكة "شي لان" وهي تعزف على آلة الـ"جيا يه" في الركن المخصص للعزف "الصوت الطليق" وحاولت "شي لان" أيضاً جاهدة أن تستعيد حبه عبر ارتداء ملابس كاشفة ووضع مساحيق تجميل فاتنة تجعل الحراس مهووسين بها في القصر. ومع هذا برغم اهتمام الملك بجرأتها وترقبه لجهودها، فلم يبدو أن مكانتها كملكة راقت له أو أحدثت أي فارق لدرجة أنه فقد أي اهتمام بها. واعتقد في نفسه: "هناك خطأ ما" وهو يبعد يديه عنها بابتسامة مفتعلة كانت بالنسبة لها كالنهر الصغير الذي فرقهما عن بعضهما البعض.

أمَّا الملك وقد جلس قرب النهر الصغير فلم تعد تهمة الألحان التي تعزفها الملكة "شي لان" على آلة الـ"جيا يه"، وبالفعل بدا عدم اكترائه يزيد من ألمها ويزيد من شهيتها للطعام حتي زاد وزنها وفقدت عيونها بريقها الآخاذ، وصار احتشامها مثل القناع الذي لا يمكن خلعه. توقفت خطي الأقدام المسرعة للعديد من النساء اللاتي يرتدين التنانير المفصلة من أفضل أنواع الأقمشة الصيفية قرب بوابة بيت الموسيقي حيثما أعلن الحارس جاثيًا على ركبتيه بصوت عالٍ: "تهانينا للملك لقدوم أميرته".

بالكاد توقفت الملكة "شي لان" عن العزف حينما نهض الملك فجأة ونظر إليها بشكل غريب وقال:

- هل وصلت بسلام؟

انبعثت أصوات خفية وضحكات من الخارج. قال الحارس بعد أن سمع ما قالت له خادومات القصر:

- وُلدت الأميرة بابتسامة على وجهها.

على إثر تلك العبارة، خرج الملك من البوابة ووقف بجسده الذي تقدم به السن في ضوء الشمس وقال متسائلًا بابتسامة واضحة على وجهه:

- فتاة وُلدت بابتسامة؟

تبعته "شي لان" وهي تمشي بتثاقل بسبب وزنها وقالت بخوف:

- فتاة مولودة حديثًا مبتسمة بدلًا من أن تبكي إنه لفأل سيء.

اغتاظ الملك من كلامها، وأجاب:

- كلامكِ صار غريبًا جدًّا منذ أن استدعيت رجال الدين الطاويين الصينيين لإجراء مراسيم الصلاة.

- ولكن...

- لا تنسِ أصلك.

لوح الملك بيديه، وبدت نفحة الهواء الآتية من كمه مثل ضربة توقف الكلمات التي كانت على وشك التفوه بها.

ردت الملكة "شي لان" بصوت خفيض جدًا:

- عذرًا.

حنت رأسها وأنزلت كتفها.

استأنف الملك السير ولم تتبعه الملكة "شي لان" إلا بعد أن سار ستة خطوات.

لم تكن الخادومات كاذبات فقد كانت الطفلة الرضيعة التي أمسكت بها الخادمة المسنة تبسم ابتسامة جميلة جدًا وعلى وجهها الصغير غمّازتين وعيونها الداكنة اللون التي ومضت بشكل لامع. سُرَّ الملك "شيان زونج" من رزقه بأميرة صغيرة من عشيقته "لي" أكثر من فرحه عندما أنجبت له "لي" صبيًا منذ عامين مضيا. كان لديه تسعة عشر أميرًا وأميرتين توأم فقط ولكنهما توفيتا بمرضٍ وراثي بعد شهر من ولادتهما.

قال الملك وهو يحملق في الطفلة لبعض الوقت:

- لأنها تحب الابتسامة فسوف أسميها الأميرة "تسانج له".

اقترب من سرير "لي" ومد يديه لوجهها شديد الشحوب الذي بدا كالورقة الذابلة وقال:

- فلترتاحي جيدًا.

وجهت "لي" وجهها لجانب الوسادة الآخر كي لا يمسه الملك وقالت:

- أنا ملوثة بالدماء ولا يجب أن ألوث جسد الملك المقدس.

وعلى إثر تلك الكلمات سحب الملك يديه ونظر للطفلة الرضيعة حينما كانت الملكة "شي لان" تطل على السرير بجسدها المكتنز.

عانت "لي" جاهدة كي تجلس وقالت:

- مرحبًا بالملكة...

بينما رمقتها الملكة ببرود ودون أن تتفوه بأي كلمة.

وما الذي عساه أن تقوم به "لي" عدا المزيد من المعاناة! ولكنها كانت دومًا هشة الجسد والآن زاد ألمها وتعبها بسبب الولادة وفشلت في النهوض.

قال الملك:

- فلترقدي في السرير.

ثم خرج وهو يلقي بنظرة ساخرة على "شي لان".

ابيض وجه "شي لان" وشعرت أنها على وشك الاختناق في تلك الغرفة والتي بدت مليئة برائحة الدماء. وعند رؤيتها لـ "لي" وهي مرتدية رداء حريري حتى وسطها قالت بهدوء وهي تتصنع الابتسامة:

- ابنة الراقصة لن تضيع الفرص لتغري الملك.

ردت "لي" بابتسامة عذبة:

- ما الذي تصلح له المحظية عدا أن تمّتع الملك؟

نشأت ابنة الراقصة في الأكاديمية الإمبراطورية. وفي إحدى الأيام عندما بلغت السابعة عشرة من العمر، ربطت نفسها بحبال الأرجوحة لتتمرن على الرقص وشاهدها الملك "شيان زونج" والذي كان عائدًا للتو من بلاطه الملكي في عربته. واعتقد بالخطأ أنه طائر الأقروس العرعي يطير إلى الأعلى والأسفل

وسط الأشجار، وسأل الملك الحارس بجانبه ما إذا كان يستطيع أن يرى جيدًا ورد عليه الحارس بتردد:

- يبدو أنها امرأة تطير هناك.

ازداد فضول الملك وأوصلته عربته إلى خلف الأكاديمية. وبدأت "ساداكو" - المخيل بأنها "طائر الأقروس العرعرى" - في التدريب على الرقص بدافع حبها للرقص نفسه أكثر من رغبتها في الرقص للملك. وحينما أتى "شيان زونج" إلى ساحة البلاط كانت الفتاة قد تركت الأرجوحة وبدأت واقفة على حبل رفيع، عارية القدمين ويديها مرفوعتين إلى الأعلى فوق رأسها وهي تقوم بحركات مختلفة. بالنسبة للملك، بدت يديها مثل طائرين ذو لون أبيض وصغيرين يمكنهما أن يطيرا بعيدًا في أي وقت.

ولكي تكون الفتاة لائقة لرفقة الإمبراطور، أعطى الملك "شيان زونج" والدها الراقص لقبًا كي تتأهل كمحظية. وكانت هي المرأة الوحيدة التي رفع الملك "شيان زونج" من مكانتها وهو في سن الثالثة والستين. كانت بشرتها الرقيقة شيء مختلف تمامًا عن الجسد البشري، وجسدها بدا في ليونته أشبه بعنقود من الصفصاف ونبات القابوق، وقد صارت محل ثقة للملك "شيان زونج" تمامًا. لأنه حتى بعد أن أنجبت صبيًا كانت ما تزال تستطيع أن تؤدي رقصة كاملة في جلسة واحدة.

فيما بعد تم منحها لقب المحظية "لي".

اتضح ازدياد نفور الملكة "شي لان" من هذا اللقب التافه في القصر واعتُبرت غيرتها بأنها لا شيء سوى غيرة سيدة عجوز. وفزعته عندما فوجئت بأنها غير مسموح لها التدخل في أي شيء حيث أنها تحمل مجرد لقب ملكة شرفي.

قالت في إحدى المرات مخاطبة اثنين من محظيات الملك المقربين إليها وهي تترنح من السكر في حفل القمر:

- إنه خداع واضح بأن تجعلها نموذجًا للمرأة يحتذى به في البلاد.
انتقل قولها إلى أسمع الملك في تلك الليلة. ومع هذا فقد بدا متسامحًا تمامًا، وكل ما قاله وهو يمسك بأيدي "لي":
- النساء يملن لكثرة الانتقاد كلما كبرن في العمر.
وعند سماع ذلك، سحبت "لي" يديها من أيدي الملك التي تحتفظ عليها كالقفص مثل السحر ومشطت شعرها الداكن بأصابعها البيضاء النحيلة وأجابت بابتسامة على وجهها وقالت:
- الملكة تريد أن تكون المفضلة.
ابتسم "شيان زونج" قائلاً:
- إنها كالديولاب، ضخمة كفاية لأجلس بداخلها.
أجابته "لي" وهي تبتسم بدورها:
- آه! حقًا؟
مد الملك ذراعيه وشمر أكمامه ليظهر ساعديه عليهما بقع بنية حالكة تبدو مثل زهرة الكركديه، ثم قال متنهّدًا:
- أنا رجل مسن.
ردت عليه "لي" معترضة وقالت:
- لست مستأ لتلك الدرجة! ما زلت تستطيع أن ترفعني بذراع واحدة، ولنجرب ذلك إن لم يكن الأمر يمثل مشكلة لك.
وبهذه الإجابة خلعت فردي حذاثها وأمسكت بواحدة منهما في كل يد.
رد عليها الملك قائلاً:

- أتعنين أنك تريد سماع صوت عظامي العجوزة وهي تتحطم؟

ومع هذا، لم يسحب الملك "شيان زونج" ذراعيه.

أخرجت المحظية "لي" زفرة عميقة وكتمتها. ووضعت إحدى قدميها على ذراع الملك والأخرى على ذراعه الثانية، ثم قامت بعدة حركات، وقفزت مرتين كذلك قبل أن تقفز على الأرض وتخرج نفسها الذي كانت قد كتتمته بشكل غير ملحوظ تقريبًا.

ضحك الملك وقال لها:

- لا بد أنك كنتِ فراشة في حياتك السابقة.

في الصباح التالي أتت خادמות الملكة "شي لان" وهن ينتظرنها في حمامها وسردن عليها وصفاً مفصلاً جدًا لما حدث في غرفة نوم الملك. وحينما فرغن من الحكي، قالت الملكة "شي لان" بتأمل:

- ترى ما الذي تريده تلك المرأة الوضيعة بحق الجحيم؟

ماتت الأميرة "تسانج له" ميتة شنيعة حينما كان عمرها خمسة أشهر فقط. ذهب الملك للمشهد ورأى عنقها المكسور. كان رأسها مائلًا قليلًا، لكن غمَّازاتها لا يزالا يعطيان الناظر لها بأنها ستبتسم في أي لحظة. ألقى الطبيب الإمبراطوري مجرد نظرة على الجسد الظاهر من خلف الملك وهمس إليه قائلاً:

- قُتلت الأميرة على يد سيدة.

ودون التفوة بكلمة أخرى أحني الملك "شيان زونج" رأسه ليمسح الابتسامة من على وجه الطفلة، لكن حينما لمست أطراف أصابعه جلدها الناعم، ارتعد من فرط البرودة المنبعثة منه. جرت "لي" وشعرها الطويل يطير خلفها والماء يتساقط من أطرافه تاركًا علامات مائية على الأرض. بدت معالم جسدها من وراء رداء الحمام الذي كانت

ترتيبه واضحة للعيان، وهو مشهد أجبر الأطباء الملكيين والحراس على الإشاحة بنظرهم إلى الأسفل وأوقفها الملك قائلاً:

- لا يجدر بك النظر.

لأنه بالرغم من كبر سنه وبصره الضعيف، استطاع أن يري النار مشتعلة في عيون هذه المرأة المبتلة.

لم تدفع "لي" يديه جانباً؛ لأنها شاهدت بوضوح ابتها "تسانج له" الصغيرة خلفه. لم يُسمع أي صوت في القصر الفسيح باستثناء صوت قطرات المياه التي تساقطت من أطراف خصلات شعرها على الأرضية.

قالت "لي" متسائلة وهي تنظر نحو الملك:

- كيف حدث ذلك؟

التعبير البادي على وجهها لم يكن أشبه بالبكاء ولا بالابتسامة. أمسكت يديه بقوة مما أخافه. وفجأة تركت يديه وصار جسدها أقصر وأقصر في عيونه حتى انحني جسدها بالكامل عند قدميه. أمال الملك "شيان زونج" رأسه على جسد "لي"، ورأى في ثنايا شعرها المبلول نجمتين خافتين تلمعان على وجهها الأبيض.

أدرك الملك "شيان زونج" أن بصره صار ضعيفاً تماماً.

كانت جنازة الأميرة "تسانج له" أكثر إبهاراً من حفل تتويج الملكة "شي لان". بقيت السيدتان الأهم بالنسبة للملك صامتين ومحتشمتين أثناء عزف الموسيقى الحزينة. أما المحظية "لي"، التي كانت دوماً ضعيفة الجسد ونحيلة، فقد بدت وكأن أي نسمة ريح يمكن أن تطيح بها بعيداً. أمّا الملكة "شي لان" التي ارتدت الزي الملكي فقد بدا وزنها أثقل من ذي قبل. أدركت محظيات الملك وخادمات القصر والحراس فجأة أن كرامة الملكة "شي لان" لا يمكن إهانتها، ومن الآن فصاعداً قد يتسلل الخوف إليهم في ظل وجودها، وقد ترتعش أيديهم

حينما يمرون أمامها. شعرت "شي لان" ببرودة شخصيتها يومًا بعد يوم وأصبحت تلك البرودة القارسة في داخلها غير متوافقة مع فصل الصيف في ذلك الوقت. ظل الملك "شيان زونج" يذهب إلى بيت الموسيقي ليستمع إلى الآلات الموسيقية في وقت العصر، كما لو أن شيئًا لم يتغير. ومع هذا فإن الملكة "شي لان" التي اختلج قلبها واضطرب عقلها أصبحت تعزف على الأوتار دون أي تناغم، وبدت يديها مثل زوجين من العناكب البيضاء في نظر الملك الضعيف. لم يتبادلا أي كلمات بينهما باستثناء الصوت المنبعث من آلة الـ"جيا يه".

شرعت "لي" في قطف كل زهور الحديقة في المقر المخصص لمحظيات الملك بعد موت الأميرة "تسانج له". وبدلًا من قطف الزهور تمامًا فقد تركتها تتدلي من سيقانها. وحينما تشني ساق إحدى الزهور، فإنها تركها تتدلي وتلتفت إلى خادمتها متسائلة:

- هل ماتت مثل تلك الزهرة؟

في المرة الأولى التي طرحت فيها هذا السؤال على الخادمة لم تجرؤ الخادمة على الإجابة. ولكن ما سببته بالزهور من جرح على وجه الخادمة علمها - ليس هي فقط بل كل خادמות القصر الأخريات - أن تجيب بـ"نعم" على أسئلتها. هذه هي المرة الوحيدة التي فقدت فيها أعصابها، لكنها كانت أغلب الوقت رزينة ورفيقة. بدت الطريقة التي ثنت بها الزهور لبقة وحافلة بذكرى براءة الطفلة الصغيرة. حينما وخزها شوك الزهور، تلطخت أيديها بالدم المسال وصارت أصابعها متورمة مثل الجزر، فدعت الحاجة فيما بعد بأن يطعمها أحد.

في المرة الأخيرة ذهبت إلى بحيرة اللوتس قرب بيت الموسيقي. وبينما كان أحد الحراس يجدف بالقارب في البحيرة، جلست وحيدة عند مقدمة القارب، وأخذت تشني كل سيقان زهر اللوتس على الرغم من أن يديها لم تعد تستطيع أن تتحكم تمامًا فيما تقوم به من تشني السيقان نظرًا لانتفاخهما.

في عصر ذاك اليوم، عزفت الملكة "شي لان" لحن الـ"آلي لانج" وأسر عزفها المجدد الملك تمامًا لفترة طويلة وصارت يديه معلقتين في الهواء، حيث ظل حاملاً كوب الشاي. ومع ذلك لم يعد يعتبر اللحن شيئاً تطرب له الأذن فقد تغير كل شيء مع الأداء. بقيت الملكة "شي لان" صامتة لبعض الوقت بعد أن أنهت العزف الموسيقي، وبعدها قالت بنبرة هادئة:

- لو عاد الزمن للوراء لكنك اخترت أن أكون زوجتك مرة أخرى بدلاً من أن أكون ملكة.

أجاب عليها الملك والحزن قد ملأ نفسه:

- أنا كبرت جداً على التفكير جيداً في الأمر.

وقبل أن ينصرف الملك وضع يديه على ظهرها وقال:

- في البداية كنت أستطيع أن أكتب بيتين فقط من الشعر، لكن عندما أصبحت قادراً

على كتابة أكثر من بيتين، لم يعد هناك متسع من الوقت.

حينئذ ضحكت الملكة "شي لان"، أولاً بشكل رقيق، وبعدها بشكل لا يمكن السيطرة عليه،

واهتز جسدها بفعل الضحكة وقالت:

- لكم كنت حمقاء لأنني استشرت الكاهن الطاوي المبجل بشأن حيلة للبقاء لشهر واحد

فقط!

كان جسدها يرتعش، لكن ضحكتها توقفت فجأة. وأخذت تعزف على الأوتار بأطراف

أصابعها وقالت للملك:

- هل تأذن لي؟ أريد أن أعزف لحنًا لنفسي. فأنا لم أعزف أي لحن لنفسي من قبل.

بعد دقيقة من التردد سار الملك مبتعداً عنها.

في ذلك العصر خنقت الملكة "شي لان" نفسها بأحد أوتار آلة الـ"جيا يه".

صارت المحظية "لي" الملكة الثالثة للملك. وسرعان ما نجحت في إقناعه بعزل الأمير المتوج وجعل ابنها خليفة على العرش. ومع تحطم كل آماله أراد الأمير المتوج والمعزول أن يغال الملكة "تشن" ولكنه نال فرصة غير متوقعة بإثبات حقيقة الاعتقاد الشعبي المنتشر في القصر بقدرة تلك الملكة على الطيران.

اختبأ الأمير المتوج والمعزول ليلة بأكملها في حديقة زهر الأقحوان وابتلت ثيابه بالكامل. وبعد ذلك لمح الملكة "تشن" البيضاء البشرة وسط الزهور ذي الألوان البراقة بدلاً من أن تحجب الزهور جمال الملكة بألوانها الزاهية فقد بدت الملكة فاتنة لدرجة تجعل الزهور تخجل من جمالها. ولأنها كانت تسير ببطء شديد فقد بدت الملكة "تشن" في وسط الضباب كأنها تبحر لأسفل النهر صوب الأمير المتوج والمعزول. ولم تكد تقطف الملكة زهرة أقحوان من ساقها حتى انقسمت الزهرة إلى اثنتين بحافة السيف الذي كان يمسك به الأمير المتوج سابقاً. حينما وقف وسط شجيرة الزهور ممسكاً بالسيف في يديه، لهت الملكة "تشن" مثلما تخيل وقال:

- لقد أجبرتني على فعل ذلك.

- إنه أنت من لم يدع الأمر يمر بسلام.

وحملت الملكة في وجه الأمير المعزول بعيون ضيقة وهي تشير لنفسها وأكملت:

- أنت أحق مثل تلك البراعم التي تتفتح وتذبل على السيقان نفسها.

صاح الأمير موجهاً سيفه نحوها:

- كيف تجرؤين على إهانتني؟

حبست الملكة "تشن" أنفاسها ودافعت عن نفسها بصدها ضربة السيف وإردادها بالسرعة نفسها التي وجه بها سيفه. حينما انزاح نصل السيف بعيداً،

قفزت مسافة أبعد قليلاً عن الأرض قبل أن تسقط على زهرتين كبيرتين من زهور الأقحوان الصفراء وعلى الأرض من بعدها.

ثبت القاتل في مكانه. صارت عيناه باردتين مثل الطقس الثلجي حيثما يشعر الناس بالبرودة التي تخترق جلودهم من الداخل. وبعد فترة طويلة أرخى قبضته على السيف وتركه يسقط أرضاً وقال:

- أنتِ لستِ بشرًا.

نظرت الملكة "تشن" نحو الأمير المعزول عبر مجموعة من النباتات، وبدا تعبير وجهها غير مفهوم تمامًا وسط الضباب. وفي آخر الأمر قالت مبتسمة:

- أنتِ محق. ولكن على أي حال من الآن فصاعدًا لا يسعك البقاء بالقصر.

وعادت مرة أخرى لحجرة الموسيقى لتجد الملك "شيان زونج" العاجز وقد بدا شعره أشبه بالشعرية الطازجة. أصبح يمضي وقته بشكل متزايد في لعبة جديدة اخترعها وهي الضرب على طبلية تطفو على سطح المياه بمغرفة.

قالت له وهي واقفة على بوابة حجرة الموسيقى:

- حان وقت عقد جلسة البلاط الملكي.

وأجابها الملك دون أن ينظر إليها:

- لماذا لا تقومين بالأمر بدلًا مني؟

أخذ رشفة من الإبريق الموجود بالقرب منه وأكمل قائلاً:

- أنا أعلم أنكِ مهتمة جدًا بشؤون البلاط الملكي.

صمتت الملكة "تشن" لبرهة وبعدها قالت:

- أراد الأمير المتوج والمعزول أن يقتلني في حديقة زهور الأقحوان.

أجابها الملك وهو يضع الإبريق جانبًا:

- حقًا! يا له من صبي أحمق.

وأمسك الملك المغرفة بيديه ليعزف بها وأصدر أصواتًا مثل أغصان اليايسة وهي تضرب

على سطح الأشياء المحيطة بها وقال لها:

- ألا تريدان تجربة العزف؟ دائمًا ما تتمتعين بحسك الإيقاعي الجيد.

بقيت الملكة "تشن" بلا حراك.

ابتسم الملك "شيان زونج" وقال:

- لقد نسيْتُ يديكِ. فقد كانتا مليئتين بالحيوية سابقًا، ولكنهما تبعتا موت الأميرة "تسانج

له".

بدأت أكتافها ترتعش.

واصل الملك كلامه قائلاً:

- من السيئ تمامًا أن يديكِ الميتين لا تسعهما إحياء ذكريات معينة للملك. علينا أن نجد

طريقة لحل هذا الأمر.

أدخل الملك "شيان زونج" يديه في ثنايا خصلات شعره البيضاء وهرش رأسه. وبعدها أدار

وجهه المليء بالتجاعيد نحو "تشن" وابتسم قائلاً:

- أذكر أنك تجهلين القراءة والكتابة. فابنة الراقصة لا يمكنها قراءة كلمة واحدة.

عاودت الملكة "تشن" الابتسامة مرة أخرى ونظرت صوب الملك بعد وقت طويل هما

يكفي كي تزهر زهرة. وسألته قائلة:

- منذ متى لم تعد تحبني؟

- منذ أن صرّيت الملكة "تشن".

أصبح وجهه المليء بالتجاعيد مشدودًا وعاود العزف مرة أخرى على طبلته وأضاف قائلاً:

- إن أفضل وسيلة للتخلص من المرأة التي أكرهها هو أن أنصبها ملكة كي تصير رمزًا للنساء اللاتي لم يعدن من المفضلات. هناك دومًا العديد من الملكات والمحظيات في القصر، لكنني لا أحب سوي امرأة واحدة.

سمع الملك غمغمة آتية من المرأة الواقفة خلفه متبوعًا بكلمات قيلت بصوت منخفض. كانت كلماتها ذات إيقاع، فأخذ يفكر حتى عندما كانت تصدر هذا الكلام.

- يبدو أنهم محقون. لقد أصبحت فعلاً رجلاً مسنًا ومشوش العقل.

عند وفاة الملك "شيان زونج"، خلفه "جينج زونج" على العرش وهو ما يزال صغيرًا جدًا في السن حيث توج من خلال شاشة حريرية مطرزة برسوم لثلاث آلاف من أسر سلالة "جاو لي" الحاكمة بقرية "جيانج شان". وخلف تلك الشاشة الحريرية جلست الملكة "تشن" لتدير شؤون الدولة.

وفقًا للسجلات التاريخية فإن الملكة "تشن" ارتكبت أمرين عدوانيين. الأول هو قتل العديد من مئات الأطباء لفشلهم في علاج يديها، وهو ما نتج عنه ارتفاع حاد في تعداد الموتى في البلاد. وبدا الأطباء عاجزين حيال يديها المعتلتين ولم يستطيعوا أن يتتبعوا أسباب علتها تلك. الأمر الآخر الذي ارتكبته هو أنها عرضت "جينج زونج" لتدريب قاس في تعلم فن الخط منذ سن الثامنة عندما توج، كما أجبر على دراسة فن الكتابة على يد معلمين ملكيين أثناء النهار وعكف ليلاً على تدوين ما تمليه عليه أمه كي يعقب ويصحح العشرات من التذكارات الملكية. واستنتج انطباعه الوحيد عن أمه من تلك العشرات من العبارات التي كانت تستخدمها كي تصدر أوامرها. ومن بين ملوك أسرة "جاو لي" لا يعد "جينج زونج" بارزًا في حكم البلاد ولكنه كان جديرًا بالاحترام وكان يذكر بحسن خطه.

وحينما وصلت الملكة "تشن" إلى منتصف العمر، أصلحت من الأزياء الاحتفالية للمحظيات الملكية واستبدلت الأساور الضيقة التي تناسب المعصمين جيداً بزوجين من الأكمام الفضفاضة والطويلة والتي تبدو أنها غيرت من طول الأذرع وكأن ذلك حدث بفعل السحر حينما تتمايل تلك الأكمام.

ترددت كلمات مثل: "على أي حال هي ابنة راقصة". كانت تلك الهمسات التي تتردد وسط أركان البلاط الملكي في تعليقاتهم على الزي الجديد الذي ينم على النبيل بالغ الوصف. توفيت الملكة "تشن" أثناء نومها حينما كان "جينج زونج" في الخامسة والعشرين من عمره. وشعر بالصدمة لم رأى أمه في غرفة نومها. كان وجهها ملتوياً كما لو كانت ماتت مخنوقة. وربما حاولت جاهدة أن تبعد اليدين اللتين حاولتا خنقها. لكن لم ترى أي آثار على الذراعين اللتين كشفتنا عنهما من الأكمام الفضفاضة.

يبدو أن كفي الملكة "تشن" قد تم بترهما منذ وقتٍ طويلٍ جداً بخفة، وقد طارا مثل زوجٍ من الطيور.



بان سلي⁽¹⁾



سكوت من فضلكم. الآن سأسرد عليكم قصة.

اشترى والدي أُمي من بيت غناء ورقص. كانت أُمي جميلة جدًا. حينما بلغت الثامنة عشرة من عمرها، كانت جميلة لدرجة جعلت كل رجال المدينة يغمون بها. وكان والدي وسيماً بدوره ومهذباً في سلوكه باعتبار أنه نشأ في أسرة نبيلة، وفي أحد الأيام التي اعتاد فيها أحياناً أن يشرب الخمر، خرج من إحدى الحانات بعد أن أنهى زجاجة كاملة من خمر الأرز، لفت نظره عدة أسماء محفورة على لوحات خشبية معلقة على "بيت العبير المخفي"، فأخبر والدي صاحب محلّ أقمشة الحرير المجاور للبيت وهو يشير للوحة التي تحمل اسم أُمي:

- سأتزوج هذه المرأة.

نظر صاحب المحلّ إلى والدي وقال:

- إذا أردت التقدم بطلب زواج، لا بد أن ترتدي ثياباً ملائمة. لدينا أنواع كثيرة من الحرير

الصيني عالي الجودة، وصل إلينا حديثاً.

(1) - هي مسرحية موسيقية سرديّة مكونة من عازف على طبلّة ومغنية واحدة. تعبّر عن القومية الكورية الصينية. أحياناً ما تحمل تلك الأعمال الكثير من الأسى والحزن، كما تستخدم فيها المراوح للتعبير، مثلاً، عن العواطف وسقوط الثلج أي كل ما لا يمكن التعبير عنه لا بالغناء أو الرقص أو الألبان والصوت البشري.

بعد أربع ساعات من دخول والدي محل القماش، خرج منه وهو يبدو شخصاً آخر تماماً واتجه مباشرة إلى "بيت العبير المخفي"، حيث قضى فيه يوماً وليلة، ثم تزوج من إحدى مغنيات البيت.⁽²⁾

كان والدي يمتلك بيتاً كبيراً ملحقاً به حديقتين وأكثر من عشر غرف. وحسبما أتذكر، تم إخلاء هذه الغرف واحدة تلو الأخرى، ثم تحولت تلك الغرف مخزن تُترك فيه الحقائق الفارغة. اعتدت اللعب والنوم في تلك الغرف. في أحد الأيام كنت نائمة هناك، واستيقظت من أحد أحلامي عندما شعرت بوجود أشخاص في الغرفة. كان هناك رجل غريب يرقد فوق أُمِّي التي تناثرت خصلات شعرها الداكن مثل المياه على البساط الأبيض المنقوش. بعد أن غادر الرجل، بكيت أُمِّي وهي راقدة على هذا البساط لوقتٍ طويل، ثم فجأةً صارت بلا حراك كما لو أن شيئاً ما ثبَّتْها في مكانها، بعدها بلحظة سارت نحو الحقيبة التي كنت نائمة بداخلها ورفعت غطاها ثم مسحت دموعي بطرف أكامها وابتسمت. قالت لي بركة:

- لا تختفِ وسط الحقائق مرة أخرى؛ فهذا لا يليق بابنة رجل نبيل.

حينما كان والدي يشرب الخمر، خرجت الكلمات من فمه كثيرة وسريعة. قال بصوت مرتجف:

- كان بوسعي أن أتزوج امرأة صغيرة السن تحمل لقباً نبيلًا. ربما هم ليسوا من ذوات الجمال الباهر، ولكن ألا تتشابه كل النسوة في القبح؟ لكنني فشلت في فهم معنى ذلك عندما كنت صغيراً، وتزوجت من عاهرة أنجبت بدورها عاهرة أخرى هي أنتِ.

لكن قبل أن يضرب أنفي بإصبعه، كنت قد ابتعدت عنه بمسافة كبرى. كانت رائحته دوماً تفوح بالكحول، وذلك ما يجعل الابتعاد عنه أو العثور عليه أمراً يسيراً.

(2)- مرفهات أو مسليات أشبه ما يكون بفتيات الجيش ولكن في قومية كوريا الصينية ويتعين عليهم أن يجدن الشعر والموسيقى والغناء وفنون الخط.

حينما أُخليت كل الغرف، حبس أبي أمي في إحدى الغرف وسمح بدخول من يجلب له الخمر فقط. في بادئ الأمر، كان يمكن سماع صوت أمي وهي تبكي خارج الغرفة، لكن بالتدريج بدا صوتها وهي تغني مسموعاً من داخل الغرفة طوال اليوم، كما لو كانت أسعد: "بدا الفأس جيداً كما هو، ولكن نصله رفيع. ما زلنا نحتاج المناجل لحصاد سنابل الأرز والشعير. لقد وقع الأخ في غرامي وهو عطوف ورقيق. ولكنه لا يملك الذهب ولا الفضة، ولن تدعني أمي أذهب لمقصورته وأكون زوجته".

وبعدها بوقتٍ لاحق، فتح والدي الباب، لكن أمي أغلقت باب الغرفة على نفسها. أخبر الناس، الذين اعتادوا الذهاب إليها، أبي بأن أمي كانت يصيها الجنون بعدما يخرجون من عندها، على الرغم من أن أبي أنكر الأمر وزعم أنها لم تخرج من الغرفة لأن الحياة خارجها لم ترق لها.

في إحدى الليالي، سمعتُ أحداً ينتحب وشعرت بشخصٍ ما يُملّس علىّ في حلمي. وفي اليوم التالي حينما استيقظت، رأيت سريرًا خشبيًا قد وضع في الحديقة، وأمي ترقد عليه، وقد لفها العديد من النساء بقماش أبيض.

جلس والدي وهو يمسك بإبريق في يده، وقال:

- كان من الممكن أن أحصل على سعرٍ أفضل لهذا البيت. الآن كل شيء دُمر.

أشار إلى أمي وتساءل قائلاً:

- لماذا لا تدعيني وشأني أبداً؟ ها هو حظي الجيد قد تحول لحظٍ سيء بسببك أنتِ أيتها العاهرة.

ثم ألقى بالإبريق صوب أمي، لكنه اصطدم بامرأة أخرى صرخت وكأنها رأت الشيطان. حينما بيع منزلنا، انتقلت أنا وأبي إلى كوخ مكوّن من غرفتين في طرف المدينة. وفي كل صباح وفي وقتٍ مبكر، اعتاد أبي الذهاب إلى إحدى الحانات والشرب حتى يترنح من السكر، ولا يعد إلى المنزل إلا في وقتٍ متأخرٍ من الليل. بدأت في تعلّم فن التتريز في إحدى الورش. كانت والدّة صاحبة المحلّ سيدة نحيفة جدّاً وشاحبة،

كانت مغنية "بان سلي" مشهورة فيما مضى، على الرغم من أن حجمها صَغُرَ حتى صارت في مثل حجمي الآن. في كل عصر كانت تغني لنا بعض القصص بصوتٍ أجش. بدت تلك الأغنيات ساحرة جداً لدرجة يصعب مقاومتها.

في يومي الأول هناك، لوَحْتُ إلى قائلة:

- تعالي إلى هنا أيتها الفتاة.

اتجهت إليها وسألتنى:

- من أنتِ؟

- اسمي "تاي جيانج".

- هل أنتِ تلك الفتاة الصغيرة، ابنة الرجل المبذّر الذي لا فائدة منه؟

- نعم.

- ما زلت أذكر أملك. كانت جميلة جداً وصوتها أكثر سحرًا من صوت الكروان.

- لقد ماتت.

- نعم، أعلم أنها ماتت.

نظرت إلي والدفع يملأ عينيها، كما لو كانت تداعب وجهي بدفئها. قالت لي السيدة

المسنة بعاطفة بادية على وجهها:

- لم ترثي جمالها على ما يبدو، لكنكِ ورثتي صوتها الجميل.

كنت سعيدة بالوقت الذي أقضيه في ورشة العمل. بدت الزهور التي طرزتها وكأنها

ينبعث منها الأريج، والطيور التي طرزتها بدت وكأنها ستغرّد. وحينما أجدتُ التطريز،

أصبحت مهتمة بقصص "البان سلي"، والتي - بالنسبة لي - اعتقدت أنه من الممكن أن

أسردها على الآخرين بشكل أفضل من الجميع.

قالت لي صاحبة المحلّ أنني وُلِدْتُ كي أقوم بالتطريز، لكن والدتها اعتقدت أنني أصلح

لكي أكون مغنية "بان سلي". وأحيانًا ما تعاركتنا حول هذا الأمر، ومما أن أيًا منهما لم تستطع

إقناع الأخرى برأيها، وسألاني:

- ما رأيك أنت يا "تاي جيانج"؟

دائمًا ما كنت أجيب:

- أريد أن أعمل بالتطريز.

حينئذ تضحك الابنة بسعادة وتقول لأُمها:

- أترين يا أُمي؟

وترد الأم وهي تضحك أيضًا بسعادة:

- دعونا ننتظر ونرى. لدي الكثير من خبرة الحياة ولم أخطئ أبدًا في حكمي على

الأشخاص. إنها مغنية "بان ساي" بالفطرة.

حينما بلغت السادسة عشرة من عمري، دخل رجل غرفة نومي في إحدى الليالي وأهانني.

وحينما طلع الفجر، أتى والدي إلي، وقال:

- ذلك ليس بمشكلة. اعتبريه مجرد حلم.

اعتاد أبي أن يأخذ مالا من هذا الرجل ويشترى الكثير من الخمر. دائمًا ما كان يمسك

بالإبريق في يده أثناء حديثه معي.

نهضت وقمت بإعداد الفطور، ثم اتجهت إلى الورشة كالمعتاد. سألتني كل السيدات

العاملات السؤال نفسه:

- لماذا تبدين شديدة الشحوب هكذا كالورقة الذابلة يا "تاي جيانج"؟

كنت أجيب هكذا دون أن أفكر حتى:

- جاءني أُمي الليلة الماضية.

صاحت النسوة في فزع:

- واو! هل رأيتِ عفريتًا؟

أجبت باكية:

- نعم، تبدو جميلة، لكنها من دون أجنحة.

اندهشن مما قلت وتساءلن:

- هل تملك الشياطين أجنحة؟

- بالطبع.

دائمًا ما كانت تقول لي أُمِّي، "الجميع يحاولون أن تنموا لهم أجنحة بعد الموت. وعندما يصبح لديهم جناحان كاملان، سيتمكنون من التحليق وستدخل أرواحهم جسد إنسان حديث الولادة وهكذا يُجسّدون ثانية".

قلن لي وهن يتنفسن الصعداء:

- هذا كل ما في الأمر إذن.

رأيت من وراء كل زميلاتي في العمل مغنية "البان سلي" التي تغلبت ابتسامتها على التجاعيد في وجهها وانتشرت تلك البسمة في وجهها بأكمله.

حينما لم يتمكن والدي من الحصول على أي كحول ليشربه، اعتاد الرجال القدوم إلى غرفة نومي. حدث ذلك مرارًا وتكرارًا. لم أعلم من هؤلاء الرجال، ولا واحد منهم، ممن كشفوا مفاتيحي. كل ما علمته فقط أنهم كانوا يأتون ليلاً ويغادرون في الظلام، بدا ذلك بلا معالم مثل وجوههم تمامًا.

لاحقًا تزوجت.

لمع مهري في الشمس وبدا أكثر لمعانًا من العروس نفسها، بينما كان والدي يجلس على عتبة الباب ويلوِّح لي مبتسمًا. فالرجل الذي تزوجته كان ابن صاحب إحدى الحانات والذي أتي مطالبًا بالأجر نظير الكحول الذي يدين له به والدي، حينها رأيته. اقترح على والدي بأن عليه أن يخطبني له، وبالتالي لن تلغى ديون والدي كلها فقط، بل سيسمح له بشرب ما يحلو له من الخمر في "حانتنا" مستقبلاً. وافق والدي على الفور.

لكنه لم يشرب. عندما اكتشف الرجل في ليلة زواجنا أن العروس لم تكن عذراء مطلقًا، صفعني على وجهي صفعتين وصاح:

- كان يجب على أن أعلم على ماذا يحيا والدك السكير!

حينما استدعى والدي للحانة في اليوم التالي، ضغط عليه كي يأخذني مرة أخرى.
قال الرجل الذي كان زوجي لمدة يوم واحد:
- لا يمكنني أن أهين نفسي وأتزوج من عاهرة مستعملة.
ألقوا بالمهر وبي في عربة متهالكة جرّها حصان كرية وأرسلت للبيت.
تابعنا العديد من الناس في الطريق. أكثر من إصبع أشار إلى طوال الطريق وهم
يتهايمسون. التفت والدي إليّ وقال لي:
- لما لا تختفين تحت مهر؟ لقد جلبت لي العار والخزي البالغ.
لكنني نظرت إليه وابتسمت.
فقال غاضبًا:
- هل ما زلتِ تجرّوين على الضحك؟
واتجه إلى الناظرين قائلًا:
- ألا ترون أنها ما زالت تبتسم، يا للسماء! إنها عاهرة بلا أدني شعور بالخجل تمامًا مثل
والدتها.
تركني في البيت وقاد العربة نحو المعرض وعاد مرة أخرى ببرميلين من خمر الأرز مقابل
مقايضته لمهري. كم عانيت من أجل ادخاره لعامين.
عدّ ذلك من مزاجه. حينما عاد للبيت قال بسعادة وهو يقيّم مدى فائدتي:
- إن كنت أدركت أنه من الممكن أن أحصل على الخمر نظير تطريزك لم أكن لأرسلك
بعيدًا.
قُمت على إثر كلماته بالإمساك بديك حي كنت احتفظت به لحفل زفافي من اليوم
السابق وألقيت به في إحدى البراميل وتصارع الديك المسكين في الخمر وصاح والدي:
- يا للسماء!

حينما وصل للبرميل وحصل على الديك، دفعته دون جهد تقريبًا إليه. وبعد أن ازدرد كميات من الخمر، ارتفع رأسه من سطح البرميل ولكنني ضغطت عليها مرة أخرى. حاول جاهدًا رفع رأسه خارج المشروب الذي يملأ البرميل ولكنني جعلته يغوص مرة أخرى. استغرق ذلك أكثر مما ظننت، ولكن لحسن الحظ كانت النتيجة مثلما توقعت. جلس والدي وسط الخمر وبدا آخر تعبير على وجهه في حياته يعبر عن الاضطراب.

تم القبض عليّ بتهمة قتل رجل من النبلاء. لا أعلم كيف فتشوا في تاريخ أبي العائلي، والذي لم يشر إليه أحد لسنوات.

في يوم محاكمتي المفتوحة، تجمهر كل سكان المدينة في الساحة حيث ستجري المحاكمة. لمعت عيونهم من فرط المرح، كما لمعت أيضًا أنصال السكاكين في أيدي جند الحكومة.

سألني القاضي:

- هل تعترفين بتهمتك؟

- أي تهمة؟

كرر القاضي سؤاله:

- إذا هل تنكرين تهمتك؟ لابد أن أذكرك أن قتل رجل من النبلاء جريمة عقوبتها الإعدام وفقًا للقانون.

كان هناك هرج ومرج وسط العامة. رأيت والدة صاحبة المحلّ والتي "كانت" مغنية "بان سالي" مُرتدية أفضل ثيابها. اتجهت نحوي وسط الحشد على منصة يحملها قلة من الرجال على أكتافهم. كانت تمسك بمروحة، وتقف قرب طبله دائرية بجانبها.

سألها القاضي:

- من أنت؟

أجابت المرأة العجوز بصوت لم يبدو عاليًا تمامًا لكن الجميع سمعوه بوضوح:

- أنا مغنية "بان سلي" وأدعى "يو خوا".
سرعان ما تعالى صوت همسات الجمهور تعليقًا على ما يحدث.
قالت "يو خوا" وهي تخرج لوحة ذهبية من داخل ملابسها الخارجية:
- حينما كنت أؤدي عروض "البان سلي" للملك الراحل "زو شيان" في القصر الإمبراطوري،
منحني هذا.
وقال القاضي بسخرية:
- لا يمكنك أن تخيفيني بالملك الراحل.
ولكن حينما سلمه أحد الجنود اللوحة الذهبية، أمسك بها في يده ونظر عن قرب فيها
من جانب إلى آخر. وبعد برهة طويلة سأل "يو خوا":
- ماذا تريد؟
ردت عليه:
- أود أن أغني أغنية "بان سلي" قبل أن تصدر حكمك على "تاي جيانج".
رد عليها القاضي:
- لا يمكن أن نغفو عن القتل. ولا تهمني اللوحة الذهبية التي منحك إياها الملك الراحل.
ردت عليه "يو خوا":
- لا. أنا أود فقط أن أغني أغنية "بان سلي".
أجابها القاضي:
- حسناً، فلتتفضل.
وهكذا، بدأت "يو خوا" في ترديد إحدى أغنيات "البان سلي". لم أعرف
مطلقاً عَمَّن كانت تغني، لكنني أدركت أن دموعي تتساقط بلا توقف مثل
ينابيع الربيع. وبالفعل ليس أنا فقط ولكن كل الحضور في الساحة بكوا من

فرط التأثر من أغنية "البان سلي" لـ"يو خوا"، حتى القاضي الصارم غَطَّى وجهه بكُمِّه. وحينما توقفت عن الغناء، تلا ذلك فترة طويلة من الصمت. ثم صاح أحدهم:

- أطلقوا سراح الفتاة المسكينة.

عقب ذلك هياج فجائي، فقد أحاطت بي طبقة تلو الأخرى من الأصوات حتى صدر صوت أكثر حدة. لمعت عيون الناس وهي تنظر نحو القاضي واستمروا بالصياح:

- أطلقوا سراح "تاي جيانج"! أطلقوا سراح الفتاة!

بدت عيونهم مخيفة. لذا اعتقدت أن القاضي لم يدينني جزئيًا بسبب "يو خوا" ولكن أيضًا بسبب تلك الأصوات المهددة.

نعم، كما تعلم الآن عزيزي القارئ، صرت مغنية "بان سلي"، وأنا من تسرد القصة وأنا أيضًا محورها.



صاحبة بيت المتعة

الغانية



يناديني الناس في "نان يوان فو" بـ"الآنسة تشون شيانج من بيت مدام شيانج".
تعمل والدتي "مدام شيانج" بأقدم مهنة في التاريخ. حيث تاجرت بجسدها نظير المال.
وهذا الطريق الذي اتخذته في الواقع بدا لافتًا للنظر جدًّا، ورغم أنه ينطوي على عدة مخاطر،
إلا أنه أحيانًا ما يضمن مكاسب مالية غير متوقعة.
خارج محل إقامتنا - متجر العطور - كانت هناك عربات فاخرة مزينة بالنحاس ومزخرفة
بالشراشيب الذهبية من أعلى والتي حملت المعجبين بـ"مدام شيانج" عبر الوجهة المحددة
وصولًا إلى هنا. لا يتعلق الأمر بي، لأنني كنت بعد في الثامنة عشرة من العمر، ولم تكن لدي
أي رغبة في الرجال.

في مهرجان قوارب التنين العام الماضي، مثَّلتُ أمام الناس لأول مرة في "نان يوان فو"، كنت
مرتدية ثوب بسيط جدًّا في مظهره، ومعه قبعة مربوط بها قناع أبيض ليغطي وجهي بالكامل
لأتجنب لفت الأنظار إلى. ومع هذا وبسبب سنوات من الاستحمام بندى الزهور، كانت رائحة
عطرية قوية تنبعث مني تجذب النحل والفراشات من حولي بالرغم من قلة النسيم. كان
ذلك احتياليًّا نوعًا ما. في ذاك اليوم اصطحبتني خادمتي "شيانج دان" التي أسرت بشكلها

الجميل وأسلوبها المهذب أنظار المحيطين بها من الرجال. شعرتُ بالسرور بنفسها وأقنعتني باللهو على الأرجوحة.

وبينما كنت أتاَرجح على مقعد الأرجوحة دفعتني "شيانج دان" أرضاً، ولكن الأرجوحة صعدت إلى الأعلى والأعلى، وكانت أسراب النحل والفراشات تحوم من حولي. أثناء التآرجح إلى الأعلى، رأيت "تشانج تشنج" في سفح الجبال شمالاً، ورأيت أيضاً زوجاً من تماثيل الطوطم، رمز القبيلة الخشبية اللامعة الطلاء، والتي تُصور رجلاً وامرأة، والذان يعتبران حراساً لمنطقتنا. يعتقد الشباب الصغار سناً أن وضع قطعة من القماش تحمل أسماءهم على التماثيل سوف ينعم عليهم بالعثور على الحب الصادق. ومع المزيد من التآرجح إلى الأعلى والأعلى، رأيت مزيداً من المباني والغابات التي تكشفت لي من الأسفل والتي كانت مخفية في مكانها المحدد، بدأت في الشعور بالدوار. ومع ذلك، لم تنوي "شيانج دان" أبداً إيقاف الأرجوحة، حتى لمست قدمي الأجراس الذهبية في أعلى نقطة في الوقت الذي أطلق الحشد فيه أصوات تهليل عالية، والتي عندما وصلت إلى مسامعي وصلت كأنها مقتطفات أصوات متقطعة بفعل الرياح وتناثرت بعيداً. لكن مشاعر الخوف استولت على من علو الأرجوحة، ومن نية "شيانج دان" بقتلي. رغم أنها بدت قبيحة جداً في مظهرها حينما أتت إلى بيتنا منذ عشرة سنوات مضت، ربما أدركتُ في تلك اللحظة أنه من الممكن أن تكون أجمل سيدة في المدينة إذا أتيح لها أن تمحيني من الوجود. لكن تلك المغامرة بأكملها انتهت بفضل قبعة القش التي كنت أرنديها ذاك اليوم. فقد حملتها الرياح من على رأسي وبعد أن طارت ولفت عدة مرات في الجو قبل أن تسقط أمام "شيانج دان" التي توقفت فقط في تلك اللحظة عن دفع الأرجوحة.

ومع تباطيء ميل الأرجوحة عُدت مرة أخرى إلى الأرض، لكنني كنت ما أزال أشعر بالخوف ولم أستطع الوقوف على قدمي. جلستُ على المقعد، كنت محاطة بأناس يحذقون في. بدوا مهتمين بمظهري ولكن تحديقهم ضايقتني. استعادت

"شيانج دان" قبعتي مرة أخرى، ولاحظتُ أن حافتها تلوّثت بالطين فتركتها. حينما استعدت قدرتي على السير، شققت طريقي عبر الحشد واستمعت للناس من خلفي وهم يتحدثون عن "الآنسة تشون شيانج من بيت مدام شيانج".

كانت أمي أجمل سيدة في "نان يوان فو". حينما بلغت السادسة عشرة من عمرها، سلمت نفسها إلى الحاكم في ذاك الوقت وصارت حاملاً في. لو كنتُ صبيّاً لربما صارت عشيقه للحاكم. لكنني أصبحتُ سبب رفض الحاكم لها. لذا صارت أمي "مدام شيانج" والتي فاقت سمعتها شهرة الحاكم وجذبت اهتمام العديد من موظفي القصر وذوي المناصب النبيلة. سرعان ما نسيت "مدام شيانج" ما فعله الحاكم وأدركت أنها ليست سوى دليلاً على أن المرأة وجب أن تدفع ثمن بلوغها.

منذ أن كبرت، كانت "مدام شيانج" قد قلبت نهارها ليلاً وليلها نهاراً. لم تستيقظ أبداً قبل أن تضاء كل المصابيح. كان جلدها ناعماً جداً مثل الحرير ووجهها مشرقاً وصافياً مثل شعاع القمر. في إحدى المرات ولمدة ليلتين وقفْتُ في الحديقة أختلس النظر إليها عبر نافذة في الجدار. كانت ترندي قميصاً قصيراً خفيفاً وجيبة طويلة وربطت شعرها بتسريحة الكحكة في آخر رأسها من الخلف بدون أي زينة للشعر باستثناء دبوس شعر فضي مصنوع من اللؤلؤ. في تلك الليتين، لم يأتي أي رجال إليها باستثناء ممثلها المفضل الذي كان يعزف على آلة الـ"جيا يه" بجوارها.

عندما نظرت إلى "مدام شيانج"، صارت عيناوي مثل بئرٍ مملوء بالمياه. فقد أهدتني كل أيامها المشمسة وتركت لنفسها الليالي المظلمة، ومع هذا فقد حافظت على هدوءها. وفي تلك اللحظة شعرت أنني محظوظة بأنني ابتنتها أكثر من كونها أمي.

في ذلك الربيع، أتى فتى وسيم وخجول يعمل صانع أحذية ويُدعى "تسوي إن" إلى متجر العطور. قد وقعت في غرامه من أول نظرة، لكنه لم يتبادل معي

ولو نظرة واحدة. حينما كان يقيس مَقاس قَدَمَي ويمسك بباطن قدمي براحة يديه، شعرت بنوع من الحميمية التي توجد عادة بين الجنسين وأدركت أن راحة يده تلك كانت في مثل طول باطن قدمي. ظللت أنظر إليه وآمل أن يتبادل معي النظرات ويقرأ ما في ذهني. لكن حدث غير ذلك، فقد وضع قَدَمَي مرة أخرى في حذائي.

تركته وأنا أشعر بالتعاسة بينما أسير تحت أشعة الشمس اللامعة. بعدئذ جلست "شيانج دان" في ذاك الكرسي نفسه الذي قمت منه للتو ووضعت قدميها تحت نصف جسد "تسوي إن" الأعلى. وبعدئذ دخلت غرفته في تلك الليلة.

لم أستطع النوم في تلك الليلة، كنت جائعة، لذا اتجهت إلى المطبخ لأجد شيئاً أكله. ظللت أتناول الطعام حتى الصباح وأنهيت سلطانية من الشعيرية الباردة وطبق من كعك الأرز الشهي وطبق أرز ملفوف في أعشاب البحر، وطبق من "الساشيمي" وبعض من كعك الأرز المحشو، ولحسن الحظ أنني كنت ما زلت حية حينما طلع الصبح.

بدأت "شيانج دان" متألفة وحالتها المعنوية مرتفعة، وهي تحكي لي عن "تسوي إن" وهي تنظف الغرفة. ومع ذلك فقد أنهت كلامها قائلة لي:

- ولكن على أي حال، إنه مجرد حرفي وضع.

سقطت مني السلطانية الصينية التي اعتدت أن أقدم فيها الشاي وانكسرت، تناثرت قطعة مكسورة التي التقطتها "شيانج دان" حينما كانت ترتب الفوضى.

في ذلك العام في مهرجان قوارب التنين، التقيت بـ"لي منجلونج". كنت أرثدي زوجاً من الأحذية الجديدة التي صنعها لي "تسوي إن" الذي لم يبطن كعبي العالي خصباً فحسب أثناء تزيينه لنعلي الحذاء، لكنه نحت أيضاً نعلي الحذاء وطرزهما بتشكيلة رائعة من زهور الكركديه الجميلة والتي صنعت

بتطريز أبيض على يد أفضل مطرّز في المدينة أثناء تزيين مقدمة الحذاء العلوية بالحريز الوردى الفاتح.

بدأت "شيانج دان" مكتئبة في ذلك اليوم أثناء تمشيتها سويًا. بدأت غاضبة من "تسوي إن" لأنه صنع نعلٍ حذاءها من الخشب اللين مما أفسد عليها حلمها بامتلاك زوج من الأحذية بنعلٍ أفضل من نعلٍ. في اليوم السابق، غادر "تسوي إن" متجر العطور - لأنه أنهى عمله وأيضًا انتهت علاقته بـ "شيانج دان".

اقتربنا من أحد المعابد القديمة، حينما سمعنا أصوات حوافر أحصنة تقترب خلفنا. جذبتها جانبًا لنختبئ في المعبد القديم ومن فرط تعجلى فقدت فردة حذاء وقعت منى على الطريق. يبدو أن ما حدث لفت انتباه "لي منجلونج". توقف عن السير، ودار حول فردة حذاءى وهو على ظهر الحصان مرتين قبل أن ينزل عن ظهره. أمسك بفردة الحذاء فى يده، وأخذ يقلب فيها من جنب إلى جنب، كان مولعًا بها جدًا لدرجة أنه لم يرد أن يضعها على الأرض كما لو كان رجلًا متعبًا لصنم. بعدئذ، نظر صوب المعبد القديم وتساءل: "من سقطت منه فردة الحذاء تلك؟". بدا وجهه متحيرًا لكن برىء.

أرسلتُ "شيانج دان" كي تحضر لى الحذاء. اتجهت بحياء نحو "لي منجلونج" وطلبت منه فردة الحذاء. وبالنظر فى وجهها، انحنى "لي منجلونج" لها ورفع جيبتها.

حينئذ صرخت "شيانج دان".

قال "لي منجلونج" شاعرًا بالنصر:

- هذا ليس حذاءكِ. أنتِ ترتدين فردتي حذاءكِ. فلتدعِ سيدتكِ تأتى وتأخذ حذاءها بنفسها.

لأنني تأثرت بالطريقة التي رفع بها "لي منجلونج" حذاء "شيانج دان"، خرجت خارج المعبد المتهالك. وفي اللحظة التي خرجت فيها، ثبت "لي منجلونج" عينيه عليّ، وصارت يديه - بل في الواقع جسمه كله - بلا حركة، مما سهّل على استرجاع فردة الحذاء من يده وارتدائها مرة أخرى في قدمي.

اتجهت إلى متجر العطور - فلا حاجة لي للتأرجح على الأرجوحة هذا العام؛ لأن هناك رجل قد وقع في حبي.

أتى "لي منجلونج" إلى متجر العطور تلك الليلة. في بادئ الأمر اتجه إلى الحديقة الخطأ مما أدى به إلى غرفة "مدام هيانج" التي كانت مُحاطة بالخدم قرب باب غرفتها ووجهته بسرعة إلى غرفتي.

تجاهلت أنا و"لي منجلونج" كل أعراف الزواج التقليدية من تقدم بخطبة والسؤال عن نسب الأسرة ومناقشة تاريخ الزفاف وحتى حفل الزفاف نفسه. بقي في غرفتي تلك الليلة. تجوّل "لي منجلونج" في غرفتي ودق على المزهرية الخزفية ذات "اللون السحري" التي تحوي بعض زهور الزنبق، تلمس الثياب الموجودة في دولابي، لمعت عيناه حينما رأى المفصلات الذهبية لخزانة اللحاف. وأخيراً لاحظني ولكن بعد أن فقدت أي مشاعر رومانسية بعد ما فعله.

لمسني، حاول خلع ملابسي وجيبتني. حينما سحبت سيفاً ووجهته نحو صدره، ابتسم لي، ليس بشكلٍ متصنع على الأقل وقال:

- حاولت ثلاث أميرات وثمانية فتيات صنع تلك الحيل معي. ومن السخيف أن تستخدم النساء السكاكين لحماية أنفسهن من الرجال.

بشكلٍ ما، انتقل السيف من يدي ليده. سحب السكين ولمس النصل بإصبعه، وظهر عليه بعدها خيط أحمر، وسال الدم بغزارة. كان على أن أضمد القطع في يديه بمنديل حيري أبيض أعدده لنفسه لأول ليلة أقضيها مع الرجال.

حوّلي "لي منجلونج" إلى سيدة حقيقية. في تلك اللحظة، امتلأ عقلي بمرأى "مدام شيانج". كنت مولعة بتقليد ذوق "مدام شيانج" في ملابسها كي أصير سيدة تجذب ليس رجلاً بعينه ولكن كي أصبح فتاة أحلام العديد من الرجال، في الوقت الذي كان فيه الحب الحقيقي غائباً ليس له وجود. ومثل هذا الحظ، كان يفوق إمكانية أي شخص، وليس متاحاً لكل سيدة. ومنذ ليلة مهرجان قوارب التنين، بقي "لي منجلونج" في متجر العطور لما يزيد عن الشهر حتى أرسل والده رسالة له من العاصمة. كان والده أميراً وقد عاقبه على انغماسه في المتع الشهوانية ونسيانه التطلعات السامية قبل أن يلح عليه بالبقاء لتفقد الأمور في العاصمة. كتب والد "لي منجلونج" رسالة كي ينصح ابنه:

"على الرغم من أن المرء في فترة شبابه يستحق علاقة غرامية أو علاقتين، لا بد ألا يجعل هذا يؤثر على مسار حياته فيما بعد".

ربما لم يرد لذهنه أبداً أن ابنه سيريني الرسالة، فقد أضاف الأمر:

"يُقال أن الآنسة "تشون شيانج" من بيت "مدام شيانج" لا نظير لها في جمالها. ولو صح ذلك، فأنت حقاً يابني تتمتع بحسن الحظ".

شعر "لي" وكأنه يطير في الهواء وقال لي:

- هل يمكنك تخيل أمر أفضل من هذا بأن يحسد الوالد ابنه لأنه يحب فتاة جميلة؟ هل يمكنك ذلك؟

نظرت إليه مدعية الخجل وأجبتته برقة:

- لا! بالطبع لا يمكنني.

اليوم الذي غادر فيه "لي منجلونج" متجهاً إلى العاصمة كان يوماً مشمساً لم تظهر فيه أية سحابة في السماء. ربطت شعري بتسريحة كحكة منمقة جداً

كي أودع أول رجل دخل حياتي. كان "لي منجلونج" يمثل لي مدخل للحياة التي طالما حلمت بها، والتي تبدو أنها نابغة بالسعادة الأبدية.

شعر "لي منجلونج" بالقلق من وجودي في متجر العطور خشية أن يستبدله رجال آخرون وتوقف في كل خطوة لأنه أدرك ما كنت أخطط له وقال مكرراً:

- "تشون شيانج" سأعود مرة أخرى إليك خلال أقصر وقت ممكن.

أدركت مدي إخلاصه، ولكني أدركت جيداً أنه في اللحظة التي سيغادر فيها سينسى كل شيء عني.

أنت "مدام شيانج" مع خدمها لتودعني ففي المرة الأولى التي شاهدتها في ضوء الشمس منذ ثلاث سنوات مضت، بدا وجهها أبيض مثل ضوء النهار وملابسها سوداء مثل الليل. كان "لي منجلونج" منزعجاً بعض الشيء من سلوكها، ولم يتفوه بكلمة واحدة في وجودها. بعد أن أخذت تنظر نحو "لي منجلونج" وتفتحصه من أعلى رأسه إلى إصبع قدميه، قالت بهدوء ولكن بحزم:

- "تشون شيانج" عليها أن تنتظر زواجك منها لحينما تنجح في اختبار الملكية.

كما لو أن تلك العبارة أدهشته فإن "لي منجلونج" حملق مندهشاً للحظة قبل أن ينحني أمام "مدام شيانج" ويخرج متجهاً للعربة.

بينما راقبناه، "مدام شيانج" وأنا، وهو يخرج، غمغمت لنفسي: "لن أتزوجه".

قالت لي "مدام شيانج" وهي تتجه نحو غرفتها:

- لا بد للنساء أن يتزوجن يوماً ما.

حاولت أن أوقفها وأقول لها معترضة:

- ولكن يا "مدام شيانج"...

توقفت أثناء سيرها، لكنها لم تلتفت نحوي. لا يسعني أن أطلق على سيدة لقب "أمي" بينما بدت من الخلف نحيلة وفي نفس حجم فتاة صغيرة.

- أنا ممتنة لك لأنك قمت بتربيتي. ومن اليوم فصاعدًا أريد أن تعتزلي. وسأعولك بالطريقة نفسها التي ربيتني بها.

التفتت "مدام شيانج" وقالت لي بنصف ابتسامة وبعيون لامعة:

- هل تريد أن تستبدلي الأدوار وتحبي حياتي؟ لست بذلك المستوى.

- لكنني امرأة حقيقة الآن.

ردت على باحتقار:

- معرفتك بأمور الحياة سطحية جدًا. يجب أن تفهمي المعنى الجوهرى للحياة.

اعتقدت أن المدخل إلى الحياة السعيدة سوف يفتح أمامي في اللحظة التي أرسل فيها "لي منجلونج" بعيدًا، ولكن الآن "مدام شيانج" صدت ذلك ولعبت دور الحارس على المدخل.

- لكنني أود أن أجرب نوعًا جديدًا من الحياة.

ردت على وهي تنفض أكمامها وتبتعد فجأة وتتركني وحدي في أشعة الشمس الحارقة:

- لا أعترض على هذا.

كنت أتطلع إلى معرفة رجال آخرين بحياتي. ومع ذلك، لم يحدث هذا إلا بعد شهرين آخرين من استقبالي لزائر آخر.

لم يكن شخصًا سواه، هو بعينه الحاكم الجديد لمنطقتنا.

كان مرتديًا ثيابه الاحتفالية ومظهره شديد التواضع بالنسبة لزيارته الأولى. زعم أنه معجب للغاية بجمالي، ويبدو أنه رجل يملك ذوقًا راقياً.

مع ذلك، حينما اقترب مني تهربت منه وابتعدت. بالرغم من أننى كنت متلهفة على وجود رجال آخرين في حياتي غير "لي منجلونج"، فلم أرد أن تكون لي أية علاقة مع رجال ذوي رائحة إبطين سيئة.

- أعتذر، لكنني لا يمكنني أن أقبل توددك إليّ.

اندهش الرجل من رفضي له وسألني:

- هل يمكنني أن أعلم السبب؟

لم يسعني إلا قول ذلك:

- أنا واقعة في حب السيد "لي منجلونج".

غادر الحاكم المكان، ولكنه أرسل اثنتي عشر من الجند الذين بقوا خارج البيت. كنت قيد الحبس في المنزل.

قال لي:

- لن أحركك إلا حينما تنسين "لي منجلونج" وتخرجيه من ذهنك نهائيًا.

عندما حل الظلام، تسلفت "مدام شيانج" قربي وتعجبت من سبب رفضي للحاكم.

حينما أخبرتها بالحقيقة، ضحكت حتى اهتزت مثل كتلة من الجيلي. ثم شردت قليلاً وقالت:

- هكذا...

لم أتأثر البتة بحبس الحاكم القهري لي، لأنني لم أعتد الخروج كثيراً أصلاً. أحاط بي اثنتي عشر من رجاله، وبالرغم من ذلك، شعرت أن الحياة غدت أكثر إثارة: فالاستماع إلى "شيانج دان" وهي تغازل الجنود كان شيئاً ومثيراً للاهتمام.

اعتاد الحاكم على أن يرسل إلى هدايا كثيرة في عدة مناسبات مع شخص يعمل لديه
وينتظر ردي إذا كنت قبلت طلبه بعد أم لا. دائماً ما كنت أقبل الهدايا ولكن أجبه بلا.
رشت "مدام شيانج" أفضل منشدي القصص الشعرية بـ"نان يوان فو" كي ينشدوا أغنية لم
أسمع بها قط وسموا القصيدة باسمي:

"ياله من مشهد جميل بقي في فصل الربيع دون تبدل،
والحشيش الأخضر في نعومة الساتان تنبعث منه رائحة مثل ندى الربيع
ولكن حبيبي قد ذهب ولم يرسل أية رسالة.
بدا ولاء الأنسة "تشون شيانج من منزل مدام شيانج" بحب "لي منجلونج" مؤثراً جداً
ومثيراً للعاطفة لدرجة تهز السماء والأرض.
سرعان ما انتشرت تلك القصة ووصلت للعاصمة.
لأن "لي منجلونج" فاز بالمرتبة الأولى في اختبارات الولاية، فقد صار المفتش الملكي السري
وخطب ابنة أمير آخر. وبالسماح عن المشاعر الرومانسية المتبادلة بين "لي منجلونج" وبينني،
فسخت الفتاة الصغيرة خطبتها دون أي تردد.
- لا يبدو الأمر نفسه يستحق الضجة. ولكن كرامة بيت الأمير على المحك، ولا يمكننا قبول
ذلك.

حاول المفتش "لي منجلونج" توضيح بعض الأمور.
كان لابنة الحاكم وجهًا كبيرًا مثل حوض فضي اللون وافتقرت إلى اللياقة واشتهرت
بفظاظتها ونقص تحضرها بهذا الوسط من الجيل الأصغر من رتب النبلاء. ولذا كان "لي
منجلونج" يصارع بفكره وبقلبه محاولاً الفرار من هذه الزيجة.

سمع والده بقصتي أيضًا واستدعاه لمكتبه. ونظر إليه من فوق إلى تحت لوقت طويل ثم قال:

- أنت لم تقتدي بي على الإطلاق. ما الذي لفت انتباه "تشون شيانج" فيك لدرجة جعلتها ترفض الحاكم؟ إنه حقًا لأمر محير.

أجابه "لي منجلونج":

- في الواقع أنا نفسي متحير.

تنهد الأمير بعمق ثم قال:

- لكن بما أن الملك قد سمع بقصتكما فلم يعد لك خيار سوى أن تتزوجها.

وهكذا أخذ "لي منجلونج" يتصنع إنكاره للأمر وعاد إلى متجر العطور مرة أخرى. زار "مدام شيانج" أولاً والتي قادته إلى مكان يستطيع منه أن يفلت من الجند من خلال باب داخلي يوصل إلى حجرتي.

بدأ "لي منجلونج" عفويًا كالشحاذ، وهو يحكي لنا كم كان مهينًا فشله في اختبارات الملكية وكيف تفككت عائلته من بعد ذلك. كان كلانا أنا و"مدام شيانج" يعلم جيدًا ما يخطط له بما أن وجهه كان ما يزال حسنًا لا تبدو عليه التعاسة، وأظافره نظيفة وليست متسخة، وكانت حتى هناك رائحة عطر خفيفة تنبعث من زي المتسولين الذي كان يرتديه. وبينما هو يسرد علينا قصصه أخفيت النصف الأسفل من وجهي وكتمت ضحكتي حتى دمعت.

أوقف "لي منجلونج" مناجاته ثم قال:

- "تشون شيانج" أرى أنك تشعرين حقًا بالحزن بشأن...

ردت عليه "مدام شيانج" وهي تسدد إلى نظرة غاضبة من وراء ظهر "لي منجلونج":

- العالم مليء بالأمور غير المتوقعة.

جلسْتُ معتدلة مرة أخرى وقلت له بركة:

- "تشون تشيانج" لا يعينها منصب ولا ثروة. أريد فقط أن أكون زوجتك حية أو ميتة.

تجمد وجهه مثل تلك اللحظة التي رأي فيها على الطريق. غادر متجر العطور من خلال

البوابة الرئيسة وقبض عليه الجند وأرسلوه إلى بيت الحاكم.

كان الحاكم يفرغ حزنه في كوب الخمر في ذاك الوقت. وبرؤيته لـ"لي منجلونج" سأله من

يكون.

أجابه "لي":

- أَدعى "لي منجلونج" وأنا حبيب الأنسة "تشون شيانج".

ثبت الحاكم نظراته على "لي منجلونج" لوقت طويل مثلما فعل أبوه الأمير قبل أن يقول

في النهاية:

- ما الذي لفت انتباه "تشون شيانج" فيك؟

أجابه "لي منجلونج":

- الأمر يحيرني كما يحيرك تمامًا.

أمر حاكم "نان يوان فو" جنده بصفع وجه "لي منجلونج" إلى أن يتورم.

استغل "لي منجلونج" الموقف، وأظهر هويته الحقيقية مقدمًا للحاكم الختم الإمبراطوري

الذي يحمله معه.

أومأ الحاكم بعد أن تأكد جيدًا من الختم وقال:

- لا عجب أن "تشون شيانج" تحبك. فأنت المفتش السري للإمبراطور.

وهكذا ترك الحاكم كرسيه لـ"لي منجلونج" ووقف إلى جانبه.
جلس "لي منجلونج" على الكرسي وأمر نفس الجنود الذين صفعوه بضرب الحاكم بقسوة
على وجهه، ثم سأله:

- هل تعتقد حقًا أن النساء يؤمن بالحب؟

بصق الحاكم سنتين من فمه من أثر الضرب.

كان حفل زفافي أنا و"لي منجلونج" مكلفًا ومبهراً ويشبه حفلًا إمبراطوريًا. ووسط كل تلك
البهجة والروعة لأفضل حفلات الزفاف في أسرة "لي" الملكية، كانت مدام "شيانج" تضحك
بشكل جميل بينما شعرتُ بالحزن الغامر. لأنني أعلم - وفقًا لحلمي في الكمال الأنثوي -
أنني فقدت دون شك أية فرصة في أن أحيا الحياة السعيدة التي عاشتها مدام "شيانج".



حكاية مدينة صغيرة



حينما عاد الراهب "كونج شين" بعد تجواله الواسع، اكتشف وجود مدينة صغيرة هائلة والتي قلبتها سيدة ما رأساً عن عقب.

حكى راهب بوذي للراهب القصة، وقال له:

- اسمها "جيانج تشنزي". ويُقال إنها أتت من "سيول".

ما إن وضعت "جيانج تشنزي" قدميها في المدينة حتى انتشرت قصة جمالها. حرر الأدباء مقالات عن الأحداث الرائعة والسير الذاتية التي تتعلق بحياتها. ترددت أوصاف مثل "ملاك نهر لوه" أو "إلهة وشان" لوصف سحرها، وأخذوا يتبادلون ذلك مع بعضهم البعض في الطرقات والأسواق. في الواقع لم يرَ أيّاً من هؤلاء الأشخاص المملين "جيانج تشنزي" أبداً وحتى من كانوا في البيت الذي عاشت فيه نادراً ما شاهدوها.

قال الراهب:

- منذ شهر مضي، سجلت "جيانج تشنزي" اسمها في "تيان ين"، وهو أكبر بيت للزهور في المدينة. عادة ما ينزل المغنيون والراقصون رؤوسهم تعبيراً عن الصمت الخجول في مثل تلك المناسبات ولا يرفعون رؤوسهم أبداً. كما اعتادوا على ارتداء ملابس ملونة ودخول البيت من البوابة الرئيسية بعد عرض

قصير في الشارع الرئيسي، كان العرض يقام على محفة يحملها رجلان. ثم تُنقش أسماؤهم على لوائح تُعلّق على السقف حتى تنتهي المراسم، لكن لم يكن الحال كذلك مع "جيانج تشنزي"، فقد كانت سمعتها وقصة تسجيلها لاسمها قد بلغت الكثيرين بشكل أكثر حتى من بهرجة الحاكم التي تلفت الأنظار أو المفتش الإمبراطوري أثناء تأديته لمهامه الرسمية.

انتظرنا لأكثر من أربع ساعات على سطح غرفة "السوترا" قبل أن تظهر في النهاية وسط الحشد على محفة ناعمة يحملها أربعة رجال. وبرغم تلك المسافة، استطعنا رؤية تلك المحفة التي بدت مختلفة وأكبر حجماً ومزودة بقبة على شكل شمسية. كانت المحفة تتهادى لبعض الوقت وسط الحشد مثل القارب الذي يتهادى وسط الموج قبل أن تعود أخيراً إلى "تيان ين".

ثم أكمل:

- بعدئذ، كانت هناك شراشيب معلقة أعلى سقف المحفة تخفيها عن أعيننا. ومع ذلك، حينما رُفعت الشراشيب للأعلى وفُتحت القبة والستارة، ظهرت طبلية دائرية كبيرة، كانت عليها فتاة ترتدي زيّاً مزركشاً باللون الأزرق الضارب للخضرة مع اللون الأبيض وقد أدت رقصة طويلة على الطبلية. لم نتمكن من سماع أي أصوات، لكننا رأينا تحركاتها الدائرية. بدت في مثل خفة السحاب. بعد أن أدت الرقصة، قفزت على أحد الرجال الذي مررها لرجل آخر ثم أرسلها هذا الرجل الآخر إلى بيت الزهور.

بعد أن شاهد الراهب التعبير البادي على وجه الراهب "كونج شين" توقف عن حكيه.

سأل الراهب:

- هل هذا كل شيء؟

استمر الراهب البوذي في حكيه بصوت خافت قائلاً:

- لا، كانت هناك أربع لافتات كبيرة مصنوعة من الحرير الأحمر متدلية من تحت لافتتها حينما علّقوا على السقف. ولم نعلم حتى اليوم التالي أن تلك اللافتات الحمراء كانت مكتوبًا عليها أبيات من شعر "السيجو".

فسأله الراهب:

- ماذا تقول هذه الأبيات؟

تنحّج الراهب وقال:

"فوق" تيان ين "ينير القمر

يضيء النور والصقيع على المنازل والثلج الخفيف

ففي كل مفاتيح البيت الاثني عشر

هي أفضل حبة كرز تنتظر من يقطعها".

تغيّر تعبير وجه الراهب قليلاً عندما انتهى. قال له الراهب بحقد:

- تلك السيدة المخزية لا بد أن يكون مصيرها جهنم.

- لكن هناك شخص دفع لها خمسمائة ليانج من الفضة في أول شهر لها في بيت الزهور.

- خمسمائة ليانج؟!

- نعم. أي بقدر ما يكفيننا لنطلي تمثال بوذا الموجود بالردهة بالذهب.

صاح الراهب:

- هراء!

قبل مهرجان قوارب التنين بيوم، نظّف الراهب "كونج شين" والرهبان

البوذيين المعبد، وانتهوا من ترتيب "السوترا" في الصباح، ثم فتحوا البوابة على

مصراعيها، منتظرين الحجاج. في هذا اليوم من كل عام، يأتي أهل المدينة بأكملها لحرق البخور وتقديس بوذا، وينشغل الرهبان في أن يأخذوا أحذيتهم ويضعوها أحياناً. لكن هذا العام، بدا المعبد هادئاً جداً ولا يوجد به سوى القليل من النساء والأطفال والرهبان المناوبين الذين كانوا غارقين في غفو عميق.

بعدئذ، قيل إنه في ذلك اليوم كان بيت صيد الأسماك وبيت القمار الذي تُقام ألعابه على أرض زراعية، ذهب الناس هناك وتراهنوا على من يستحق الفوز بـ "جيانج تشنزي" أولاً بعد أدائها في اليوم التالي. أنفق الناس كل أموالهم على فيشات القمار بدلاً من حرق البخور في المعبد.

أسرع الراهب في سرد هذه القصة على الراهب "كونج شين" الذي قال بنظرة حادة مع ابتسامة:

- أتى الشيطان كي يفسد البشر ولكن شباك العدالة لن تدعه يفلت.

في اليوم التالي، قاد الراهب "كونج شين" راهبتين بوذيتين إلى الأرض الزراعية، وفي المنتصف وجدوا أربعة رهانات مُقامة، كل رهانٍ منهم كان يقوم به رجل أعمال ثري في المدينة حيث كان يزايد كلٍ منهم على "جيانج تشنزي". لم يبدُ عليهم أي مشاعر خجل من أنفسهم أو عداء نحو بعضهم البعض: بل حتى إنهم تجمعوا سوياً وتناقشوا حول أسعار الخشب والجنسج والشاي المحتملة في يوم معرض مهرجان قوارب التنين الذي من المقرر افتتاحه اليوم التالي. أتت "جيانج تشنزي" إلى الأرض الزراعية التي كانوا مقيمين بها في عربة مرة أخرى حينما امتلأ المكان بالناس. وفي هذه المرة كان معها ثمان من الرجال الأقوياء.

شعر الراهب "كونج شين" بالدوار. وبعد فحص دقيق طويل وعن قرب، أدرك أن الأردية البوذية للثماني رجال جديدة تماماً ورؤوسهم أيضاً مخلوقة مؤخراً حيث لا تزال جذور شعرهم الداكنة واضحة. وقفت "جيانج تشنزي"

على أيدي هؤلاء الرهبان الثمانية الزائفين. كان شعرها مفروداً خلف رأسها فظهر وجهها الأبيض البريء. لم تضع أية مساحيق تجميل على الإطلاق، فقد كانت جمالها ربّانياً. ارتدت على كتفها عباءة حمراء مع لون أصفر مزخرفة بخيوط ذهبية، بدت جميلة مثل قطعة من الكنز. فلمسة واحدة لها كان يمكن أن تجعل الراهب "كونج شين" لا ينام طيلة الليل لو كان صغيراً في نفس عمرها. ومع ذلك فقد قامت بتأدية رقصة "كساينج" خاصة على كفوف الرجال في ذلك المكان المقدس.

تصلّب الراهب "كونج شين" مثل الميت. أُصيب عيناها بالعمى بسبب تلك المرأة التي ترتدي عباءة الرهبان، وأصبحت أذنيه بالصمم من صياح ونعيق الرجال من حوله. لم يتذكر حتى ما الذي أتى به إلى معبد الأحاسيس بمساعدة الراهبين اللذين تبعاه إلى الأرض الزراعية.

قال الراهب عندما استعاد وعيه:

- إنها تجسيد لشيطان عمره ألف وواحد عام.

رأى الرهبان في عينيه وقع الصدمة عليه.

في الصباح التالي، جلس الراهب "كونج شين" متأملاً أمام مقار الحكومة في المدينة يتعبد بالسبحة ويتمتم بالترايم.

سأله شخص ما:

- أليس من المفترض أن يكون هناك شيء أهم، أليس من الأفضل أن تدق على الطبل

للبلاط الملكي؟

أجابه الراهب "كونج شين" إجابة وافية:

- في حضرة بوذا سيصدر صوت الطبل دون الدق عليها.

سأله شخص آخر:

- من الذي تريد أن تقاضيه؟

أجابه الراهب بيدين متشابكتين:

- لقد أتيت بهدف الإنقاذ. بوذا رحيم.

في اليوم الثالث، عقد جناب الحاكم جلسة محكمة. لم يستغرق إرسال مجموعتين من الحرس الحكومي وقتًا طويلاً فقد أحضرت لاحقاً بعد ساعتين "جيانج تشنزي" ومجموعة من الحاضرين.

قال الحاكم لـ "جيانج تشنزي":

- الراهب "كونج شين" يتهمك في معبد الأحاسيس بإهانة التعاليم البوذية وانتهاك حرمة الآلهة. هل لديك أي شيء تقولينه لتدفعي به عن نفسك؟

التفتت "جيانج تشنزي" إلى الراهب "كونج شين" وشعرت فجأة كما لو أن خريبر مياه فاح عطرًا وسط الجبال في موسم الربيع قد تحرك نحوها. فأجابت بصوت لطيف يذكرنا بأصوات طيور العندليب والسنونو:

- إنها قصة متداولة عن فنانة مشهورة في "سونجدو" تدعى "خوانج تشن إي" قد عاهدت السيد "تشي تزو" على الحب الأبدي برقصة كاهن (سيونجمو) منذ مائة عام مضت. فتلهفت فقط للقيام بمثل ما فعلته متبعة نفس قصتها.

نظر الراهب "كونج شين" وراءه بسخرية وقال:

- كنتِ تثيرين فقط العواطف المنحطة في الآخرين وتفسدين الأخلاقيات العامة.

- لا أعتقد أنه من الغريب على الفنانة أن تظهر على الملأ وتُسلي الناس بالأغنيات والرقصات.

- إذن لما تتأمرين مع بيت القمار بغرض الحصول على المال؟

- لقد صرت فنانة لا يسعها أن تحمي نفسها حتى. كيف يكون لديّ فراغ إلى هذه الدرجة كي أشغل بالي بالآخرين؟

أسرعت سيدة بالحديث قبل أن يتمكن الراهب "كونج شين" من الرد قائلة:

- أليس من المفترض أن للكهنة أهداف أخرى أقل اهتمامًا بالأمر الديني؟ لماذا تحدث ضجة حول هذه المرأة الساقطة التي تشبه الدجاجة؟
رد الرجل بصوت عالٍ:

- لأن الديكة ستصدر صياحها لهذه الدجاجة، ولا عجب بعدئذ في إثارتهم عاطفيًا.
دق الحاكم بمطرقته الخشبية بضع مرات حتى انتهت أصوات الضحكات التي ترددت في المحكمة.

قال الراهب:

- إنه لمن سوء الحظ للبوذية والعار على الرهبان البوذيين تدنيسها لعبادة الرهبان بالارتداء ومن المؤكد يا جناب الحاكم أنك سمعت بكل هذا التدنيس.
لم تتغير تعابير وجه الراهب وظل مثيرًا عينيه على الحاكم وأكمل قائلاً:
- من واجبنا أن نحمي سمعتنا كمكان طاهر لممارسة البوذية. ولو لم نصل لحكم عادل اليوم، أقسم بأنني سأتواصل بالمعابد الأخرى وسأرفع معًا القضية لمكتب المراقبين في "سيول" لتطبيق العدالة.

نظر الحاكم إلى الراهب ثم إلى "جيانج تشنزي" والعكس لفترة، وقال بعد التشاور:
- "جيانج تشنزي"، رغم أن رقصك مدعوم بأمثلة سابقة، فإنه أخل بالأخلاقيات البوذية في بعض جوانبه. ولذا حكمت المحكمة حضورًا عليك بممارسة الشعائر البوذية لمدة ثلاثة أشهر دون أن تقصي شعرك في دير للراهبات بالجبال من أجل أن تُعدي من أسلوبك.

أشار الراهب "كونج شين" إلى الحاكم وقد فقدت قدماه توازنهما كما لو أن رياحًا أطاحت بهما وقال:

- كيف يسعك أن ترسلها وهي عاهرة تستحق عقوبة الإعدام ألف مرة إلى دير بوذي لتحدث مشكلة هناك؟

- ما هو أكثر صلاحًا لها من أن تُرسل "جيانج تشنزي" إلى دير بوذي للتوبة عن جرائمها؟
أنهى الحاكم الحوار مع الراهب "كونج شين" ودق بالمطرقة الخشبية وقال بصوت مرتفع:
- رُفعت الجلسة!

بعد ذلك بشهرين، عاد الراهب "كونج شين" إلى المدينة متعبًا من السفر ومنهكًا. وفي تلك المرة التي عاد فيها، كان ذلك في فترة الغسق والسماء جميلة ولامعة، ذكرته بعباءة الرهبان الخاصة به المزخرفة بالخيوط الذهبية التي تتدلى من معبد الأحاسيس، كانت هذه أجمل ثياب امتلكها في حياته.

أوقفته "جين خوا لان"، منشدة مسنة في "تيان ين" في الطريق وسألته:

- كيف حال عملك؟

عاملها الراهب "كونج شين" معاملة الحثالة، ولم يكلف نفسه بأن يُبطئ من سيره حتى.

سألته "جين خوا لان" التي لحقت به دون أن تشعر بالضيق من أسلوبه:

- مهلاً! ألا تملك أي شيء في المعبد لإبعاد الشياطين؟ منذ مجيء العاهرة "جيانج تشنزي"،

حدثت أمور غريبة كثيرة بالدير.

التفت إليها "الراهب كونج شين" ورمقها لبرهة.

قالت:

- غالبًا ما استيقظ ليلاً بسبب أصوات غريبة مثل صيحات الثعالب، و...

اقتربت برأسها من صدر الراهب وأخفضت صوتها قائلة:

- بعض الضيوف ممن يعرفون "جيانج تشنزي" جيداً يقولون إن لها جسداً بارداً برود

الشعابين.

سألها الراهب "كونج شين":

- ألم يتم إرسالها إلى الدير؟

ردت عليه "جين خوا لان":

- هراء! تلك مظاهر وإدعاءات فقط على الملأ. لكن في اللحظة التي غادرت فيها المدينة،

عادت مرة أخرى إلى البيت. وتحيى حياة سعيدة جداً، وتستقبل الضيوف يومياً.

تبدل وجه الراهب "كونج شين".

أكملت:

- وهناك شيء آخر مخيف عنها ألا وهو أنها لا تُبقي رجالاً أبداً في غرفتها بعد منتصف

الليل. راقبتها خادمة مسنة في إحدى الليالي وأصيبت بالعمى والخرس.

بعدئذ، قربت "جين خوا لان" رأسها من أذن الراهب "كونج شين" وقالت بصوت مرتعش:

- هل صحيح حقاً أنها خالدة؟ ما رأيك في هذا الكلام؟

صار الحوار بين "جين خوا لان" والراهب "كونج شين" مثل نائمة كبيرة

للمدينة بأكملها في ذاك اليوم. لدرجة أن بعض الناس بقوا ساهرين طوال الليل

يخمنون ما يقوم به الراهب "كونج شين" في غرفة "جين خوا لان". وفي الصباح

الباكر التالي تدفق الناس إلى "تيان ين" كي يستطلعوا الأمر بشكل أكثر، بينما أدركت "جين خوا لان" ما يحدث ومدت رأسها خارج نافذتها قرب عود البامبو وفي طرفه كان عليه زوج ملابس داخلية قطنية رمادية مقطوعة ومرقعة مرارًا وتكرارًا يتطاير في الهواء.

في ذلك اليوم في "تيان ين" زابد الناس على "جين خوا لان" بأعلى سعر لها في السنوات العشر الأخيرة. ورغم أن كل شيء بدا واضحًا وضوح ضوء النهار، وجدنا الرجال ما يزالون يودون قضاء بعض الوقت وحدهم مع "جين خوا لان" لمعرفة باقي الروايات الحقيقية بينها وبين الراهب "كونج شين".

لمعت "جين خوا لان" مجددًا وسط الرجال وبدأت تشع بعز شبابها، حاولت أن ترضي كل رجل دفع لها بسخاء لدخول غرفتها. ظلت الروايات التي تصف الراهب "كونج شين" تتجدد. وعندما تروي لأحد الزبائن أن الراهب "كونج شين" لم يرتكب الفاحشة قط وقد عرف الكثير عن الحياة منها، كانت تروي لآخر بأن الراهب "كونج شين"، بالرغم من مظهره الذي يبدو عليه الاحترام، فقد قتل سيدة بالفعل بحكم بعض التوجهات غير التقليدية لديه عن المشاعر الرومانسية، والتي يصعب حتى على سيدة ذي خبرة مثلها أن تجاريه فيها. استقبلت "جين خوا لان" بسبب ذلك العشرات من الرجال في ذلك اليوم، وكانت تريح حنجرتها بشرب عشرات السلاطين من الماء البارد حتى حل الليل فلم تعد تستطيع الحديث. حينما غادر آخر ضيف، مزجت العسل بأوراق النعناع المضروبة وملأت فمها بهذا المزيج.

في الليلة السابقة حينما خرج الراهب "كونج شين" من غرفة "جين خوا لان" وشعره مبعثرًا، لم يكن الليل قد حل بعد. جال في حديقة "تيان ين" لوقت طويل قبل أن يشق طريقه خارجًا. عند بوابة الحديقة، وجد مصباحين حمراوين طويلين يتدليان وتحتهما جلست "جيانج تشنزي" قرب طاولة شاي

مع بعض الرجال. كانت تُمسك بهروحة وتبتسم للقس "كونج شين" بشكل ساحر من وراء أكتاف الرجال.

ترنح الراهب "كونج شين" بفعل الرياح، وتعثر في طريقه للمعبد، لكن لم يتعرف الراهب الذي أتى ليجيب على الباب عليه، فقد قال له: "لا توجد عصيدة اليوم" وصفق الباب وقفله في وجهه.

في صباح اليوم التالي، وجد راهب الراهب عند البوابة حينما كان ينظف الساحة. كان ميتاً بالفعل، كان الراهب "كونج شين" راقداً هناك، رجليه مربوطتين، وعيناه ناظرة للسماء. كان مكتوباً على صخرة كبيرة وراءه جملة منقوشة بإصبع ينزف من إثر عضته تقول: "من يحضر العفريت فعليه أن يصرفه".



الحب الذي لم أصادفه أبدًا

1



في العام الذي أتممت فيه الثامنة عشرة من عمري، تمّت خطبتي من رجل من أسرة جيدة النسب نوعًا ما، كان والده موظفًا في الرتبة الثالثة. والرجل نفسه كان يعمل جاهدًا لإعداد نفسه للاختبارات الملكية. وما جعل أسرتي - أعني زوجة أبي وعشيقاته وإخوتي وأخواتي غير الأشقاء - أكثر ضيقًا هو أن الرجل الذي سيتزوجني وُلد من زوجة أبيه بدلًا من إحدى عشيقاته.

- ماذا أعجبه فيها؟

لم أعرف أنا أيضًا ما الذي أعجبه في. يُقال إنه رجل وسيم وصغير في السن وأُتي إلى بيتنا للشرب في صحبة والدي. ومع ذلك، لا أستطيع أن أتذكر أين صادفت الرجل الذي يتحدثون عنه. كان هناك لقاء غير متوقع في الردهة الخشبية ونظرة مختلصة سددها نحو وجهي بدت خارج السياق، ورغم أن بيتنا كان واسعًا، فإن الأماكن المعدة لنا للانتقال لم تكن واسعة بما فيه الكفاية. أو هل أتيح له أن يراني وأنا أتأرجح على الأرجوحة في الحديقة الخلفية؟ ولكن الغرباء - خاصة الذكور منهم - لم يسمح لهم بالدخول مثلما يحلو لهم.

بالطبع لم أكن أبداً مقيدةً بالأماكن المفترض أن أبقى فيها. والآن وفي وقت لاحق، وجب على أن أنجه إلى أماكن أخرى. لم يمثل الأمر لي أيه مشكلة أن أُلح من قبل خدم والدي، والذين يسرهم أن يروني على أن يكونوا شاعرين بالضيق من ذلك. ولكن في حال شاهدتني أيًا من خادمت أمي، فإن تلك النميمة التي يتفوهون بها ستدوم لفترات طويلة كالنشرة الإخبارية التافهة، وذلك ما أوقعني في مشكلات أسوأ حتى من إثارة عش دباير. ويستمر تسلسل إهاناتهم لدرجة تجعل الجميع يصاب بالآسى.

حتى ذلك لم يمثل أي شيء. الأسوأ يتمثل في إقحام أمي في المشكلات.

كانت إحدى عشيقات أبي الأربعة، تلك السيدة التي كانت أسوأهن معاملة لأمي، تظن نفسها أفضل من الجميع، ودومًا ما كانت تُبَوِّز بورًا طويلًا بفمها بعرض باين للبوابة الكبرى لـ"الأسرة المبلجة"، ذلك التعبير الذي كانت تردده طوال اليوم. وبرغم فخرها بتلك الأسرة لسبب ما، فقد اشتكت دومًا من مصيرها التعس وحتي مظهرها الذي يتغير بشكل غير طبيعي مع مرور كل يوم، دائمًا ما كانت تعتز عليه. وحينما كانت تحرك جسمها، لا توجد أية كلمات أخرى تصف منظرها أفضل من كلمة "مذهلة". لم تكن على علاقة جيدة مع عشيقات والدي الأخريات. ولكن وجود أمي في هذا المكان يبدو أنه قربها من باقي العشيقات الأخريات. كان والدي دومًا ينام في غرفة والدي حينما يتواجد بالبيت، وحتي أكبر أبناء هذه السيدة افتتن بجمال والدي وارتكب بعض الحماقات التي جعلته أضحوكة الأسرة بأكملها.

ظلت السيدة تشكو وتقول: "أنا مجنونة!" وذلك - إن كان حقيقياً - ليس بالوضع السيئ للغاية من وجهة نظري. الرجال الذين أعجبوا بأمي كانوا كثيرين بعدد النجوم في السماء. على أية حال، صبت لومها كله على أمي وقالت: "كيف لذكر القط أن يغازل أنثى الثعلب إن لم تظهر هي له ذيلها أولاً؟".

كيف يتسنى لنا أن نعلم ما الذي جعل ابنها الأكبر يغازل؟! هذا الشاب كان صورة طبق الأصل من والدته، ووجهه بدت ملامحه غير واضحة، وكانت عظمة أنفه مكسورة نتيجة لذلك. وما أن تجرأ في مرة وسألني:

- هل أنتِ حقًا ابنة أبيك؟ لم لا تشبهينه على الأقل؟

بدت عيناه مثل لسان يلحق وجهي بأكمله. كنا نقف على الطريق الحجري المفضي إلى الحديقة عندما أوقفني. وإذا حاولت الفرار متجهة نحو الزهور المحاطة بالطريق، فإن باطن قدمي بأكملها ربما ستعرض للوخز.

قال لي وهو يلهو بالوشاح:

- آه لو لم تكوني أختي الصغرى!

أبعدت يديه ورجعت للوراء.

قال لي وهو يمد ذراعيه:

- عانقيني.

- ابتعد عني!

- ما الذي تخافين منه؟ ألسنا أشقاء؟ هل من الخطأ على الأخ أن يعانق أخته؟

تكبدت العناء كي أفر منه بعيدًا. وخربشت عنقه وتقريبًا مزقت محيط الوسط لملابسه الداخلية أيضًا.

في عصر وليل هذا اليوم، كنت أتوقع مجيء السيدة وأن تهينني في صحبة خادماها اللاتي يذكرنني بالغربان. لكنني ابتعدت. وحينما التقيت به مرة أخرى، اقترب نحوي وتنهَّد برقة قائلاً:

- رغم أنك جرحتينني فإن فكرة لمس يديك لجسدي يخفف من الجرح.

لم أجبه.

سعلت السيدة بصوتٍ عالٍ. نظرت إلى بعينيهما الشرهتين الضيقتين. كانت نظراتها كسنصل سكينٍ حادٍ يحوم حول وجهي جارحًا إيَّاه. حملتُ في أفرع الشجر ناظرة نحو الطائر المولود حديثًا أعلي الشجرة متأملة شعاع الشمس الذي انعكس عن رأسه الأصفر. تساءلت في نفسي أنه ربما أن هذا الطائر أتى أيضًا من أسرة "خوانج".

ضممت شفتي وشرعت أغرد له عدة مرات.

قالت السيدة ساخرة عندما خرجنا بعد العشاء:

- يا له من شيء مؤسف للأسرة حقًا.

أجبتها:

- بالفعل.

جذبت أُمي كمي.

ظلت كلمات السيدة الخبيثة تلاحقني في الردهة الخشبية:

- "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأُمها". ابنة العاهرة تولد كي تصير مثلها وتغري الرجال.



سألتُ أُمي:

- لماذا تزوجتِ أبي وارتبطتِ بتلك الأسرة؟

ردت أُمي مبتسمة:

- كي تكون لي ابنة مثلك، "تشن إي".

يا للسماء، يمكن لأُمي ببسمتها أن تترك عطرًا جميلًا كزهور الربيع وصوتًا كالعصافير بينما ابتسامة السيدة أو الأخريات، يمكن تشبيهها بالقاذورات. قيل إنها قبل أن تصبح إحدى العاملات في بيت الزهور، كان هناك شاب اتجه إليها مطالبًا بالمياه. كانت تغسل شعرها قرب النهر وتلبية لطلبه أخذت عَرَفَة من مياه النهر وقدمتها إليه. وبعد أن أخذ الشاب رشفة من المياه، اندهش لأنه بدلًا من الشرب من المياه اكتشف أن ما شربه كان خمرًا!

سألته عدة مرات:

- هل تحولت المياه حقًا إلى خمر؟

أجابت بابتسامة:

- بالطبع لا. كانت ما تزال مياه.

لكن والدي أيضًا كان متأكدًا من ذلك. وأخبرني بشكل مؤكد أنها كانت مياه النهر لكن ما أن غرفتها أُمي بالمغرفة، حتى تحولت إلى خمر.

قال إن هناك شيئين في العالم لن يتعب منهما أبدًا: أُمي والخمر.

النبرة التي خاطب بها أُمِّي كانت كالتالي:

- "الجيو منجو..."

كانت هذه النبرة مثل نقرات على طبلة ونقر على أوتار "الجيو منجو" التي ارتعشت

بشكل طفيف في الهواء.

حينما سمع أن ابنه الأكبر معجب بأُمِّي قال وهو يبتسم:

- حقًا؟ هل شب الصبي مبكرًا؟

وفي تلك اللحظات، بدا والدي عطوفًا.



مات شاب صغير. يُقال إنه على فراش موته ناشد أسرته أن يحملوه إلى ما وراء سكن أسرة "خوانج" قبل دفنه. وبما أن أفراد أسرته متفهمون جدًّا، لم يسعهم إلا تنفيذ وصية شخص على فراش موته. وفي يوم الدفن، طلبوا من حَمَلة النعش أن يتخذوا طريقًا آخر للخروج من المدينة.

لم تكن أسرة "خوانج" أسرة عادية. فالشقاء وحده أمر محزن بما يكفي للأحياء منهم الذين ليست لديهم القدرة على تحمّل أي مشكلات أخرى.

حينما تقدم الموكب، قفز الرجال الأربعة الذين يحملون النعش فجأة من فرط الألم وأسقطوا المحفة، كما لو أن هناك شيطان قد مسهم. وهذا بالطبع ترتب عنه المغادرة. ولكن حينما رفعوا النعش مرة أخرى، شعروا بالألم في أقدامهم مرارًا وتكرارًا لدرجة أنهم أسقطوا المحفة. تكررَ هذا الأمر عدة مرات حتى تذكّر أحدهم وصية الميت: "بما أنه كان جادًا بشأن طلبه هذا، من الأفضل أن نذهب إلى ما وراء سكن أسرة خوانج".

بشكل غريب تمامًا، بمجرد أن التف التابوت متجهًا إلى سكننا، سار حملة التابوت بخفة مرة أخرى دون أي متاعب.

حينما وصلوا إلى بوابة الحديقة الخلفية لبيتنا، توقّف حملة النعش مرة أخرى زاعمين أنه لا بد أنه يزن خمسمائة كيلوجرام الآن.

جُنّ والد الميت من الغضب، وشك أن هناك عقل بارع يخطط لتلك الخطط القذرة، واستعان بأربعة رجال أقوياء من المعرض والذين حملوا النعش بقوة بعيدًا، لكنهم كذلك لم يتمكنوا من رفعه.

شعروا بالدهشة ونظروا تجاه الرجال الآخرين وشكوا إن كانوا قد عملوا ما بوسعهم بالفعل أم لا قائلين: "ما الأمر؟".

حاولوا مرة أخرى.

ظل التابوت ثابتاً في مكانه، كما لو كان مثبتاً بالأرض.

انتشرت النميمة والأقاويل سريعاً كما لو أنها تملك جناحين بأنه "يبدو أن الصبي مغرم بالآنسة" تشن إي" من بيت أسرة "خوانج" ومات في النهاية بسبب عشقه هذا".

أرسلت السيدة لكبير الخدم الذي طلب من المجموعة الانصراف، وهددهم حتى برفع قضية.

صفح كبير الخدم والد الميit وأهانته لدرجة أنه سقط على الأرض وانتحب وهو يقول:

- يا إله السماء، ارحمني...

بالطبع لم يتلق أية إجابة من السماء، لذا عاد إلى التابوت وصاح:

- يا بُني، اجلس إن كنت ما زال فيك الروح...

تنهد شخص ما قائلاً:

- لقد جُنَّ.

أمر كبير الخدم بإبعاده وإبقائه في مكان آخر ينتحب به، لكن التابوت كان ما يزال موضوعاً قرب البوابة في الحديقة الخلفية. لذا أمر كبير الخدم نفسه حملة التابوت السابقين والذين حلوا محلهم فيما بعد برفعه، لكنه لم يتحرك بوصة واحدة. فحاول بعدئذ بأن يضع عصوين للتابوت ويساعد الثمانية رجال

في جهودهم، بينما رتل أحد ما بعض التراتيل لهم. لكن لم يتأثر التابوت بأية جهود بكل بساطة.

حينئذ أصبح وجه كبير الخدم في لون الباذنجان من شدة الغضب وقال بنبرة عالية:
- انتظروا. إذا تمكنا من تحريك التابوت، ستُعذبون جميعاً.
ثم عاد مسرعاً إلى المنزل لإخبار سيده بما يحدث.
أمرته السيدة بأن يختار بعضاً من الخدم الأقوياء من المنزل. وحاولوا، لكن دون جدوى.
تجمع المزيد من الحشد المشاهدين للموقف وتسببوا في زحام في الشارع.
في تلك اللحظة فقط، علمت بالشاب الذي مات من عشقه لي.
اعتقدت في بادئ الأمر أن كل هذا مجرد مزحة، خاصة أن أحد خدم السيدة هو من سرد
القصة، كيف يمكنني أن أصدق هذه القصة إذن؟

4

أرسلت السيدة في طلبي. حينما دخلت هدأت الثرثرة في الغرفة بأكملها فجأة، ووخزني
نظرات عيونهم الحادة والصعبة مثل نعيق الغربان.
قالت السيدة بصوت رفيع وحاد مثل سلك حديدي يقطع عنقي وبوجه حالك:
- فلتخرجي هذا التابوت اللعين بأية وسيلة بسرعة بقدر الإمكان حتى لو وجب أن يتم
وضعه وتدفني فيه مع هذا الشاب قصير العمر.

على إثر تلك الكلمات أجبت:

- لكن...!

وجهت نظري إلى السيدة التي أحضرتني إلى هنا وسألت:

- ماذا عساي أن أفعل بحق السماء إن كان الرجال قد فشلوا في تحريك التابوت؟

قالت السيدة ساخرة:

- ربما الآخرون لا يسعهم أن يرفعوا التابوت، لكنك أنت وأملكِ تتمتعن بقدرات خارقة.

فلو استطاعت أمكِ أن تحول الماء إلى خمر ربما أنتِ أيضاً تستطيعين أن تحيي الموتى، وفيما

بعد سيخرج من تابوته ويدخل مقبرته بنفسه.

أطلقت النساء من خلفي الضحكات.

حينما خرجتُ من غرفة السيدة، جرت أُمي نحوي في الردهة الخشبية وقالت:

- "تشن إي" لا يمكنكِ الذهاب.

أمسكت يديها المتجمدتين بي بقوة.

تذكرت كلمات السيدة رغم أنني لم أكن متأكدة من مدي مصداقيتها فقلت:

- لقد قالوا... خارج الحديقة...

هل يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ مثل قصة الماء في مغرفة أُمي الذي تحول إلى خمر؟

قالت أُمي:

- لا يمكنكِ الذهاب.

سُمع صوت السيدة خارج غرفتها قائلة:

- لقد أرسلتها.

همست أُمِّي قائلة:

- لا يمكنكِ الذهاب. لو علمت أسرة زوجكِ بذلك فلن تنعمي أبدًا في حياتكِ.

- لكن...

- لقد سيطروا عليكِ.

ضربت أُمِّي الأرض بقدمها من قلقها، ولمعت الدموع في عينيها. فقد كنت كبيرة في السن

بما يكفي كي أتزوج، بينما بدت هي مثل فتاة صغيرة.

خرجت السيدة من غرفتها وألحت على بنبرة متسلطة وقالت:

- "تشن إي"! لماذا ما زلتِ هنا؟

توسلت إليها أُمِّي قائلة:

- لا يمكنها أن تذهب يا سيدتي. فـ"تشن إي" لم تتزوج بعد. ومن غير المناسب لها أن

تظهر في العلن.

أرجعت السيدة رأسها إلى الوراء وضحكت ضحكة جوفاء وقالت:

- هل تعلميني الأصول؟!

ضحكت النساء اللاتي كن وراءها مثلها نفس تلك الضحكات الجوفاء، كما لو كن يسعلن

بسبب برد أصبن به فجأة. وقالت:

- مثلما قلت "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأُمها"، والعاهرة لا تنجب سوي عاهرة

مثلها. ورغم أنها لم تكبر بما يكفي لتحسن استخدام عصي الأكل، فإنها تعلمت كيفية إغراء

الرجال. والآن مات شاب بسببها. ما الذي عسانا أن نفعله برأيكِ؟ أنبدو حمقي أمام البلدة

مع تابوت يَسُدُّ بوابة الحديقة!

قالت أُمِّي شاعرة بالخجل:

- انتظري فقط حتى يعود السيد...

قالت السيدة ببرود:

- السيد بالطبع لن يدرك الأمر جيداً بفعل حيلكِ وحديثكِ الناعم الذي يشبه الحديث الحميمي على السرير ولن يستطيع أن يعرف ما يحدث فعلاً. والآن بما أن كل البلدة محتشدة خارج البيت فالسيد لن يسعه الدخول حتى لو كان عائداً للبيت. وهكذا فلا بديل عنكِ أو "تشن إي" من يمكنه أن يخرج ويبعد هؤلاء الرجال مع التابوت الذي معهم.

- من فضلك لا تفعلي ذلك.

قالت السيدة وهي تنظر للناس نظرة عابرة، وتشعر بالفخر بصوتها العالي:

- أنا من يتوسل بوضع حد لما يحدث. أتوسل إليك بأن تدعي أسرة "خوانج" يرحلون من هنا. نحن أسرة محترمة وفاضلة. وحتى لو أننا - أفراد هذه الأسرة الكبار سنًا - لم يعد يهمننا شيئاً، فإنه يجب أن تضعي في اعتباركِ الأجيال التالية. فالحياة ما زالت أمامهم. وهل أنت عدمة الإحساس لدرجة أن تتسببين لهم بالشعور بالعار بسبب سوء السمعة وتحولينهم إلى جنباء؟

- السيدة لديها وجهة نظر ومحقة...

أجابت امرأة واقفة وراء السيدة:

- من رأس العين يأتي الكدر.

خرجت الدموع الحبيسة من عيني أُمي، وبللت وجنتيها. وانحنى أمام السيدة قائلة:

- من فضلك لا...

لكنني قاطعتها قبل أن تكمل حديثها.

- "تشن إي"...!

استجمعت كل قوتي في يدي لأمسك بها وأرفعها من على الأرض، بنفس قوتها حينما أمسكت منذ قليل. لن أدعها تنحني على ركبتها.

5

كانت تلك هي المرة الأولى التي سرت فيها خارج البيت منذ أن كنت في الثالثة عشرة من عمري. ولأن كبير الخدم هو من أرشدني، فقد اتجهت إلى البوابة الجانبية. ومن وسط الحشد الذي ملأ الشارع رأيت للوهلة الأولى التابوت وقد طُلي باللون الأسود موضوعًا بشكل مهيب وسط الحشد، مثل خزانة كبيرة الحجم أو غرفة صغيرة.

أتي رجل كان نصف شعر رأسه ذو لون أبيض قربي ليعتذر لي وقال:

- أنا آسف، ولكن هذا الشاب...

احمرت عيناه من فرط البكاء وبدا جلد وجهه شاحبًا أيضًا من فرط البكاء وقال:

- اعتاد أن يتصرف من وحي تفكيره، والآن هو... ميت...

أدركت تمامًا الموقف الذي بدى عالقًا فيه، ولكنني شعرت بأنني مثل من يجلس على أرجوحة ومعني خادمتي "شياو آن" وهي تدفعني من الخلف. وشعرت بأنه في حال قيامي بأية مغامرة أخرى، لاستطعت أن ألمس السحاب بأطراف أقدامي

سألتُ والده:

- هل أنا السبب؟

- ماذا قلت؟

- هل مات بسببي؟

- قال إنها الأنسة "تشن إي" من أسرة "خوانج".

لكني لم ألتقي أبدًا بهذا الشاب، وقد تولد لدي انطباع بأنه لم يَرِ أحد سوى أسرتي الحالية. ولم أفهم كيف حدث ذلك: فالابن الأكبر لموظف رسمي في الدرجة الثالثة أراد أن يتزوجني، وهناك شاب آخر مات من عشقه لي.

عندما نظرت حولي، رأيت رجالاً أقوياء يحيطون بالتابوت، يراقبونني بعيونهم التي تشبه الشرارة والتي لمعت مثل المسامير المثبتة في التابوت.

قال كبير الخدم الذي ربت على التابوت بقوة لتحويل انتباه الرجال لما هو أكثر أهمية:

- بما أن الأنسة "تشن إي" هنا، يمكنكم المحاولة مرة أخرى. ولنَ إن تمكنتم من تحريكه الآن.

أتوا جميعاً الثمانية منهم. ووضعوا أيديهم على أطراف أكتافهم وأخذوا نفساً عميقاً وبعدئذ صاح أحدهم:

- هيا بنا!

أحدث التابوت صوتاً عالياً كما لو أنه جذب من أعماق الأرض.

صاح الحشد في إعجاب.

ولكن من حملوه لم يستطيعوا التحرك كما لو أن أقدامهم غُرزت في الأرض بعمق وهم يجذبون التابوت.

ولم يَدَّعُوا العجز، بل لم يستطيعوا حتى السير لخطوة واحدة. ومجرد أن لمحتهم، استطعتُ أن أخمن بأن أقدامهم بالرغم من أنها ما تزال متصلة بجسدهم، فرجما هناك سحر من نوع خاص قد استحوذ عليها في تلك اللحظة.

سألت الأب:

- ألا تستطيع أن تفكر في أي وسيلة أخرى؟

فأجابني شاعراً بالتعاسة والإحباط:

- ما بيدي حيلة.

همست إحدى السيدات في أذني قائلة:

- جري أن تلقي شيئاً داخلياً ترتدينه على التابوت.

نظرت إليها لبرهة. رغم ملابسها العادية، اعتبرتها جميلة ولكن من الظاهر فقط، ربما

بسبب المساحيق التجميلية الثقيلة التي تضعها على وجهها.



6

لم يكن لدي أي مجوهرات، ولا قطعة واحدة. والشيء الوحيد الذي كنت أرتيه بداخلي في ذلك اليوم كان حزام صدري ارتديته في ذلك الصباح. ولذا عدتُ إلى بيتنا مع "شياو آن"، ورأيت أُمي جالسة في الردهة الخشبية وتحملق في بلاط السقف بانتباه بالغ لدرجة أنها بدت للوهلة الأولى أنها تركز على تلك الأشياء فقط. وحتى حينما سرت أمامها لم تحرك عينيها بعيداً.

لم تتح لي فرصة للحديث معها لأنني أسرعت عائدة إلى غرفتي وخلعت الحزام، وطلبت من "شياو آن" أن ترسله بالخارج.

صاحت "شياو آن" وهي تجري وتوشك على أن تتعثّر في جذر شجرة تين تقابلها في ساحة البيت:

- لقد اختفى التابوت! بمجرد أن لمس حزام الأنسة "تشن إي" أعلي التابوت أثناء حمله بعيداً.

بدأ قلبي يدق بشدة كما لو كان أصبح قلباً آخر غريباً عن قلبي وأراد أن يتركني ويذهب للآخرين، لذا ضغطت على صدري بقوة كي أبقيه في مكانه وأجعله يتصرف بالشكل المعتاد.

جلست بلا حراك لمدة ساعتين قبل أن أشعر بالهدوء. شعرت بالاختناق والضيق في صدري، كما لو أن أحدهم داس على صدري بأقدامه التي جال بها في الشارع قبل ذلك.

ذهبت للبحث عن أمي، لكنها لم تعد تجلس في الردهة الخشبية. بينما أوقفتني الخادمة التي كانت تنتظرها وأخبرتني بأن السيدة الخامسة تريد أن تبقى بمفردها. جلست هناك في المكان الذي كانت تجلس فيه وحيدة منذ برهة طويلة، وحملت في بلاط السقف الأخضر أيضاً. بدا عقلي مثل سبت الخياطة المتقلب وصار في حالة فوضي تامة، والتي آملت ألا تتفاقم بفعل الطائر المحدث على السقف. أي الغسق ومعه الرياح. كانت شجرة الخوخ في الساحة تثمر والبراعم الوردية تتطاير مع الرياح مثل الرذاذ.

في منتصف الليل شنقت أمي نفسها قرب تلك الشجرة. حينما أسرعنا إلى هناك، كان كل الناس حاضرين. وهن النسوة الكئيبات اللاتي يشبهن الغربان. وأمي راقدة وسطهن. لم يبد شكلها سيئاً تماماً. تذكرت أنها كانت ترقص ومع تطور الرقصة نمت الريشات على أذرعها وأيديها، وتحولت في نهاية الأمر إلى زوج من الأجنحة. والآن انكسرت الأجنحة وتأدَّى جسمها بعض الشيء.

أرجعت الغطاء الأبيض عليها. أدانتني السيدة قائلة:
- انظري ماذا فعلت! كل هذا بسببك أنت. لقد تجرأت حتى على السيد في الرد عليه! وصفعها ومن ثم شنقت نفسها.

بدت نبرة السيدة كما لو أنها ترى أن شق الشخص لنفسه أمر ممتع. وحتى ابتسمت في آخر حديثها.
- كانت مشاكسة جداً

- فعلاً

- وبصفحة واحدة...

وجهت أنظاري إليهن حتى تجمدت البسمة على وجوههن مثل الخنزير السمين.
عند طلوع الشمس، وجدت أبي في غرفة الطعام وهو يحتسي من إبريق في يده. حينما
رآني، أوقف يده في الهواء. نظرنا لبرهة لبعضنا البعض ثم حرك رأسه ورفع يده التي كانت
تمسك بالإبريق. وقد تدفق الخمر منه وملاً فمه المفتوح.

نظرت لذراعيه، كم تمتع بلفهما حول أمي، كما لو كان يمسك بطائر يحلق في الهواء،
ويغلق جناحيه ويأسره أثناء الطيران. تلك هي الأذرع نفسها التي رفعها نحو أمي منذ عدة
ساعات مضت وصفعها، صفقة مُعدة لي. ربما لم يدرك أبداً أن آثار اليد التي تركها على وجه
أمي ستتجول بعمق أكبر إلى جسدها وتختطف منها الروح.

- حسناً، لقد ماتت! جيد!

عدت مرة أخرى عبر الردهة الخشبية، ورأيت صورة أمي في كل مكان في البيت. أخذت
أردد برؤيتي لأمي في كل مكان:

- حسناً، لقد ماتت! جيد!



طلبت من السيدة أن تدفن أمي. وما الجدوى من عدم دفن الجثة إلا بعد مرور ثلاثة أيام لحين أن تتعفن؟

وافقت السيدة على كلامي للمرة الأولى قائلة:

- وجهة نظر، حقًا!

كانت تأمل أيضًا إن تمكنت من إرشاد والدي بأن يدفن أمي في مكانٍ آخر، والذي كلما كان بعيدًا عن مقابر أسلاف أسرة "خوانج" كان أفضل بكثير. ولكنني شعرت أن ذلك يرجع لقرار أبي. ولو أن حبه لأمي مات معها، فمن الأفضل أن تبقى أمي بعيدة عنهم. لكن والدي أصر على أن تدفن أمي في مقابر الأسلاف، وفي قبر أقرب إلى قبره. جُنّت السيدة من فرط الغضب وقالت:

- يكفي هذا منك.

لم تكن عشيقات أبي الأخريات راضيات أيضًا.

قال أبي بهدوء:

- إذا كنتن شامتات بها، فمن الممكن أن تمتن قريبًا أيضًا.

جلب الإبريق الخاص به للمقبرة وألقى بالخمير على الأرض جرعة جرعة. أبعدت النظرة الخاوية على وجهه الناس. حينما أنزل تابوت أمي في القبر وشرع الخدم بوضع التراب في الحفرة، قفز أبي فجأة في القبر وقال بصوت مسموع:

- ادفنوني معها!

نظر الخدم وهم يتكئون على أيدي مجارفهم لبعضهم البعض في ذهول.

كانت السيدة ترتعش من الغضب، ومع ذلك، أبقت فمها مغلقًا.

بعدها بلحظة، وقف أبي قرب حفرة المقبرة بنفسه، وثيابه متسخة. وبعد أن فرغ من آخر جرة وألقى الإبريق في القبر، صعد بشكل غير لائق تمامًا. حاول أحد الخدم أن يعاونه ولكنه ضرب وجهه وقال له:

- أبعد يديك القذرتين عني!

غادر أبو فورًا، دون أن ينظر إلى أحد.

تبعه بقية الناس. وفي آخر الأمر، بقيت وحدي أمام المقبرة، وسرت أحرك يدي عدة مرات على الاسمين المحفورين على حجر القبر: "جيومنجو".

"الحشائش الخضراء الكثيفة في الوادي الكبير،

هل هذا المكان الذي نمت فيه نومك الأبدي؟

كيف يسعني أن أعثر على خديك الورديين،

لكن لا أجد سوى هيكل عظمي أبيض ناصع البياض؟

لم يمسك أحدهم بكأس ويدعونني للشراب،

لا أستطيع أن أشعر سوى بالحزن البالغ لفقدانك".

لم تكن أبيات شعر "الشي دياو" الكورية تلك من تأليفي، بل من تأليف رجل يدعى "لين

تي". وليست الأشعار لوالدي بل لي. فقد أتى لهذا العالم بعد وفاتي بتسعة أعوام، وأكثر ما أحزنه

في حياته هو أنه لم يولد في العصر الذي عشت فيه. حينما لاحق خطواتي نحو "سونج دو"،

بقي وحده أمام مقبرتي لوقت طويل.

وبسبب مثابرة الشاب واهتمامه بأمري، صرت مشهورة في "سونج دو". وفي كل يوم تجد العديد من الناس وهم يتسكعون في بيتنا آملين أن يروني. وقد أحضرتني والدي مرتين للمأدبة وحتى قدمني للضيوف المميزين.

حركوا رأسهم بابتسامة وجعلوني أشعر بالخوف، فقد تسببوا في إصابة جسدي بالقشعريرة، قائلين:

- حقًا...

تعجبت مما رؤوه على وجهي وما استجلب كلمة "حقًا...".

نظرت نحو والدي الذي أبقى فمه مغلقًا من الحرج، والذي لم يلقي نظرة واحدة عليّ منذ وفاة أمي وكأنني أتسبب في العار له.

ظهرت النظرة نفسها على وجوه باقي الناس في البيت. كما لو كانوا يقولون "ها قد أتت". وهكذا فالأشياء المخزية تأتي بهذا النحو. انظروا، إنها تتناول الطعام وتشرب. وما المخزي بالطعام والشراب! انظروا، إنها ترتدي زي الحداد، ولكنها لا تستحق الاحترام. يا له من عار! لم أهتم بكل هذا. فقد كنت مختلفة عنهم؛ سواء كان ذلك عارًا أم لا، لم يتغير شيء. وباستثناء الابن الأكبر للسيدة، لم يتحدث أحد معي. ماذا إذن؟ لم يكن لدي أي شيء لأقوله لهم، وما زلت غير مؤهلة للمخاطرة بذلك.

مع هذا الوضع السيء لي في المنزل، بدا ذلك أنه يُشعر السيدة بالسُرور البالغ؛ واستطعت أن أخمن هذا من تعبيرات وجهها. لم أدرك أبدًا إن كانت تستطيع

قراءة أفكارٍ مثلما فهمتها. شعرت أنا أيضًا بالسعادة. والخزي بالنسبة لي بدا مثل الفستان
المتألق الذي يُظهر جمالي وروعتي التي عانت منها عيون الناس.
كانت عائلة الشخص الذي كان سيصير زوجي قد فسخت الخطبة.
بالطبع من عساه يتحمّل خزي تجلبه له زوجته المستقبلية؟
قال لي أبي في أحد الأيام:
- لماذا لم تكوني أنتِ من شنقت نفسها؟
حولتني كلماته تلك إلى عمود خشبي في الردهة الخشبية. ورغم أن رائحة الخمر كانت
تفوح منه وهو يقول ذلك، لم يكن يترنح من السكر.
منذ أن ماتت أمي صار أبي يتصرف بشكل غريب معي. بدا جسده مثل صدفة البحر
فقط، وأن أحشاؤه قد دُفِنَتْ في الوحل مع أمي، تمامًا مثل إبريقه المفضل.
لم يحتسِ الشراب ليسكر مرة أخرى في ظل غياب هذا الإبريق.
الآن نادرًا ما يقيم مآدب في البيت، أو يخرج لأي تجمعات. بدلاً من ذلك، أغلق باب
غرفته حينما يحل الظلام، ومن ثم ينام مثلما كان يفعل في غرفة أمي التي صارت كالصدفة
الفارغة.



9

في اليوم الذي تركت فيه بيت "خوانج" مُتجهة إلى بيت الزهور وهو اليوم الأول في الشعر السابع حينما بدا القمر رفيعًا مثل سكين صغير مقوس.

تضاءل القمر سريعًا.

لذا منحت نفسي اسمًا يليق ببيت الزهور وهو: "القمر اللامع".

التقيت بصاحبة البيت مرة واحدة. كانت هي من أخبرتني بأن ألقى شيئًا داخليًا ارتدته على التابوت قرب بوابة الحديقة الخلفية لبيت "خوانج"، لذا أجابت كل طلباتي. كنت حرة في ذلك البيت، وكان مسموحًا لي بأن أفعل أي شيء أحبه ولم يجبرني أحد على القيام بأي شيء. زعمت أسرة "خوانج" أن "تشن إي" ماتت من مرض مزمن، وأن اسم الشهرة لها المعروف بالقمر اللامع أو الشمس الساطعة لا علاقة له بالأسرة. ولن تدع أسرة "خوانج" أحدًا يشوه سمعه العائلة.

لم يطأ والدي بيوت دعارة أو زهور منذ ذلك الحين، وصار رجلًا واعظًا وبوديًا مخلصًا، فقد ترك المتع الحسية في هذه الحياة كي ينعم بالآخرة.

منذ أن صرت فتانة، رأيت والدي مرة واحدة فقط، في طريقي إلى المعبد وراء السحب لأقدم بخورًا لبوذا. في الشارع الضيق مرت عربتين تقابلتا ببطء. نظرنا إلى بعضنا البعض من خلال النوافذ. كان صامتًا، وحمل في كما لو كانت تلك المرة الأولى التي يراني فيها. كانت السيدة تجلس بالقرب منه، وقد زاد وزنها بشكل واضح.

ألقيت التحية على السيدة قائلة:

- مر وقت طويل على آخر مرة تقابلنا فيها، كيف حالك؟

بكل نظرات الاشمئزاز والكراهة التي ملأت عينيها، نظرت إلي ببرود، وبصفت على وجهي

بكلمتين خرجت من أسنانها:

- أيتها العاهرة.

رددت عليها بابتسامة.

قالت بوجه جاد وصوت أعلى مع ابتعاد العربات عن بعضها البعض:

- كنت أقول دومًا: "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأُمها" والعاهرة لا تنجب سوى

عاهرة مثلها.

نظرت بعيدًا، بدا الشارع مُبهَرًا بضوئه الأحمر وبراعم الخوخ، التي اختفى ورائها جسد

أُمي وهي تجري وترفرف جيباتها الحمراء مثل اللهب.



وشاح أحمر فوق الأرجوحة



ظهرت المزيد والمزيد من الوجوه في مدينة "نان يوان فو". كان أغلب هؤلاء الأشخاص الصغار في السن تبدو على وجوههم ملامح جادة لا تطابق عمرهم. من ضمنهم، شاب صغير يحمل سيفًا يبدو متميزًا عنهم، مثل المفتش الإمبراطوري السري من مكتب المفتش العام. تجولوا في المدينة وفي الواقع سببوا الأذى لأهل "نان يوان فو" لدرجة كبيرة قبل أن يخرجوا قطنهم من خارج الحقيبة بشكل مشكوك به: وجذبتهم هنا قصص مغنيات "البان سلي" فالتقوا بـ"مدام شيانج" التي قالت متسائلة:

- أوه، أهذا سبب كل ما يحدث هنا؟!

شعر الناس في "نان يوان فو" بالراحة وأدركوا في الوقت نفسه أن أسطورة "مدام شيانج" انتشرت بعيدًا والي أماكن لم يذهبوا إليها من قبل أو وطأتها أقدامهم قط أو خطرت على بالهم. وجود هؤلاء الغرباء دون شك أثري محتويات القصص التي تغنيها مغنيات "البان سلي" ويكتبها الأدباء. إذًا يمكن القول إن هناك أمرين أحدثوا ضجة في "نان يوان فو"، وهما، شهرة "مدام شيانج"، وعطر الخمر الذي انتشر في حانة تيار الزهور.

في ظل تلك الظروف عادت موسيقي البلاط الملكي إلى "نان يوان فو". كان ذلك الموسيقي الذي ألف شعر المديح عن "مدام شيانج":

"سيدة تشبه براعم الكمثرى تحت المعابد القمرية البيضاء،
رجل فضى قرب درب التبانة في الليل الحالك،
بقلب ملأته الرغبة والحب العارم.
فقط طائر الوقواق كان شاهداً.
انتفخت معدته بريشها الأخضر،
وسيستحم في النهر الصغير ويفهم الأمر جيداً؛
والسيف تم رفعه والحزام محكم ودفع وطنه للعمل".
دائماً ما يحترم الناس "مدام شيانج" رغم أنها كان لديها طفلاً من دون زواج وتم نسبه إلى
أحد الرجال النبلاء، وما هو أكثر من ذلك حينما هُجرت، لم تبك بشدة مثل باقي النسوة.
ومنذ ذلك الوقت وبشكل غريب تماماً، بدت أكثر جمالاً وسحراً.
في أحد الأيام، كان هناك موظف رسمي من الرتبة الثالثة أتى من متجر العطور وتناول
كأسين من الخمر في حانة تيار الزهور قبل أن يغادر متجهاً إلى المدينة. ورغم أن كل من كانوا
في الحانة خمنوا خفية أنه عريس، فقد تصرف كما لو أنه لم ير أي شخص، مع لمعة غريبة
بادية في عينيه وابتسامة على وجهه. حينما انتهى من شرب الخمر، هز رأسه وتنفس الصعداء
بشكل طفيف وقال:
- هذه المرأة الفاتنة!
انتشر ذلك في المدينة بأسرها. وحاول صاحب حانة تيار الزهور جاهداً أن يجعل الآخرين
يعتقدون أن الخمر وليس "مدام شيانج" هو ما أعجب الموظف، ولذا فإن الخمر الذي شربه
كان أفضل نوع من أنواع الخمر، فهو أكثر إغراءً حتى من "مدام شيانج". ونتيجة لذلك، غالباً
ما كان يموت ضحكاً في "تيان يوان فو".

كان الناس في "تيان يوان فو" يتنهدون كثيرًا بشكل يومي تقريبًا ويرددون عبارات مثل: "حقيقة إن "مدام شيانج" ليست امرأة عادية".

تدفق الرجال إلى متجر العطور وكانوا أشخاصًا ذا نفوذ قوي، وأغرموا جميعًا بـ"مدام شيانج"، وحتى أهل مدينة "تيان يوان فو" جميعًا قد طار عقلهم. وذلك بفضل أشعار "الشي دياو" التي ألفها موسيقي البلاط الملكي، فأدرك الناس فجأة في "تيان يوان فو" أن "مدام شيانج" على أي حال لا تختلف عن باقي الفنانات الأخريات، فكلاهما نوع من أنواع الرفاهية للرجال.

تقاعد موسيقي البلاط الملكي عن عمله بسبب المياه البيضاء التي أصابت عينيه. رغم أنه دومًا ما اتسم بالغرور، اكتشف لدى عودته إلى بلده الأم أنه لم يهتم أحد في الواقع بسنوات خبرته التي بلغت اثنتي وعشرين عامًا من الخدمة في البلاط. أما "مدام شيانج" فهي التي كانت محل الاهتمام كله.

في أحد الأيام، التقى موسيقي البلاط الملكي بشاب والذي خمن من ملبسه أنه لا بد أنه من أسرة نبيلة، أو ابن لأسرة غنية. رغم أن بصره كان يزداد ضعفًا، استطاع أن يدرك أن الشاب كان يحمل سيفًا قيمًا من بريقه المبهر.

كان الشاب يحمل بيد كأس خمر، ويخربش على المنضدة بالسيف في اليد الأخرى. ولم يتجه أحد إليه كي يوقفه. حاملًا انتهى من الخربشة، أزال سطح المنضدة وكأنه يزيل اللحاء من شجرة. بعدئذ نادى على النادل كي يطلب الفاتورة، وترك ما يكفي من العملات الفضية كي يشتري دسنة من الطاولات الجديدة.

تنهد موسيقي البلاط الملكي الأسبق وهو يشعر بمشاعر مختلطة ناظرًا نحو عميل رفيق له يجلس بقربه وقال:

- "مدام شيانج" كالإناء الذهبي لدرجة أن حتى الصغار جدًّا في السن لا يسعهم إلا الانجذاب إليها.

دون التفوه بأي كلمة أخرى، اندفع الشاب نحو موسيقي البلاط الملكي بسيفه في يده اليمني.

في الصباح فُتِحَت الحانة والعملاء كانوا ما يزالون واعيين. اندفع بعض الشباب اليافعين في تلك اللحظة لإيقاف شاب وهو يعمل. وحينما سمع الرجل المسن الضوضاء واستدار كي يرى ما يحدث، وجد طرف السيف على بعد نصف قدم من صدره.

حيث أن الشاب قد دُفِع بقوة وسُحِبَ إلى أسفل السلم، استدار الشاب نحو أسفل السلم وأبعد الأيدي من على أكتافه، وقال وطرف السيف موجهاً إلى موسيقي البلاط الملكي:

- لا تقل شيئاً: فعاجلاً أم آجلاً سأقص لسانك مثل الأعشاب الضارة الموجودة بالحديقة.

صار لون عينيه داكناً، وتعبيراتها واضحة، لكن باردة.

ارتعد موسيقي البلاط الملكي لمدة طويلة، ربما من الغضب أو الخوف، من يعلم؟ ولم يهدأ حتى شرب ثلاث زجاجات من الخمر جعلته يستعيد قدرته على الكلام.

- من أين أتى هذا الفتى؟ كيف له أن يتحدث بهذا الأسلوب مع موسيقي خدم في البلاط

الملكي لمدة عشرين عاماً؟

ضرب المنضدة قائلاً:

- شيء مهين! حقاً يا له من شيء مهين!

في عصر ذلك اليوم، فتح الموسيقي عدة زجاجات خمر لنفسه ولباقى الزبائن الآخرين. وحينما رأى نقوشاً طينية منحوتة على إحدى تلك الزجاجات، أخذ طلبة صغيرة معلقة علي الحائط كديكور وأخذ يؤدي دوره كمغني "بان

سلي"، ويسرد حكايات حول بيوت الزهور في مدينة "سيول" وملقبًا كل البطلات في القصص بـ"مدام شيانج".

بدأت قصصه "البان سلي" مشهورة إلى حد كبير، وبالتالي اعتاد أن يحكي قصة أو قصتين منهم في حانة تيار الزهور كل يوم في العصر، حيث يتدفق الناس مع عمال المزارع الذين يعملون في الحقل وقد تعلقوا بقصصه تلك وكانوا يستمعون إليها وهم يأكلون كرات الأرز.

في إحدى الليالي بعدها بشهرٍ لاحق، اختفى موسيقي البلاط الملكي. وبعد أيام من البحث عنه، عثرت عليه أسرته أخيرًا في الجبال مربوطًا بشجرة تنوب، وفوق رأسه لسانه الذي بدا للوهلة الأولى لمن لا يدقق النظر مثل ورقة شجر ذابلة، كان مقطوعًا ومدقوقًا بالشجرة بمسمارٍ فضي. ورغم حياته التي عاشها بكرامة وعزة، فإنه قد جُرد من ملابسه، وتلطيخ جسده كله بالعسل وغطته أسراب النمل حتى صار كأنه يرتدي رداءً متحرگا.

وضعت أسرته جسده الملدوغ من النحل على محفة ولسانه الجاف في فمه بعد أن تم جذبه من على الشجرة من المسمار الفضي والذي لوهلة بدا مثل شيء بصفه الموسيقي بنفسه.

مرت أسرة الموسيقي خلال المعرض في فترة العصر حينما كان العمل في عز نشاطه. وضعوا جميعًا كرات من القطن في فتحتي أنفهم، والنساء ممن تابعوهم أنزلن رؤوسهن على صدورهن وأمسكن بأنوفهن وهو ما أثار على صوت نحيبهم.

اندفع الناس إلى الموكب من كلا الجانبين. وحينما اقترب الأسرع منهم من موسيقي البلاط الملكي الراحل، أرادوا الابتعاد عنه سريعًا، لكنهم لم يتمكنوا من هذا نظرًا لوجود الكثيرين ممن يندفعون خلفهم، فاقتربوا أكثر من الجثة بدلًا من الابتعاد عنها.

سقط القليل جدًا من الناس أرضًا وتقيؤوا بسبب الرائحة الكريهة المنبعثة من الجثة. سارت الأسرة في موكب هائل طوال الطريق نحو البوابة الخاصة بالحكومة المحلية عبر الردهة التي شغلها شاهدي العيان على جانبي الطريق. كان هناك رجلين قد تبادلا الضرب على الطبلة لاستدعاء الإدارة. ولكن حاكم "تيان يوان فو" لم يظهر إلا في المرة الخامسة من الضرب الإيقاعي، وبدأ عليه التعب الشديد.

ذرف أقارب الفنان الميت دموع الخزي والغضب.

قال أقارب الفنان، وأيديهم كادت تلمس وجه الحاكم تقريبًا:

- إنه شيء لا يُغتفر لفنان أدى خدمته في البلاط الملكي لمدة عشرين عامًا أن ينتهي به الأمر إلى ذلك. يا مولانا، حقًا عليك أن تقترب وترى بنفسك ما حدث لجثة الموسيقي التي بدت غير واضحة الملامح.

عبس الحاكم وهو جالس في كرسيه الرسمي، وأمر الحارسين الواقفين على كلا الجانبين بتهويلته.

قال الحاكم:

- الرائحة شنيعة.

أجابت الأسرة:

- "مدام شيانج" العاهرة يجب أن تُلأم على كل ذلك.

سكت الحاكم لبرهة ثم قال:

- "مدام شيانج"؟ كيف لامرأة أن ترتكب شيئًا مثل ذلك؟

- حتى لو لم تكن هي القاتلة، لابد أنها كانت العقل المدبر.

- إذن من تواطأ في ذلك؟ وهل لديكم أي دليل؟

- قال الحشد المتجمع من أسرة الفنان بعد دقيقة من الحملقة:
- لقد خدم الموسيقى بالقصر لمدة عشرين عامًا...
- قاطعهم الحاكم بابتسامة:
- أعلم ذلك، أعلم أن الفنان عمل في القصر الإمبراطوري. هل تريدون مني أن أتقدم بطلب للملك كي يمنحه تكريمًا بعد وفاته على شرفه؟
- لا نريد أكثر من تطبيق العدالة على القاتل كي ترقد روح الميِّت في سلام.
- نهض الحاكم من كرسیه ويديه على المنضدة ثم قال:
- بالطبع.
- نظر للحارسين الواقفين بجواره على الجانبين الأيمن والأيسر، وقال:
- أنتما الاثنان وجب أن تتوليان معرفة من جرؤ على قتل موسيقي البلاط الملكي.
- بمجرد أن أجاب الحارسان، صاحت أسرة الرجل الميت بصوت عالٍ:
- من الواضح تمامًا أن "مدام شيانج" هي القاتلة. وقد ارتكبت هذه الجريمة بدافع الانتقام.
- وما الذي يدعو "مدام شيانج" إلى الانتقام من الموسيقي؟
- كان الموسيقي يؤدي بعض قصص "البان سلي" التي تدور حول بيوت الزهور، والتي من المؤكد أن "مدام شيانج" اعتبرتها بمثابة تلميحات ضدها ومن ثم سعت للانتقام منه.
- وبحكم خبرته في القصر الإمبراطوري كيف يتسنى للموسيقي أن يشترك في أعمال تتعلق بمغنيات "البان سلي"؟ وما علاقة قصص "البان سلي" بـ "مدام شيانج"؟ في الواقع أنا نفسي سمعت بالمشاحنة بين الموسيقي والشاب الذي كان يحمل سيفًا في الحانة، والذي قال شيئًا ما عن لسانه.

تذكّر الحاكم أمراً ما وابتسم لنفسه وقال:

- إن هذا الشاب مُعجب كثيراً بـ"مدام شيانج"، وأخشى من أنه من المحتمل أنه لم يدع الأمر يمر بسهولة إذا أُهينت محبوبته.

قال ابن الأخ الأصغر لموسيقي البلاط هازناً:

- أخشى أن يكون هناك سبب ما يجعل سيدك مولعاً ولعاً شديداً بتلك العاهرة المخزية. تجمدت الابتسامة على وجه الحاكم. وبقي يحملق في الشاب الذي كان وقحاً بما فيه الكفاية كي يتحده، رفع يديه من على المنضدة وسقط مرة أخرى في كرسیه بضجر. وقال بهدوء:

- وقاحتك لا تتماشى مع عمرك. إذن فلتخبرني ما السبب.

- حينما اختفى عمي بحثنا عنه ليلاً ونهاراً. وفي المساء بعد اليوم الذي فُقد فيه عمي، رأينا عربة "مدام شيانج" عند إحدى جانبي بوابة منزل. كانت عربتها مصنوعة من أحسن أنواع الخشب ويجرها حصانان لهما شعر أبيض مثل الساتان، ولذا بدا من السهل أن نتعرف عليها حتى في الظلام. ورأيت بعيني حقيقة كبرى قد حُمِلَتْ خارج العربة قبل أن تغادر. حينئذ عندما مررت أمام البوابة الجانبية في وقت بزوغ الفجر، رأيت عربتها مرة أخرى تركن هناك، وعندما خرج رجل يرتدي معطفاً طويلاً من بيتك ودخل العربة، غادرتُ بعيداً.

قال الحاكم مبتسماً:

- لا بد أنك تعلمت فن "البان سلي" من موسيقي البلاط الملكي نفسه، أليس كذلك؟ قصتك محبوبكة جيداً حقاً. ولكن مع عرض حياة الناس للخطر، لا يمكنني حتى الاستماع إليك. وفي حال استمرت في نسج تلك الأكاذيب سأقبض عليك بتهمة إهانة موظفين رسميين. ولكن الآن...

نظر إلى الحارسين على جانبيه واستمر بالحديث قائلاً:

- أكثر شخص يمكن الشك به هو الشاب الذي تعارك مع الموسيقي في الحانة. ولذا يجب أن نقبض عليه أولاً.

بعد أن قال حاكم "تيان يوان فو" ذلك، غادر المكتب.

لذا بدأ الحراس المملكون البحث عن الشاب الذي تسبب حديثه غير الحذر في مشكلات. قبل أن ينتهي أمر موسيقي البلاط الملكي كطعمٍ للنمل، فإن الجميع في شارع "تيان يوان فو" كانوا يسمعون عما حدث مع ذلك الشاب، ولكن منذ موت الفنان، لم يعلم أحد مكان وجوده.

وبعد الفشل في الحصول على أي إجابة مرضية من الحكومة المحلية، حملت أسرة المييت جثة الموسيقي المتعفنة إلى بوابة بيت "مدام شيانج" حيثما أعدوا منصة خشبية بارتفاع ثلاثة رجال يقفون فوق بعضهم البعض. ووضعا الموسيقي فوق الكرسي الخشبي فوق المنصة، وأجروا دسنة أو أكثر من النساء من ذوات اللسان الحاد كي ترددن اللعنات بحق متجر العطور وأنوفهن محشوة بكرات القطن قبل العودة مرة أخرى إلى منازلهن للنوم ليلاً.

وفي الليلة الثالثة، نُقل الموسيقي أمام مكتب الحاكم في "تيان يوان فو"، تنبعث منه رائحة عفنه التي انتشرت في المدينة بأسرها. حيث استيقظ الأطفال ليلاً بشكلٍ فجائيٍ وتقيؤوا، وبدأت الشائعات حول الوباء المحتمل في الانتشار في كل شوارع "تيان يوان فو"، مما أصاب المدينة بحالة من الذعر.

أصبح الموسيقي المييت وقريبه الحي أقل شهرة، حيث اشتكت البلدة كلها منهما. وما هي إذن التهمة الموجهة لـ "مدام شيانج"؟ فهذه المرأة، بعيداً عن جمالها، فقيرة جداً؛ ولكن الموسيقي أضاف إلى الطين بله حينما ابتدع تلك القصة. كانت أسرته مثيرة للشفقة خائفة حيث لم تجرؤ على التعارك مع

الشاب الذي كان يحمل سيفًا ولكنها لم تتوانَ عن مضايقة سيدة ضعيفة. العار عليهم!

كان موسيقي البلاط الملكي يستحق ما حدث له! فقد تعرضت جثته لضوء النهار وصارت حفنة من اللحم العفن. حقيقة إنه يستحق ذلك. والآن أصبح ناقوس خطر الطاعون يدق. يا للشور التي اقترفها! صارت أسرة الموسيقي الراحل أكثر أسرة مكروهة، ولم يجرؤوا على الاقتراب من الجثة مرة أخرى ووجب عليهم أن يدركوا أنها يجب أن تنقل على محفة يحملها بعض السكارى الفقراء بأمر من مكتب الحاكم لتُلقَى عند الجبال.

لم يكن هناك أي انتشار لمرض الطاعون.

تحسنت أوضاع شعب "تيان يوان فو" بالتدريج.

بعدئذ ببضعة أشهر، عاد شخص ما من الجبال وقال إنه رأى هيكلًا عظيمًا أتت عليه أسراب النمل وكان يتحرك محدثًا صوتًا بفعل الرياح، كما لو أن موسيقي البلاط الملكي كان يغني قصص "البان ساي".

وبعدها بعامين، نُقل حاكم "تيان يوان فو" إلى وظيفة صورية في مكتب المفتش العام في مدينة "سيول". وحينما كان الرجال يتحدثون عن الحب وأموره في حفل خمر، كان الحديث موجهاً حول "مدام شيانج" في "تيان يوان فو" وحاكم "تيان يوان فو" السابق فيما يتعلق بمقتل موسيقي البلاط الملكي.

سأل أحد الرجال:

- هل ما قاله ابن أخ الموسيقي صحيحًا؟ هل قامت "مدام شيانج" حقًا بزيارة بيتك في تلك الليلة؟

- جاءني زائر بالفعل، ولكنه لم يكن "مدام شيانج" بل "جين بياو" مغنية بيت الزهور المعروفة من "تشوان تشو".

قال شخص آخر:

- لقد سمعت عنها. يقال إنها قادرة على أداء رقصة كاملة على حلبة رقص واحدة.

قال الحاكم السابق لـ "تيان يوان فو" وكأنه فاقد الوعي شيئًا ما:

- كانت حقًا امرأة نحيفة.

- إذن هل أرسلت "مدام شيانج" مغنية بيت زهور كي تقوم برشوتك بدلًا من نفسها؟

- أنت "جين بياو" فقط لتبلغني بشأن ما حدث في حانة تيار الورود ومن صحبت "مدام

شيانج" بعد ثلاثة أيام من فقدان الموسيقي.

ضحك رجل وهو يقول:

- وبالطبع لم تخدعك مثل تلك الحيل.

حرف شخص آخر الكلام وقال:

- سواء خُدعت أم لا. كلٌ يحدث على حسب الظروف.

انفجر كل الرجال في الضحك.

أثارت زوجته الموضوع مرة أخرى حينما كانت تنتظره قبل النوم وقالت:

- أنا متأكدة تمامًا ومهتمة بأفعال "جين بياو".

ظهرت ابتسامة غامضة نوعًا ما على وجه وقال:

- لا أتذكر ما قالته وهو أمر لا يستحق الذكر على كل حال. ولكن حينما

رحلت في الصباح التالي وجدت صندوقًا حملته إلى بيتنا. في الليلة السابقة حينما

حُملت "جين بياو" إلى غرفتي الداخلية في ذلك الصندوق، تعجبت من كيفية

جعل صندوق واحد أربعة شباب أشداء لا يتنفسون؟ ولماذا يجب أن تُحمل إلى بيتنا أمام أعين الناس بدلاً من أن تتخفى مرتدية عباءة؟
- أتعني أنه كان هناك حيل أخرى في الصندوق؟
قال الحاكم السابق وهو يبتسم:
- إنه كان الصندوق نفسه. في ذلك الصباح اكتشفت أن الصندوق صُنع من الذهب الخالص.

دُهِشت زوجته.

قالت وهي عابسة:

- يا لها من امرأة واسعة الحيلة! ومن رأيك إذن هل علمتُ من كان القاتل؟

ضم الحاكم السابق لـ "تيان يوان فو" شفتيه وشرب بلطف الشاي من الفنجان وقال:

- القاتل لم يكن سوى الرجل الأحمق نفسه الذي كان يسأل عنه.

واستكمل الحديث بهدوء قائلاً:

- ما الشيء العظيم جدًّا في قضاء بضع سنوات في القصر! حتى التنين الكبير لا يسعه التصرف مع حية محلية، والأشخاص في الخارج أقوىاء جدًّا لدرجة أنه يصعب التغلب على حكماء الشارع بمفرده، ناهيكم عنه!

ابتسمت زوجته ثم قالت:

- لقد تفاقم مرض عينيه ولا عجب أنه لم يعد يستطيع الرؤية.

رقصة الكاهنة



لم يكن معروفاً موعد توقف المطر. عندما جلس "الراهب تشي تزو" متأملاً، بدا المطر جميلاً وغزيراً مثل الخيوط الحريرية التي حيكت ما بين السماء والأرض، ومزخرفاً عليها أشكال مثل الجبال والأشجار والمعابد. كان يغني لنفسه بصوت خفي "السوترا"، ويشعر أنه ينكمش وينكمش مثل اليرقة حيث بدت روحه مثل قطرة ماء ذو عمق وعرض لا نهائي منسوج لعالم آخر.

هناك، كانت رائحة الأشجار ونكهة العشب الطازجة تملأ الأجواء في الليل، والنفحات الخفيفة المجددة للبرودة تكسر الصمت كالعطر الذي ينتشر فجأة في اللحظة التي يتحول فيها البرعم إلى زهر ولكنها تبقى في مكانها في الحال كما لو فاجأها أحد فتنشر على هيئة نفحات ونسمات في كل مكان.

فتح "الراهب تشي تزو" عينيه وأدرك أنه قيد المراقبة.

كانت هناك امرأة تنحني على ركبتها عند البوابة. كانت ترتدي فستاناً صيفياً أنيقاً مليئاً بالنقوش ومجسماً لها، كان من السهل رؤيتها، شعرها مفروداً بخفة على أكتافها، تتساقط منه قطرات المياه عند الأطراف، وجهها شاحباً مثل ورقة تغليف تحيط بخصلات شعرها الداكنة. كانت تعض أسنانها بشدة لمنع نفسها من أن تصدر أي صوت وهي ترتعش.

نظر السيد نحو السطح، وتعجب بحق السماء من كيفية دخولها المعبد، ومروها عبر عدة ساحات كي تأتي هنا في مثل هذا الوقت، إن لم يتعجب من كيفية سقوطها من السماء. قال الراهب: "يا إلهي!"

فتحت المرأة فمها ولكنها لم تستطع التفوه بأي كلمة من شفيتها المرتعشتين. كانت عيونها سوداوين وعميقتين كما لو كانت تلك العيون قد جذبت الليل بأسره وبرودة العالم كله.

نزل "الراهب تشي تزو" من الكنية المصنوعة من خشب البامبو، واقترب من المرأة. كانت أقرب أحياء سكنية للمعبد على بعد آلاف المسافات. رغم أن وزن المرأة لم يكن أثقل من وزن ريشة، لم يعتقد السيد أنه من السهل عليه حملها بيديه، ولم يجد الأمر مجدياً تماماً. انهارت بين ذراعيه، كانت مبلة وباردة، وذلك ما جعله يرتعد كثيراً. كانت عينيها المغلقتين تقريباً من وراء رموش طويلة وكثيفة تذكره بثعلب بري.

وضعها "الراهب تشي تزو" على كنية البامبو. تحول الفحم المحترق في الحوض الأرضي تقريباً إلى رماد، وانبعث منه وهج بسيط وطفيف، مثل فاصلة الكتب المصنوعة من الحرير الأحمر التي تبرز خارج صفحات الكتاب. أخذ يزيد من إشعال الرماد بعصا حديدية، وأضاف قليلاً من قطع الفحم التي التقطها من الدلو الخشبي، ووضع بسرعة البراد الحديدي المحتوي على المياه الآتية من ينباع إلى الحوض.

وضع أيضاً مجموعة من الملابس بالقرب منها وغادر الغرفة بعد أن طبّق الملابس. كان الجو في الخارج منعشاً لكنه بارد. شعر كما لو أنه بالقرب من بحيرة تصدر نسماها اللطيفة. كانت رائحة الورود التي تنتشر في عدة أماكن في الهواء لا بد أنها نمت من براعم أدركتها السماء، وكانت مياه المطر تترك شقوقاً في

البلاط وتتساقط في قطرات على أطراف السطح. بقى حذاء المرأة خارج البوابة مبللاً لكنه ليس ملطخاً بالطين.

نظر "الراهب تشي تزو" إلى السماء، تبددت كل سحبها الكثيفة، وتسلس اللون الأزرق العميق من ثنايا الليل المظلم في السماء، وبزغ القمر في شكل فضي ودائري مثل طبق من الفضة، كان إشعاعه طفيفاً إلى حد ما، وتذكّراً بسيطاً بعالم آخر مليئ بالسلام والبراءة. نادى أحد بالداخل بصوت لطيف:

- سيدي...

أجاب الراهب، ولكنه استدار فقط كي يفتح الباب ويسحبه ويدخل بعد أن ظل يحملق في القمر لبرهة.

ارتدت المرأة الملابس التي أحضرها لها، ووضعت حتى عباءة الرهبان الخاصة به على كتفيها. كان ذلك الرداء مصنوعاً من أجمل أنواع النسيج ومخيّط بعناية، كان لونه أحمر قرمزي. خيّطت الملابس بخيط ذهبي بغيرز رجل الغراب. وعندما ارتداها هو لأول مرة، شعر أنه يغطس في روعة هائلة من السحب الجميلة التي جعلت ساقيه يصابان بالضعف. مؤخراً فقط بدأ يشعر بنفسه وبتناغم مع العباءة والجديّة التي أحس بها وهو يرتديها. اتجه "الراهب تشي تزو" إلى كنبّة البامبو وتمدد بثبات سريعاً على الوسادة. - القمر اللامع يبدي احترامه للسيد.

أحاطت خصلات شعر المرأة المبللة بخديها مثل قطعتين من قماش الساتان الأسود، ويديها، واحدة فوق الأخرى رفعتهم فوق رأسها حينما كانت تنحني على ركبتها على الأرض، وفي ذلك الحين بدا فرق شعرها واضحاً وهي تنحني.

رد الراهب التحية بيد واحدة وقال:

- يا إلهي! ما الذي أحضرك إلى هنا في هذه الليلة أيتها الراحية؟

نظرت للأسفل وقالت:

- أعاني من غصة في قلبي وأخشى أن أضايقك بمحاولة حلها.

نظر الراهب إلى الشماعة المعلقة عليها فستانها الرائع المزخرف بمختلف الرسومات

الصفيفة الجميلة وقال لها:

- في هذه الساعة...

ونظر إليها مرة أخرى وأومأ إيماءة خفيفة برأسه وقال:

- تفضلي أيتها الراحية.

بعد لحظة من الصمت نظرت للأعلى إلى الراهب، كانت عيناها تلمعان تجاه عباءة

الرهبان في ضوء الشمعة مثل لمعان عيون قطة، وقالت:

- سيدي، أود أن أعلم كيف يمكنني معالجة جسدي؟

قال لها السيد:

- الجسد البشري يصعب الوصول معه إلى شيء، ومن الواجب أن يحترمه صاحبه.

- رغم اهتمامي به، إلا أن الروح أحياناً تبدو وكأنها تُسحب منه وتذهب إلى مكانٍ ما

قريباً منه مثل فراشة ترقب ابتهاج وغضب وحب وكراهية الجسد. وهلم جرا.

فسر لها "الراهب تشي تزو" ذلك:

- كل هذا هراء.

استطرد قائلاً:

- يمكن لطبيعة عقلك الإلمام بممارسة البوذية، ومن ثم لن تقلقك مثل تلك الظواهر الفيزيائية.

تنهدت بخفة وسألته:

- ولكن كيف لإنسانٍ مثلي أن يحقق كل تلك الفضائل ويتمتع بالحكمة التي لديك؟ فالجسد بالنسبة لي مجرد سلعة والتي تظهر غالبًا الولع والملذات والوله بمجرد أن تفتح. ينجذب كل رجال العالم لي وأنا أيضًا أتعرض لتجارب أشعر فيها بمتع مختلفة من علاقتي معهم.

قال لها الراهب:

- في أحلام المرء، ينسي أنه ضيقًا في هذه الدنيا، وبمجرد نزولنا إلى هذا العالم البشري فإننا جميعًا نتعرض لحياة مليئة بالتعاسة المريرة. إذن لا تسمح لي بالحيرة بالتملك منك.

قالت له المرأة:

- تتفتح الزهور فقط لفترة قصيرة ثم تذبل، ومثلها الملذات. فإن كان الكل يعيش في كبد في حياتهم القصيرة، إذن فلا يوجد سبب كي نهدر أجمل أيام شبابنا.

- الملذات مجرد وهم. وإن قرر المرء قضاء حياته في مثل تلك المتع، وتوقف عن ممارسة البوذية فلا شك أنه سيعاني في الآخرة.

- لكن أفهمني كيف لا أشعر بأي معاناة؟ في الواقع أنا غارقة في الملذات.

نظرت للأسفل لنفسها وهي تُظهر من تحت الرداء يدًا تشبه جذر زهر اللوتس المقتطف حديثًا ولوحت بها بلطف في الهواء مصدرة تموجات وقالت:

- أنا ممتنة جدًا لجسدي. فإن كل ما أشعر به بعيني وبأذني وبأنفي وبلساني وبجسدي هو أشياء رائعة تتعدى الوصف، وأيضًا كل ما أشعر به

بفضل حواس اللون والصوت والشم والمذاق واللمس قملأني بالمرح، حتى الحزن والكآبة يستحقان التأمل.

أدخلت ذراعها مرة أخرى داخل الرداء، الذي بدت من تحته زهور اللوتس التي أخفيت.

أجاب "الراهب تشي تزو" وهو يسعل بشكل خفيف:

- الناس لا يضلون طريقهم بسبب عدم تواجد الطرق أمامهم، بل يضلون الطريق لأنهم لم يجدوا الطريق الصحيح.

- إذن فالقمر قد لمع كي ترشده يا سيدي!

اقتربت منه خطوتين ونظرت مباشرة في عينيه وقالت:

- إن كانت الحياة مجرد حلم، فما هو الجسد البشري إذن؟ منبع للحلم؟

لأنه اعتمد على التربية الذاتية لوقت طويل، نسي "الراهب تشي تزو" منذ قديم الأزل الأشياء التي تتعلق بالنساء، مثل بعض الاعتقادات أن النساء يشبهن الحيوانات في الغابة، ويتسبن للناس في الشعور بالتوتر، والقلق إن اقترب منهن أحد، وأنهن يملكن ريشاً ومخالب، لذا كلما افتتن شخص ما بريشهن يكون عرضة للاصطياد من قبلهن، وفي أغلب الوقت يصبحن مثل وسائل ترفيه يمكن أن يستولي عليها الرجال ويروضونها، ولكن من وقت لآخر، يمكن أن تصرن بدورهن صيادات.

- الجسد البشري خُلِق كي يفكر ويتأمل ويصل للتنوير.

- أتعني مثلما حدث مع شجرة بوذا؟

توقف "الراهب تشي تزو" عن الحديث لبرهة ثم قال:

- يبدو أنك لست مثقفة بالشكل الكافي أيتها الراحية.

ضمت يديها ووضعتهما على ركبتيها بينما كانت تتكئ على الكنبه وقالت:

- اعذرنى لقلة خبرتي. ولكن إن كان الجسد يؤدي نفس دور شجرة بوذا، إذن هل يعني ذلك أن التنوير يمكن أن نصل إليه إن كرّس المرء نفسه للتأمل وأدرك في النهاية أن شجرة بوذا ليست مجرد شجرة؟

- ربما ذلك.

ابتسمت وهي تفوح منها رائحة طيبة في الهواء وقالت:

- إذن فالتربية الذاتية معاكسة لطريق الحب. الرجال ينسون تمامًا أنفسهم في بداية قصة الحب، ولكن مع مرور الوقت يستعيدون هويتهم، وحينئذ يكون الوقت قد حان للهجر. إذن بالنسبة للنساء، ماذا يمثل الرجال لهن سوى أنهم مجرد ضيوف؟

تحوّل الفحم الموجود في الحوض المائي إلى لهب، طارداً البرودة من الغرفة دون أن يلحظ كلاهما أثناء انخراطهما في الحديث، وبدأت المياه في البراد الحديدي في إصدار صوت فقاقيع.

قالت برقة:

- الرجال مجرد ضيوف، وأيضاً النساء. وبالتالي فإن الجسد دون شك مجرد نُزل لهما.

بينما كان "الراهب تشي تزو" على وشك الوقوف، قالت:

- دعني أهتم بالأمر.

خلعت العباءة، ولكن بدلاً من أن تطبقها في الحال، أمسكت بها بين ذراعيها كي تنظر إليها عن قرب، وقالت:

- يا لها من عباءة جميلة!

- إن النور يشع منها.

أبدت ابتسامة فاتنة وهي تقلب في العباءة التي تشبه جمال السحاب بمعصمها، ثم طبقتها على شكل مربع ووضعتها على الرف وكأنها تضع كتابًا. بعدئذ وضعت منضدة الشاي الصغيرة أمام "الراهب تشي تزو". كانت المنضدة وفنجاني الشاي ذو طراز قديم، مصنوعين من الخشب اللامع والخزف الصيني الناعم مثل الأحجار الكريمة.

أمسكت بالبراد لتغسل فناجين الشاي التي أعادت الحياة لمنضدة الشاي الصغيرة بالدخان والهواء المتصاعد منها، بدت أوراق الشاي في أصابعها كما لو أنها نبتت لتوها، وضعتهم برقة في الفناجين، فأخذت الأوراق تنغمس فيها وتبث رائحة نضارتها.

سألته وهي تأخذ رشفة من الشاي:

- هل وقعت في الحب من قبل؟ أعني قبل أن تأتي هنا؟

- الحب هو الرحمة.

قاطعته قائلة:

- أعني الافتتان أو الحميمية بين الرجل والمرأة.

حملق السيد فيها، ومع ذلك لم تعتذر عن وقاحتها.

- الحب كزهر في مرآة وكقمر في المياه.

- إنه أمر مقدر منذ ثلاث عصور مضت. أليس هناك قول مأثور بأن الناس تلزمهم الصلاة

لمدة مائة عام كي يركبوا معًا القارب نفسه وتلزمهم الصلاة لمدة ألف سنة كي يصيروا زوجًا

وزوجة؟

- كل شيء يتعلق بالكارما.

سألته وهي تنظر لعينييه وحاملة البراد الحديدي في يديها:

- إذن كم عدد السنوات التي نحتاجها لتحقيق تلك الكارما بما أننا نتحدث من القلب للقلب الليلة؟

- يا إلهي!

- أخشى أنني للحظة صرت مثل حبة رمل...

ملأت فجان السيد وأكملت كلامها:

- التي وقعت في جسدك. ومن ثم تصبح كالسمك الصدي تَبقي عليّ وتحفظني بداخلك كاللؤلؤة.

بدا الأمر كأنه كذلك بالفعل. شعر السيد بألم في صدره كما لو أن شيئاً صغيراً أصابه، ويؤلمه من وقتٍ لآخر بداخله وبشدة.

رغم أن الأبواب كانت مغلقة، إلا أن "الراهب تشي تزو" أدرك أن الليل صار أكثر ظلمة. لذا صار القمر اللامع في السماء مضيئاً بشكل أكبر أيضاً.

ملأت فجانها أيضاً وقالت:

- لم تُجب على سؤالِي بعد يا سيدي. ما الطريقة التي يتوجب عليّ بها أن أفهم جسمي؟

- الجسد البشري يصعب إدراكه، لذا لا بد أن نتعامل معه بجدية.

بدت عيناها عميقة وساكنة عاكسة لضوء الشمعة، وقالت:

- أمل أن تعذرني على وقاحتي من فضلك، هل يمكنك يا سيدي أن تتحدث بمثل هذه

التفاهات فقط؟

- وماذا لو لم أقم بهذا؟

- قبل أن ينضج عقلي بفترة كبيرة، أدركت ما قلته عن الجسد البشري. يا لعظمة خلقه! بكل ما يحتوي من جلد ولحم ودم وعظام ومراحل عمر مختلفة مثل فصول السنة! مثل الربيع عندما تتفتح الزهور، ومثل الخريف عندما يثمر...
- مدت يدها أمام "الراهب تشي تزو" والتي صارت فجأة كالزهور، ولكن بقرب النظر اتضح أنها أصابعها والتي مع ذلك بدت في غمضة عين كالْيوسفي.
- خُلِقَ الصيف لنزول المطر والشتاء لنزول الثلج، وصُنِعَتِ النافذة كي تُدفع والباب كي يُفتح، إذن فالجسد خُلِقَ ليشعر بالفرح والغضب والحب والكراهية.
- ربطت كلامها بلغة جسدها بشكل بالغ، وقالت:
- أمضيت وقتاً طويلاً أقلد الفراشات في كيفية هبوطها وأستكشف لفترة أطول طائر الكركية وهو يقف على المياه ويحلق فوقه، إن اضطررت لذلك، يمكنني أن أقف على قدمي وأثبتهما مثل جذور الشجرة بأفرعها وأغصانها المتأرجحة. ففكرة الجسد أكبر بكثير من كونه غلاًفاً من الجلد يغطي اللحم والدم والعظام، فهو وعاء للأحلام. كما أن الجسد البشري لم يُخلق فقط للمعاناة أو كأداة للقيام بالتربية الذاتية وتحقيق التنوير. بل إنه معجزة الكون اللا نهائي، بل إنه الكون اللا نهائي نفسه.
- صمت "الراهب تشي تزو" لوقت طويل ثم قال:
- أيتها الراحية، يبدو أنك أدركت ما في الأمر. إذن لماذا أتيت هنا؟
- اعتقدت أن لديك أيها السيد فكر غير مألوف كي تخرجني من آفاق المعاناة.
- لا يبدو عليك أنك تعانين من أي شيء.
- ما يجعلني أعاني هو أن كل الأشياء التي أحبها سريعة الزوال: الزهور تذبل، والفاكهة تفسد، والجمال يشحب، والحب يموت، مثل المياه في النهر التي لن تتوقف عن الجريان.

- تأتي القاذورات من حيث أتت ولا تصير سوى قاذورات. فصعوبة إدراك التأملات التي تتعلق بالبشر لا تعني عدم وجودها: مع وجود الكارما الكامن، ستظهر الحقيقة في الوقت المحدد وتعود مرة أخرى لعالم البشر.

- ربما يعاد تكوين الجسد، ولكن ماذا عن رقصي؟

- الرقص؟

- ألا ترى يا سيدي أنني راقصة؟

وضع "الراهب تشي تزو" فنجانه وقال:

- إذا فأول القصيدة كفر.

ردت مثله بحسم في الحال:

- لأنك لا تستطيع أن تدرك الأمور، فأول القصيدة كفر بالنسبة لك! إذن ماذا عن أرض

النعيم المطلق؟ هل هو غير شرعي أيضًا؟

- نعم. ولكن بالرغم من عدم شرعيتها، فهي تشمل اللا نهائية.

- تلك "اللا نهائية" لا يراها إلا أنت وأمثالك.

- يا إلهي!

أومأت بعدم رضاها وقالت:

- بوذا... هو حصنك الذي تلوذ به. ألا تعتقد أنه من السهل أن تعترض على كل شيء

بكلمة "يا إلهي!"، مثلما أرى يا سيدي، عالمك الداخلي ليس من الضروري أن يكون منفصلاً

عن العالم بأكمله.

قال السيد:

- وذلك ما جعلني أقوم بالتربية الذاتية هنا. أحاول أن أزيل كل الأمور الدنيوية من عقلي، والتي مثلما تقولين أيتها الراحية لا تتبدد فقط بمجرد ترديد كلمة "يا إلهي". في الواقع إن العكس صحيح. فمسار التربية الذاتية في نفس صعوبة تحمُّل عضات النمل والناموس، قد يتمكن الناس من التقدم لخطوة إلى الأمام أو حتى التراجع إلى الخلف أحيانًا... صمتت المرأة.

- إذن فأنا لست راهبًا وأشعر بكل أنواع الاضطرابات والشكوك مثلك تمامًا. تنهدت وهي تبسم ووجهها يعكس ضوء الشمعة وتوهج الفحم المشتعل بدفء مشع مثل غروب الشمس وقالت:

- سيدي، كنت دومًا مخلصًا وصريحًا. إن كنا التقينا في مكانٍ آخر، لكان من المفترض أن أقع في غرامك.

كانت النار تتوهج وضوء الشمعة يومض ويخفت، بدت الغرفة مجدبة وساخنة بشكل متزايد، كان الندى يهوج في الأعلى على شكل نسمات، صادرًا من الملابس المبللة على الرف خلف المرأة، والتي تذكرنا بـ"إلهة الحكمة" ذات الألف يد. دُهل "الراهب تشي تزو" ولم يعرف بم يرد عليها. قالت:

- يا إلهي!

وضعت كفيها فوق بعضهما البعض وقالت:

- اعذريني مرة أخرى على إزعاجي لك يا سيدي.

- لديكِ حكمة عميقة. عليكِ أن تكرسي نفسك للتربية الذاتية، ومن المؤكد أنك ستصلي فيما بعد للتتوير.

- إن تحولت للبوذية هل سترشدني يا سيدي؟

أجابها الراهب:

- بتلك المملكات التي لديك، فلتضعي جانبًا كل مخاوفك وقلقك، واهتمي فقط بكيانك الداخلي، وسَتَجِدِي الطريق.

- لقد أوضحت لي الطريق الصحيح بكلمات قليلة فقط، مثل المطر الموسمي المتساقط على أرض جافة.

انحنيت على الأرض معبرة عن احترامها وقمايلت خصلات شعرها بالقرب من ركبتَي السيد، وقالت:

- أود أن أكون راهبة بوذية. من فضلك اقبلني يا سيدي.

- أرجوكي انهضي أيتها الراحية.

- لن أنهض حتى تقول "حسنًا".

أجابها الراهب:

- لممارسة الشعائر البوذية، ما يهم هو العقل وليس المظهر. لذا لم يتمكن الكثير من البشر من الثبات والإصرار وانحرفوا بتصرفاتهم عن الطريق الصحيح.

بعد فترة طويلة من الصمت، نهضت المرأة مرة أخرى. رفعت رأسها بحزن والدموع تلمع بشكل خافت في عينيها وقالت:

- أنت محق في كل كلمة قلتها يا سيدي. وعلى كل حال، أنا إنسانة عادية، يأسرني الطمع والإصرار على شيء ما دون أن أعلمه حتى بنفسني.

تنهد الراهب بهدوء قائلاً:

- من السهل التحدث عن ممارسة أخلاقيات البوذية وعن تحقيق التنوير. فعالم البشر أشبه بشبكة عنكبوت تلتصق بنا وتتعلق بنا خيوطها، ورغم أننا

نتحلى بالشجاعة لدرجة أننا يمكننا أن نكسر ضلوعنا ضلعاً يلو الآخر، فإننا لا نصل إلى المثالية المطلقة في جهودنا لتحرير أنفسنا.

- ألا تشعر بأي أسف لمثل هذا العذاب؟

- ألا تشعرين أنتِ كراقصة بالملذات برغم الألم الذي لا يدركه الآخرون؟

صفقت المرأة بلطف وابتسمت مثل زهرة ليلية تتفتح في الظلام بیسر وجمال وقالت:

- إذن، فنحن فقط نقوم بالدور نفسه لكن بطرق مختلفة يا سيدي.

بعدئذ سألته قائلة:

- أسمح لي بأن أؤدي لك رقصة يا سيدي؟ أشعر أنني أملك الكثير لأقوله لك، ولكن

جسدي الآن بإمكانه التعبير عن ذلك أكثر من أي شيء آخر.

كانت غرفة التأمل كبيرة بما يكفي لفرش بساطتين مزخرفتين برسومات تنين على الأرض

مصنوعتين في "آن دونج لونج"، وكذلك تكفي لوضع باقي الأمتعة الأخرى.

قالت السيدة بابتسامة ساحرة وكأنها قرأت أفكار الراهب:

- لقد رقصت على منضدة عشاء صغيرة، وعلى حجر الرحي، وحتى على أذرع الرجال.

الغرفة هنا تسعني بما يكفي.

قال الراهب:

- في الواقع الصمت يعادل ألف كلمة.

قالت المرأة:

- ألم تقل أن "أول القصيدة كفر"؟ أود أن ترى اندماج "أول القصيدة" و"اللا نهائية" في

العدم.

حدّق الاثنان قليلاً في بعضهما البعض، وحرك "الراهب تشي تزو" منضدة الشاي قرب الباب وتراجع إلى الجدار بنفسه.

التفت المرأة ونظرت في الحوض المائي، وحينما قامت بذلك، بقي جسدها جالساً ساكناً، فقط عنقها الذي استدار مثل البجعة، ومن ثم أظهرت إصبعها قليلاً وفردته ثم قبضته مرة أخرى إلى طوله الطبيعي بهرولة شديدة. وبعدئذ مشطت شعرها للوراء بأيديها، وأمسكت به كي تربطه، بلفة منها، أخذت سلسلة اللؤلؤ البوذية من يد السيد وثبتته على كحكة شعرها أسفل رأسها.

بعدئذ، أخذت العباءة من على الرف، وببطء وكأنها تفرد ورقة رسم، ثم رفعت العباءة وهزتها مثل زوجي أجنحة حشرة الزيز من أعلي رأسها على جسدها تاركة كنبه البامبو التي ما زالت مغطاة. رفعت ساقها، وهزت كعبها مثل رأس فرشاة كتابة، بدت وكأنها ترسم حروفاً بخط دقيق دون أن نرى هذه الحروف. وبدت وكأنها تكتب شيئاً ذا أهمية كبيرة والذي ظل حتى تلك اللحظة شيئاً مبهمًا لـ "الراهب تشي تزو".

أخيراً، تحركت للخلف ببطء، جلست، لم تتسرع في حركاتها، ووضعت ساقها فوق الأخرى على كرسي على شكل زهرة لوتس، قبل أن تضع كفيها فوقهما معاً. إنها عرّافة!

حدّق "الراهب تشي تزو" فيها. لم يقدر على أن يبعد عينيه عنها، لم يقدر على الابتعاد عنها وتركها في ذلك المكان وحدها، رغم أنه يعلم أنه ينبغي عليه ذلك.

أعادت العباءة "الراهب تشي تزو" عن الرؤية، لم يستطع أن يرى سوى القماش الصيفي الناعم الملمس المتين المفرد مثل ستارة، كانت تتمايل وتفرد يديها وأذرعها مثل أغصان الشجر وفروعها ببراغمها الصغيرة التي تنمو في الربيع، بدت ساقها نحيفة وجميلة، رشيقة لدرجة أنها على استعداد أن تتجول

وتقفز وتسافر وسط نسائم العطر في الغابات والحقول في الصيف، كان رداؤها يتحرك فيبين صدرها الممتلئ المثير وكذلك وسطها وجنبيها. أحسَّ برائحتها، عطر دافئ مثل فترة العصر بالخريف، تفوح منها الرائحة من على جسدها، بفعل الفحم المتوهج. بعدئذ ارتدت العبءة مرة أخرى، بدا جسدها أنه يتحول إلى فتيل، يترنح عاكسًا ظل ضوء الشمعة، بينما كان وجهها هادئًا وصافيًا، مذكرًا إيَّاه بالقمر في السماء.

"القمر اللامع"، تذكّر الراهب أخيرًا اسمها.

لم يدرك متى بدأت تدق على الطبل الذي لديه على شكل سمكة خشبية، تردد صوت ذلك الدق في ذهنه، أثار ذلك لديه مشاعر مختلفة، وغمرته حالة من السلام الداخلي التي وصل إليها بعد سنين من التربية الذاتية. شعر بداخله بعواصف تجتاح جسده وتعصف بأشياء بداخله لم يشعر بها منذ سنوات، كما عصفت بكل حالات التأمل التي قام بها، وأمحت تقاليد "السوترا" من ذهنه مثل مياه المطر الذي يبيل ثوبها ويتبخر بالحرارة.

كان جسدها ملموسًا أمام عينيه، كان جسدها حيًا أمامه لدرجة لا تصدق: بدت عيناها اللامعتان تدب فيهما الروح مثل ضوء الشمعة، كانت العبءة حمراء وكأنها نار تتوهج على جسدها. أراد أن يدفعها بعيدًا عنه، ولكنه أراد أيضًا أن ينزع عن جسدها العبءة. وحينما لمست يدها جسدها أخيرًا، بدا وكأنهما يدخلان إلى فخ الشيطان في تلك اللحظة ولم يعدا يديه اللتان اعتاد عليهما.

لَقَّت يديها وذراعيها حول عنقه، وجذبتة إليها وسألته:

- أليس من المفترض على الجسد بكل ما يحتويه أن تلامسه وتتمتع به وتذكره؟

خرج الكلام من شفثيه ببطء ومقطعًا من أسنانه المرتعشة من فرط الافتتان بها قائلاً:

- يا إلهي!

بعدئذ قرّبت شفّتيها من شفّتيه واستنشقت التنهيدة الصاعدة من أعماق جسده.

همست بلطف مطوقة لذراعيه:

- سيدي، ما أروع الجسد البشري خلقًا! من الواجب أن نهتم به.

احتضنها بشدة لدرجة أنه أراد أن يعتبرها وكأنها ثمرات توت يعصرها بشدة حتى يخرج بذرها وعصيرها، بعدئذ علقت به السلسلة ووخزته وآلمته. شعر بداخله، من أول رأسه حتى إصبع قدمه، بحرارة شديدة.

كان هناك راهب مبتدئ يبلغ الخامسة عشر من عمره في بداية اعتكافه. رأى في شوارع "سونج دو" اثنا عشرة فتاة يرتدين فساتين متألقات يغنين ويرقصن بهرح. كان الرجال يختلطون معهن. كانت ضحكاتهم تفوح منها رائحة الخمر. كذلك كان العديد من الرجال يحملون محفة، ترقد عليها سيدة ترتدي ملابس بيضاء.

غنى أحدهم بصوت عالٍ:

- بمجرد أن يموت "القمر اللامع"، ستفقد "سونج دو" روحها!

ظلت الغربان تحلق وتهبط فوق الأشجار. امتلأت أغصان الأشجار بالعشرات أو حتى بالمئات منها، منتظرة في صمت وبصر تلك اللحظة التي يبدوون فيها احتفالهم عندما يصبح شعاع القمر لامعًا وواضحًا...

حينما استيقظت في الصباح الباكر، كان "الراهب تشي تزو" يجلس في ضوء النهار، وعيناه مغلقتين قليلًا.

كانت الغرفة مرتبة. العباءة مطوية بعناية وموضوعة على الرف بجانب لوحات "السوترا"، منضدة الشاي وفناجين الشاي، والحوض المائي، والشماعة، وكل شيء كما هو وكأنه لم يُس تَمَامًا.

فتح "الراهب تشي تزو" عينيه وقال:

- هل استيقظتي؟

فهمت أنه أدرك كل شيء.

كانت تشبه قطرة الحبر التي سقطت في إحدى سلاطينه التي يتعبد بها والتي بها مياه نقية. كانت قد التقت به بالفعل في "سونج دو" وهنالك فشل في أن يظل قابضاً على إيمانه فتملكته.

قال:

- سأجيب على أسئلتك. كيف تتعاملين مع جسدك البشري؟ الجسد البشري يصعب الحفاظ عليه، لذا يجب التعامل معه بجدية.

...

قال الراهب:

- أمّا بالنسبة لسؤالك الثاني، فرقصك هو الطريقة التي تمارسين بها التعاليم البوذية.

...

- والآن فضلاً ارحلي أيتها الراحية.

لم تتحرك.

قال بهدوء دون تعجل:

- "القمر اللامع" لـ "سونج دو"، وأجراس النهار تدق في المعبد.

أفزعها هدوءه شيئاً ما فقالت:

- سيدي...

- انتهى عما تفعلين وارحميني واخرجني.

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب الجرار وراءها.

كان الصباح في أوله، ما زال الضباب ينتشر بشكل كبير في الأفق، يغطي السماء والأرض. لاحقًا، بعد ستة عشر عامًا، عادت مرة أخرى إلى المعبد البوذي في حلمها. كان الضباب يشبه النسيم، والقمر بازغًا بشكل خافت في السماء في الليل يشبه وجه "الراهب تشي تزو" الذي ألح عليها بأن تغادر المعبد قائلاً:

- طيري مثل الفراشة.

شعرت باضطراب في قلبها، حينما كانت ممدة على ظهرها، كانت هناك قطرات دماء على الثوب الفضّي المائل للرمادي المصنوع من القماش الصيفي الناعم، منتشرة عليها مثل الإزهار المفجئ لزهر الأقحوان.

صاحت فنانات بيت الزهور الأخريات اللاتي كن بالقرب من سريرها في فزع.

نظرت إليهن وقالت وهي تبسم:

- لا داعي لما تفعلن.

ارتفعت درجة حرارتها في جسدها كله، صارت أخف مما سبق، أخف حتى من السحب.

مر ماضيها أمام عينيها مثل نسمة عابرة، وقالت:

- كلنا مجرد ضيوف في هذا العالم البشري، والآن حان وقت الوداع. أمل أن تتذكروا دائماً

ما طلبته منكن.

نظرت فنانات بيت الزهور الأخريات لبعضهن البعض وأومأن.

قالت:

- إن لم توفين بوعودكن، سوف ينتهي بكن الأمر إلى عذاب النار الأبدي.

صاحت الفنانات بشكل متزامن تقريبًا:

- أختي...!

في عصر اليوم التالي، كانت المرأة المسماة "القمر اللمع" ملفوفة في ملابس بيضاء وحُملت نحو ضفاف النهر من قبل عشرات فنانات بيت الزهور اللاتي كن يضعن كثيرًا من مساحيق التجميل ويرتدين ثيابًا ملونة لامعة ويغنين ويرقصن طوال الطريق. خرج الناس جميعًا في "سونج دو" من بيوتهم كي يستمتعوا بالمنظر.

كان التعبير البادي على وجهها حيويًا جدًا كما لو كانت ما تزال على قيد الحياة.

قال الرجال:

- حتى وهي ميتة، ما يزال جمالها تضطرب له القلوب.

ومن حين لآخر، كان ينضم المزيد من الرجال إلى الموكب. صبوا الخمر من الزجاجات وغنوا ورقصوا سويًا مع فنانات بيت الزهور حتى لحقتهم بعض النساء.

غنى أحدهم بصوتٍ عالٍ:

- "القمر اللمع" ماتت الآن و"سونج دو" فقدت روحها.

ظلت عشرات ومئات وآلاف الغربان تطير من فوق وتهبط على الأشجار. كانت صامتة ومنتظرة، تنتظر اللحظة التي يبدؤون فيها الاحتفال، عندما يصبح شعاع القمر لامعًا وواضحًا. تناثرت عظام "القمر اللمع" على النهر، وبعد ذلك ببضعة أشهر، لفتت انتباه راهب بوذي صغير في الخامسة عشرة من عمره عندما كان في طريقه إلى المعبد بعد أن أدى شعائره الدينية وتوقف أمام هذا المنظر.

رآه بعض الأطفال عندما كان يخلع رداءه ليغطي العظام التي جمعها، وقالوا كي يذكروه:
- لن يسمح للناس بدفنها. لقد جرحت قلوب الناس وهي على قيد الحياة وتستحق مثل
هذا الختام.
استدار الراهب البوذي الصغير للأطفال وابتسم لهم، ثم لف رداءه بعناية وسار متجهًا
نحو شجرة وقال:
- يا إلهي!



افتتاحية



تمجيداً لذكرى مدينة "تيان يوان فو"، كان هناك نائب مفوض في أكاديمية "خان لين"، شاب صغير السن شديد الوسامة يرتدي ثياباً بيضاء لتلك المناسبة. يبدو أنه أتى إلى "تيان يوان فو" في زيارة دورية روتينية تتم كل خمس سنوات.

كان المفوض مغروراً ببعض الشيء، ودائماً ما يحمل معه مروحة يد ذات مقبض ذهبي مصنوعة من خشب البامبو. كان يتوارى خلفها حينما يلتقي بأي شخص غير مرغوب به من وجهه نظره المتغطرة أو حينما لا يرغب في الحديث، لذا كان الناس عندما يتذكرونه فيما بعد لا يتذكرون ملامحه بل تنطبع في ذهنهم زهر "الفاوانيا" الذهبية الأطراف المرسومة على مروحته الذهبية مع اللون الأبيض المتألقة.

في يوم مهرجان قوارب التنين، حينما اتجه النائب إلى بقعة زراعية وهو يرتدي ملابسه العادية، لفتت انتباهه فتاة تضع عطرًا مميزًا جدًا.

كانت تتمايل بخفة وسط حشد من الناس. لم يتسنَ للنائب رؤية وجهها، لكنه رأى ظهرها فقط، ووجد الناس يسرون نحوها محملقين في ملامح وجهها كما لو أن هناك شيئًا ما أسرهم: فجأة توقفوا جميعًا يتبعونها بنظراتهم

لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يديروا أعناقهم أكثر من ذلك، ولم يتمكن بعضهم أيضًا من فرط الدهشة من أن يخلقوا فمهم.

قرب البقعة الزراعية، كان هناك بستان صغير يمتد على طريق إلى مكان أقيمت به مسابقة تأرجح للنساء. سارت نحو البستان دون أن تلتفت مرة وراءها، تتبعها نائب المفوض ووقف على حافة مجموعة من الأخشاب، رأى طيفًا أخضر يطوف بعيدًا بين الأشجار قبل أن يتجه إلى العشب الأخضر.

طوى نائب المفوض مروحته مرتبطًا على راحة يده. يبدو أنه كان في "تيان يوان فو" لقرباية شهرين وقد بدأ ينسى حياته الهائلة التي عاشها في "سيول" رغم أنه قام بأفضل ما يمكنه القيام به كي يظل يتذكر تلك الفترة في عقله مثلما كان متمسكًا بذكرى القبلات والمداعبات التي أسبغها الأقارب عليه، والتي ما زالت تجعل ضربات قلبه تتسارع حينما عاد إلى بيت حماه في الصباح الباكر بعد ليلة أمضاها في بيت الزهور.

رغم أنه شعر بالنفور البالغ من لهجة الرجال الناعمة في "تيان يوان فو"، لم يعترض على مقولة: "تيان يوان فو هي موطن زهرة اللوتس"، وتتميز النساء هناك ببشرتهم الرقيقة البيضاء كالبورسلين والوسط المتناسق من إثر نهر "شيو شوي"، وإضافة إلى جمالهن ذاك، فهن يتمتعن بلهجة ناعمة ومهذبة، وأعينهن ساحرة مثل النهر الصافي.

كانت الفتاة تقف تحت شجرة الجنكة الصينية، بهرته بشكلها وهيئتها لدرجة أن جمالها جعل قلبه يخفق بشدة ويدرك أن هذا اللقاء سيكون مختلفًا عن كل لقاءاته السابقة. فتح مروحته مرة أخرى محاولًا تهدئة نفسه؛ أخذ يحرك مروحته ببطء، لكن قلبه كان مولعًا أكثر، أخذت زهور "الفاوانيا" المرسومة على المروحة تتحرك يمنة ويسارًا سريعًا وكأنها أزهار حقيقية أزهرت فجأة بفعل الرياح.

اقترب نائب المفوض من السيدة من الخلف كما لو أن المرض قد أنهكه، أراد أن يلمس جسدها، كانت ترتدي رداءً صغيراً.

جالت بنظراتها، ثم نظرت نحوه وقالت شيئاً له وهي تبتسم.

ارتعش جسده بالكامل من إثر بسمتها الرقيقة، ولم يسعه سوى أن يحملق في وجهها وكأنه فاقد الوعي حتى أشارت بإصبعها إلى شيء جعله في نهاية الأمر يحول بصره إليه.

كانت هناك شجرة خوخ أمامهم، مات نصفها بفعل الرعد، أمّا النصف الثاني فكانت أوراقه نضرة خضراء مثل الزمرد. كان هناك ثعباناً منقطاً على أكبر فرع في تلك الشجرة، كان كبيراً في نفس عَرْض الكوب ومغطى بألوان براقة مختلفة وسط أوراق الشجرة، رأسه مرتفعة للأعلى تخرج من وسط الأوراق، ولديه بقعة حمراء على عنقه يبدو شكلها مثل الزهرة.

لم يتحرك الثعبان، وكذلك هما الاثنان، كان الوقت يمر سريعاً مثل ضربات القلب السريعة. كانت عيني الثعبان ثابتة تماماً، لكن لسانه المشقوق كان يخرج من فمه بسرعة ويدخله مرة أخرى مصدراً فحيحاً مثل صوت النخير.

شعر النائب أن يديه تجمدتا لتوهما، ثم شعر بيدي شخص تمسكه.

يذاها دافئتان!

بعدما مر ما يكفي من الوقت المحدد لشخص ما كي ينتهي من شرب كوب شاي، قفز الثعبان فجأة في الهواء ملتويًا مثل سلسلة ملونة، وبعدما لف نفسه حول غصن الشجرة للحظة، فرّ بعيداً. كان حفيف ورق الشجر مسموعاً لبعض الوقت، ولكنه سرعان ما هدأ ذلك الصوت مرة أخرى. في تلك اللحظة، شعر نائب المفوض وكأن روحه تغادر جسده.

لاحقًا، لم يسعه أن يتذكر الطريق الذي سلكه من البستان إلى البقعة الزراعية، رغم محاولته اليائسة.

عادت أصوات الغناء الجميلة والرقصات. كان الرجال والنساء العزّاب يكونون دائرتين ويؤدون رقصة "جيانج جيانج شوي يولاي". أحاط الرجال النساء مكونين دائرة، وشكّلت النساء دائرة داخلية ودرن عكس اتجاه دائرة الرجال. وخلال الرقصة، يقفزون قفزات إيقاعية، ويمدون أذرعهم على كتف من بجانبهم، ثم يرفعون رؤوسهم ويحدثون حركة بأرجلهم، كما تتمايل فساتين النساء مشكلة حركات دائرية مثل المراوح. ولكن الفتاة التي رآها لتوه اختفت.

مد النائب عنقه بحثًا عنها وسط الحشد لبعض الوقت، لكن دون جدوى، وضع يده على جبهته يائسًا ولكنه دهش من شيء، قَرَّب كفه من أنفه وشم رائحة عطر رائعة تسلفت إلى رثتيه وسائر جسمه.

تبع الثعبان المنقط النائب مثل ظله، وحرمه من النوم؛ لأنه حينما كان يغلق عينيه، كان الثعبان يضايقه بحركاته العجيبة.

وليلة بعد أخرى، لم يستطع النائب أن يغلق عينيه، بل أخذ يحملق في السماء الزرقاء والنجوم اللامعة المتلألئة، مثل الزهور الرقيقة التي تتبدل سريعًا من الإزهار للذبول. بعدها ببضعة أيام، تراكم العماص في جفنيه، آثار ذلك جنونه، فهو مهووس بالنظافة. لذا في نهاية الأمر، أمر كبير الخدم بأن يجد له أمهر صيدلي في "تيان يوان فو".

قالت السيدة التي ناداها كبير الخدم بـ"ين جي" وهي تهرس الأرز الياباني المطبوخ في سلطانية خشبية:

- الصيدلي هناك في الجبال يصنع حبوب الخلود.

كانت كرات الأرز المهروسة دائرية وكبيرة الحجم ويلمع لونها الأخضر الفاتح الممزوج مع لون الأرز الأبيض. كانت السيدة تحدث صوت دبدبات وهي تهرس الأرز بالمطرقة الخشبية، وبدأ أنها غاضبة.

سار النائب ناحية الصيدلية وجال ببصره في كل الأنحاء، رأى سلة من القش قرب البوابة وفيها بوكيه ورد مجفف كبير و"بوكيهات" قليلة من نبات "الشيخ" المجفف، تنبعث منهم رائحة مألوفة له.

سأل السيدة:

- ألا يوجد غيرك هنا؟

- ابنة الصيدلي هنا أيضًا، ولكنني لا أعتقد أنها يمكن أن تقدم لك أية مساعدة.

قاطعها النائب:

- أين هي؟

توقفت السيدة عن هرس الأرز ثم نظرت نحوه. عندما رأت نظرات عينيه المرعبة، تنهدت والتفتت لتشير إلى مكان في ممر ضيق في بستان أشجار الخوخ وقالت:

- اتجه مباشرة إلى هناك، لكن عليّ أن أخبرك بأنها لن تستطيع مساعدتك في أي شيء.

اتجه النائب ناحية أشجار الخوخ وراء الصيدلية، كانت عيناه تلمعان وهو ينظر لأزهار شجر الخوخ اللامعة وأشعة الشمس. توقف عند نهاية البستان.

تناثرت أوراق شجر الموز أمامه بلونها الأخضر مما جعله يشعر بالمياه الباردة التي خرجت من أعماق بئر وتدفقت على الأرض. كانت هناك فتاة ترتدي فستانًا أبيض اللون وغطاء رأس أخضر على رأسها وتجلس على أوراق شجر الموز، كانت تصنع الدواء في سلطانية نحاسية مهدقة نحاسية. حينما رآته واقفًا أمامها، اتسعت عيناها في دهشة كبيرة.

قال النائب:

- لقد التقينا من قبل في مهرجان قوارب التنين.
نظرت له بهدوء.

- منذ ذلك الوقت تؤلمني عيناى.

- وهل جئت هنا لتتهمنى؟

قال النائب وهو ينحنى مقرباً وجهه من ابنة الصيدلى ليرىها عينيه:

- بالطبع لا. بل أريدك أن تعالجينى مما أعانى منه هنا.

احمر وجهها من الخجل فأصبحت رائحتها أقوى ثم قالت:

- ولكنى لست صيدلانية.

قال النائب:

- بلى. فعندما تنظرين إلىّ، لا أشعر بأي ألم مطلقاً.

تغيرت تعبيرات وجهها فجأة وهي تبعد المدقة عن يديها وقالت:

- هل أخطأت المكان؟ فلتغازل النساء في مكان آخر.

عندما نهضت لتغادر، طار الحزام الطويل على فستانها في الهواء ناحية وجهه بلطف، مثل

صفعة رقيقة على وجه رجل يغازل فتاة من بيت الزهور.

قال:

- وهذا هو "المكان الآخر".

بدأت عيناه تؤلمانه مجدداً وهو في طريقه عائداً من الصيدلية. جذب اللجام

ونظر مرة أخرى ناحية الصيدلية الموجودة في بستان أشجار الخوخ. كان ذلك

العطر في ذلك البيت الصغير الذي زاد منظر الزهور جمالاً في وهج الشمس وكأنها لوحة مطرزة بينما لمعت زهور شجر الخوخ تحت أشعة الشمس.
بيت العطور.

سيطرت عليه فكرة طرأت في ذهنه.

في الصباح التالي، حينما خرجت "ين جي" من البيت بسبب بعض الأصوات التي سمعتها بالخارج، دُهِشت مما رأت وسط الضباب، وقالت لنفسها: "كنت أعلم أن كل ذلك سيؤدي لحدوث مشاكل".

كانت ابنة الصيدلي تقف أمام غرفتها لبعض الوقت، تراقب اثني عشر من العمال وهم يتكدسون قرب بيتها ومعهم أخشاب وأشياء أخرى.

قالت وهي تتجه مرة أخرى إلى غرفتها لتستريح:

- أخبرهم ألا يتلفوا نبات القصب الهندي.

كان الصيدلي قد زرع هذا النبات أمام صيدليته، وتكبد العناء في الجبال في العثور على هذه الفصيلة من هذا النبات التي تنبت تسع قصبات في بضعة أمتار قليلة، تلك الفصيلة التي اعتقد أنها ستجعل الناس خالدين للأبد.

تم تعيين كل البنائين المهرة، وبعض الفلاحين الذين لم يكونوا مشغولين في موسم الركود حيث كانوا يعملون في دوام جزئي، لذا بعد بضعة أيام قليلة فقط، تم قطع شجر البستان وراء الصيدلية.

قالت "ين جي" بنبرة يشوبها القلق وهي تقدم الطعام لابنة الصيدلي في غرفتها وتسمع أصوات الفؤوس تقطع الأشجار:

- قطع أشجار الخوخ بهذا الشكل لن يؤدي إلا لعواقب وخيمة.

سألها ابنة الصيدلي:

- هل هو... بالخارج الآن؟

أجابتها "ين جي":

- إنه يشرف على العمّال وهو جالس في عربته. رجل مثير للإعجاب ولا يتصرف بشكل مباشر ولكنه يتعامل بطريقة غريبة تجعل أهل مدينة "تيان يوان فو" بأسرها يَنَمُونُ إما عن الطعام أو الشراب أو عنك.

ضحكت ابنة الصيدي.

سألتها "ين جي":

- كيف ما زلتِ تضحكين؟

فقالت لها ابنة الصيدي وهي تنحني قرب الشباك وتنتظر للخارج:

- تصرفاته تلك لا تدل إلا على أنه واقع في الحب.

- يُقال إنه زوج ابنة أحد المناصب العليا في البلاط الملكي.

توقفت "ين جي". ثم التفتت لتسمع الضوضاء الآتية من الخارج وقالت وهي تتنهد:

- قلبي يرتجف من هذا الصوت.

أنهوا العمل سريعًا، بدا البيت الجديد بجدرانه البيضاء وبلاطه الأسود وسطحه الذي اتخذ شكل الأجنحة المفرودة محاطًا بالبيت بجوار الصيدلية القديمة. في أحد الأيام، حينما فتحت ابنة الصيدي باب غرفتها، وجدت أن غرفتها قد فُتحت على غرفة أخرى في البيت الجديد بردهة خشبية.

كان باب تلك الغرفة مفتوحًا، رأت نائب المفوض جالسًا هناك. كان ينظر إليها مبتسمًا، بدت عيناه وكأنهما تخترقان قلوب الناس الواقفين على أقدامهم. عادت مرة أخرى إلى غرفتها وأغلقت الباب.

عندما تم بناء بيت العطور، نقل نائب المفوض كل أغراضه الضرورية وخدمه الأربعة كي يعتنوا به هناك. وجلس في الردهة الخشبية كي يقرأ أو يراقب زهور الكركديه التي أزهرت في الصباح في الفناء وذبلت في وقت الغسق.

ولكن حياة ابنة الصيدي انقلبت رأساً على عقب. فقد ذهب زبائنها إلى صيدليات أخرى للحصول على الوصفات الطبية اللازمة، وحوصرت صيدليتها بيت جديد وظل الرجل يراقبها وكأنها مقيدة بحبال وخيوط حتى صارت يوماً بعد يوم غير قادرة على التنفس حتى. ظل الحال هكذا حتى مرت في إحدى الليالي الباردة والممطرة في الردهة الخشبية إلى الغرفة الموجودة في الجانب الآخر.

فتحت الباب المنزلق بهدوء.

قالت وهي تقف عند باب النائب وعيناها مليئة بالدموع:

- لقد أتيت لأخبرك أنك حصلت على ما تريد.

أشار لها بيده ناحية الردهة الخشبية عند غرفتها وهمس في أذنيها قائلاً:

- إن سمحت لي بأن أبقى، سأكون أنا خادمك.

قبل الانتهاء من إنشاء بيت العطور، انتشرت قصة ابنة الصيدي والنائب المفوض في أنحاء البلدة. صارت هذه القصة مثل القصص الرومانسية الأخرى، تزداد التفاصيل فيها ويتداولها الكثيرون. ذلك مثلما نرى في فصل الربيع بشكل أو بآخر، أولاً نجد زهرة ثم فرع شجرة ومن ثم يمتلئ فصل الربيع بالزهور في كل مكان.

بعدها، في أحد فترات الغسق في آخر فصل الخريف، كان نائب المفوض قد تسلم خطاباً سرياً عليه الختم الرسمي للسيد "جين ولانج" من يد رجل البريد.

في هذا الخطاب، أشار السيد "جين ولانج" باختصار بالغ إلى أمرين مُتاحين لنائب المفوض: إما أن يعود مرة أخرى إلى "سيول" ويستمر في تمثيل دور زوج ابنة عائلة "كيم" أو يتنازل عن كل ذلك ويتم إرساله إلى "سيول" كمتهم لمكتب المفتش العام خلال بضعة أيام.

كما أرفق السيد "جين ولانج" ورقة مع الخطاب بها قائمة بكل التفاصيل التي تشمل الإجراءات والمبالغ التي قررها لبناء بيت العطور.

لم تستطع ابنة الصيدي أن تقول أية كلمة لوقت طويل حينما انتهت من قراءة الخطاب الذي كتبه السيد "جين ولانج".

كان نائب المفوض يجلس معطيًا ظهره للضوء، طيات ملابسه تشع الضوء والظل الخافت. كان نصف وجهه مخفي في الظل بينما النصف الآخر كان مشعًا كالذهب في أشعة الشمس.

ابتسم ابتسامة بسيطة وكأنه طفل أمسك به الكبار وهو يلهو وقال:

- أينما ذهبت وعلى أي حال، لا يمكنني أن أهرب من مراقبة السيد "جين ولانج".

قالت ابنة الصيدي وهي تقترب من حبيبها:

- يمكننا أن نبيع بيت العطور ونعيد المال للبلاط الملكي.

قال لها وهو يُحرك إصبعه على وجهها ببطء:

- انظري لوجهك. لقد وُلدتِ لتعيشي في أفضل البيوت، وترتدي أفضل الثياب وتتناولي أحسن طعام.

تهتفت الفتاة وهي تمسك بيديه قائلة:

- لا تقول ذلك، يمكننا أن نبيع بيت العطور فورًا.

نظر باتجاه السطح وقال:

- لم يُبنى هذا البيت بالخشب أو الحجارة. وبكم يُقدر حبنا في رأيك؟

- البيت مجرد بيت أولاً وأخيراً.

قال وهو يشد ذراعها التي لفته حول وسطه:

- دعك من موضوع بيت العطور. نحن لا نملك مكاناً لتعيش فيه قصة حبنا. والأهم من

ذلك، السيد "جين ولانج" لا يود حقاً أن يسترجع مال البلاط الملكي، ما يريده هو "حفظ ماء

وجهه" واستعادة هيئته والحفاظ على كرامة ابنته.

صمتت للحظة ثم قالت:

- إذن سأذهب، يُمكنني أن أكون محظيتك...

- لن تتقبل وجود محظية بالضرورة. فخادمتها سرقت عنقود عنب من عندها، فتم كسر

كل أسنانها، إذن ماذا سيحدث معك إن سقطت في يديها، وقد سرقت قلب حبيبها؟

نظرت من النافذة المفتوحة للخارج، رأت عربة سوداء كبيرة الحجم متوقفة أمام بيت

العطور، عربة آتية من "سيول" والتي، وفقاً لرسالة "جين ولانج" ستنتظره لثلاثة أيام.

في تلك الليلة قبل أن يعود نائب المفوض إلى "سيول"، أيقظته ابنة الصيدي. كانت تبكي،

انعكس ضوء أشعة القمر على وجهها، بدا خائفاً. انحنى بالقرب منه وتوسلت إليه بصوت

منخفض:

- أعتقد أنني حامل.

نهض فجأةً واقترب منها ونظر إليها، اقترب لدرجة أنها رأت الحزن في وجهه بوضوح بالغ

وقال:

- كم مرة وجب عليّ أن أخبرك؟!

قبل أن ترفع يدها لتواسيه، نام ممدًا رأسه على الوسادة:

- لا شيء يمكن أن يمنع السيد "جين ولانج" من استعادي إن أراد ذلك.

وفي الصباح الباكر من اليوم الثالث، رحلت العربة مسرعة وبها النائب.

وقفت ابنة الصيدلي عند بوابة بيت العطور كي تودعه. ركب العربة، وفتح ستائر النافذة، وودعها بابتسامة، ابتسامة غريبة جدًا لم ترها من قبل إلا مع الناس الذين يرتدون قناع "البونسانج" في موسم تقديم القرابين.

تمت ابنة الصيدلي لنفسها: "ليتك تمّت هنا على الأقل".

لم يستطع النائب أن يسمع ما كانت تقوله لنفسها، ولكن حينما ابتعدت العربة شاهد وجه "ين جي" التي كانت تقف وراءها، صار كثيبًا فجأة، وكأن السحب السوداء أحاطت به.

وفي اليوم التالي، كانت ابنة الصيدلي تجلس على الأرجوحة، كانت تضرب برجليها على الأرض بشدة كي تحرك الأرجوحة. كانت "ين جي" تعدو مسرعة من الردهة الخشبية، ويدها مرفوعتين للأعلى مثل شخص يغرق.

كان جسدها يرتعش بأكمله، لم يسعها التفوه بأية كلمة حتى وقفت لوقت طويل لبرهة أمام الأرجوحة وقالت:

- مات الرجل المسكين مثلما تمينيت أمس.

...

- عضه ثعبان في الغابة الشمالية في "تيان يوان فو". وحينما وجدوه ونقلوه إلى العربة، كان قد توفى بالفعل. حاولت مرارًا وتكرارًا أن أقنعه ألا يقطع أشجار الخوخ تلك، ولكنه لم يصدقني.

أكملت كأنها تذكرت شيئًا فجأة، فالتفتت مسرعة وقالت وهي تغادر:

- يجب أن نجهز نعشه. ما زالت روحه تحوم حول مدينة "تيان يوان فو" ولا يمكننا إغفالنا.

صرخت ابنة الصيدي وابيضَّ وجهها فجأة مثل الورقة وقالت:

- "ين جي!" هل تتحدثين إلي؟!

استدارت "ين جي" ونظرت إليها وقالت بعد أن صمتت قليلاً:

- اكتشفت فجأة أنه عليّ أن أجهز زي الحداد لك.

بعدئذ، توقفت عن الحديث وتركت ابنة الصيدي وحدها في الحديقة.

لاحقًا بعام، في يوم مهرجان قوارب التنين، كانت ابنة الصيدي تعاني قبل طلوع الصبح من آلام الطلق المتقطعة والتي صارت أصعب حينما تحولت الأوراق الموجودة على النافذة من اللون الأسود الداكن إلى الأبيض الفاتح. وبعد أن غربت الشمس، نهضت تعاني من نوبتين من الألم واتجهت للخارج ويداها ممسكتين ببطنها.

في وسط حقل القصب الهندي عند بوابة الصيدلية، كانت الزهور الكبيرة كبر حجم السلطانية تتفتح. كانت أوراق الشجر حادة جدًا وكأنها سيوف خضراء موجهة نحو السماء، بينما كانت الزهور لامعة جدًا بحمرها مثل احمرار الدم.

قالت "ين جي" لابنة الصيدي بنبرة حماس:

- لقد تفتحت الزهور بالأمس. تلك هي المرة الأولى التي تتفتح فيها تلك الزهور منذ أن تمت زراعتها منذ أكثر من سبع سنوات. في رأيي، لا بد أنه النائب الذي كان يشعر بالقلق عليك وعلى طفلكما في بطنك، وقد أتت روحه لتراك في هيئة تلك الزهور.

جالت ابنة الصيدي بنظرها نحو البقعة الزراعية. مرّت الذكريات في عقلها وكأنها قد حدثت في اليوم السابق، لكنها أدركت تمامًا أنه عليها أن تمر بفترة تتعدى مسافة ثلاثمائة وخمس وستين تلاً حتى تستطيع أن تنضم مرة أخرى للفتيات والفتيان الذين يرقصون ويغنون سويًا في تلك البقعة الزراعية.

وضعت "ين جي" مذبح القرابين⁽³⁾ مع ثلاثة أعواد من البخور الرفيعة التي أمسكتها بيديها ونادت على سيدتها قائلة:

- تعالي هنا وقدمي بعض القرابين لروح النائب. فالوقت يمر بسرعة، أسرع من عربة تجرها ثمانية أحصنة. يا للرجل المسكين! لم يحالفه الحظ ليلقي نظرة على صغيره.

هزت ابنة الصيدي رأسها وقالت:

- لا أستطيع أن أقدم قرابين لرجل هجر زوجته وطفله.

- لقد تُوفي، ماذا عساه أن...

- هجرنا قبل أن يموت.

- لقد بنى لك هذا البيت الجميل.

جثت على ركبتها وقالت بنفس متقطع وبصوت عالٍ:

- البيت ليس لحمًا ولا دماً ولا يكن المشاعر.

قالت "ين جي" وهي تخرج منديلها من تحت إبطها وتمسح عينيها:

(3)- وفقًا للتقاليد البوذية والوثنية، هي طاولة عليها كل ما كان يحبه الشخص المتوفي وترمز لوجوده الروحي.

- أوه، إن قلبك قاسٍ. أقسى من حجر الطاحونة التي تطحن الذرة. ما قلتيه الآن يمكن أن يجعل الميت الذي لدغه ثعبان يتلوى في قبره.

تأوهت ابنة الصيدي قائلة:

- الطفل على وشك أن يولد...

نظرت "ين جي" للنصب التذكاري الموضوع على المذبح، وأخذت ترفي وهي تبكي قائلة:

- لقد كان كريمًا طوال حياته، رغم أنه لم يكن يتحدث كثيرًا، كان كلامه يمس قلبي دائمًا.

- "ين جي!"...

حينما التفتت "ين جي" برأسها إلى ابنة الصيدي، وجدت فستانها مصبوغًا باللون الأحمر بسبب نزيف الدم فأسرعت نحوها. وعندما رفعت فستانها، صاحت قائلة:

- يا إله السماء! أرى رأس الطفل! لا بد أنها سمعت كل ما قلناه الآن.

ومن هنا بدأت قصة حياتي لمدة ثماني عشرة سنة منذ ذلك الحين.



اللغز



حينما فتحت "خونج إي" النافذة في الصباح الباكر، كانت هناك شجرة كمثرى حمراء مزهرة أمام عينيها. كانت الأزهار سميكة وكثيرة، بعضها تفتّح حديثاً على الأزهار القديمة التي أزهرت في وقت سابق على أفرع الشجرة الخضراء فتسقط على الصخور التي تحيط بالبئر. بدت "خونج إي" - دون أن تدري - واضحة بفعل الشمس، حينما ثبتت عينيها فقط على شجرة الكمثرى واقتربت منها أكثر، أدركت أن ما تراه حقيقة.

قالت المرأة المترملة حديثاً:

- ما هذا الشؤم؟

وضعت مشطاً مصنوعاً من خشب شجر الكمثرى في خصلات شعرها الداكن، بقي في هذا الوضع لفترة طويلة، وكأنها نسيتها من إثر بالها المشغول. وفي الوقت نفسه تقريباً، بدا جسدها مقارنة بالأرض الواسعة الممتدة حولها صغيراً جداً وخفيفاً مثل نبات بتلة زهرة الكمثرى، حيث طارت تلك البتلة وسط كل ذلك ولم تستطع أن تستقر في مكان واحد. سرحت "خونج إي" بأفكارها بعيداً وهي تُسرح خصلات شعرها بالمشط ببطء.

حينما انتهت من تسريح شعرها، أخذت "خونج إي" خصلة من مقدمة شعرها وربطتها على شكل عقدة واسعة وثبتتها على رأسها بنيسة خشبية

موضوع عليها فراشة، ثم أخذت خصلتين من عند أذنيها كي تفردهما على وجهها، وتفرد باقي شعرها على كتفيها. قبل أن ترتدي ملابسها، انتقت حمالة صدر صغيرة ولفتها حول صدرها دون أن تطلب من "شياو لو" المساعدة. اختارت لها الخادمة أكبر حمالة صدر عمداً في اليوم السابق ولفتها حولها وضيقته بشدة لدرجة أنها اضطرت إلى الوقوف مستقيمة طوال الوقت ولم تستطع التنفس. في اليوم السابق، حوالي الساعة الثامنة صباحاً، انتهت من طقوس وضع جسد زوجها المتوفي "تشوانج تشو" في التابوت الموجود في الغرفة الأمامية الرئيسية، وأبهرت الحضور بتحفظها وتعقلها. كانت تقف بهدوء وسط مجموعة من الرجال، وترتدي ملابس كنانة ناعمة ملفوفة حول جسدها من الأعلى مبنية تقاسيم جسدها، كان عليها أن تتحمل الآلام الصعبة في كل خطوة تخطوها. كم تمت أن ينتهي أحد الرجال من عشيرتها من تحريك زوجها من على فراش الموت إلى التابوت سريعاً، ولكن كبير العشيرة أخذ يخطب خطبة أثناء الطقوس، واستغرق ساعة بأكملها وهو ينهي الحديث المطول والمبتذل بلعابه اللامع على لحيته البيضاء. ضغطت على أسنانها بشدة حيث كانت تشعر بالحزن، أثرت نظرتها الباكية بشدة في الرجال الموجودين في الغرفة الأمامية الرئيسية الذين كانوا ينظرون من وقت لآخر إليها. لفترة طويلة، كان الناس يعتبرون حياتها مع زوجها أسطورة عشيرة "تشوانج تشو"، لكن لم يرها الكثير من الناس من قبل حيث إن الذين رؤوها يمكن عدّهم على أصابع اليد. لذا في ذلك اليوم، حينما أتت "خونج إي" إلى الغرفة الرئيسية من الردهة المؤدية إلى غرفة نومهما وهي ترتدي زي الحداد ولا ترتدي أي قطعة من المجوهرات، أدهشت الرجال الحاضرين في طقوس الجنازة بسلوكها.

حينما ارتدت ملابسها، رأت خادمتها "شياو لو" وهي تسرع قادمة من البئر ممسكة بإبريق من الخزف تنسكب منه المياه. سقطت تلك المياه أثناء سيرها وكوّنت بحيرات من الطين. كان الطرف الأسفل من جيبه "شياو لو" الداخلية ضيق لدرجة أنها تناسب سيدة جالسة بلا عمل أكثر من خادمة تقوم

بأعمال البيت. لذا حينما كانت تلك الخادمة تترنح ذهابًا وإيابًا في البيت لأداء الأعمال المنزلية بدلاً من التمشية في حديقة البيت وهي ترتدي تلك الجيبة، كانت "خونج إي" تشتاط غضبًا. نظرت "خونج إي" بغضب نحو خادماتها وقالت:

- لماذا تهووين هكذا؟ هل رأيتي رجلًا أو ما شابه؟

حاولت أن تسيطر على نبرة صوتها، لأنها خشت من أنها لو جرحت شعور الخادمة بكلامها القاسي، فإن الخادمة ربما تكسر الإبريق المصنوع من الخزف الأحمر الذي كانت تحمله فيه. حينما تغضب "خونج إي"، تتظاهر بنظرة ذليلة تشبه نظرة الخادم الذي يستمع باحترام لسيده، ومع ذلك، نادرًا ما كانت "خونج إي" تتجاهل صوت أي شيء يُكسر. كان ذلك الإبريق الأحمر الخزفي هدية من رجل كانت تحبه، وجُلب إلى بيت زوجها مع المهر. توجد سمكتان باللون الأخضر مرسومتان بداخل الإبريق رسمهما الرجل أيضًا بنفسه، بدتا وكأنهما تسبحان بنشاط في الماء وكأنهما حقيقتان يطفوان على سطح الماء عندما يُحرك الإبريق.

ابتسمت "شياو لو" ابتسامة متكلفة، وقالت وهي لا تستطيع أخذ نفسها:

- سيدتي، هناك رجل وسيم جدًا يريد رؤيتك.

كانت تعبيرات وجه "شياو لو" غير واضحة تمامًا، مخبئة تحت ابتسامتها، كانت ابتسامتها مجرد جزء من شعورها اليأس كامرأة عانس بلغت الخامسة وعشرين عامًا عندما كانت تتحدث مع الرجال. قبل وفاة "تشوانج تشو"، كانت تختبئ تحت نافذة غرفة سيدتها كي تسمع سيدها وسيدتها وهما معًا في سريرهما. عرفت "خونج إي" المكان الذي كانت تختبئ فيه وتأكدت أنها لم ترَ أي شيء مما حدث هناك، ومع ذلك، في كل صباح كانت نظرات "شياو لو" التي ترمق بها "خونج إي" يختبئ وراءها الكثير. كانت "خونج إي" تطلب من

"تشوانج تشو" عدة مرات أن يطرد الخادمة، فهي لم تعد تتحمل طباعها أكثر من ذلك. ولكن كان هذا الأمر يُغفل دائماً لأنه كان من المستحيل أن يتم إيجاد بديل لـ"شياو لو" فقد كانت تهتم بأعمال المنزل ودون أي مقابل من المال.

هاجت "خونج إي" بسبب ما حدث وحاول "تشوانج تشو" أن يهدئها على السرير قائلاً لها: "كل شيء له مبرر ويجب أن يُدفع لها مقابل كل عملها. دعي كل شيء يسير كما هو عليه". وبينما هما يمارسان الجنس، كان يفعل كل ما بوسعه كي يجعلها تتجراً وتصرخ؛ كي يثيرا غيظ خادمتهما التي كانت تتنصت قرب الشباك من الناحية الأخرى. أمّا الخادمة كانت تؤدي مهامها على أكمل وجه. وكلما سخر "تشوانج تشو" من ذلك، ازداد غضب "خونج إي"، فهي تشعر حينئذ بأنها سقطت في الفخ الذي أعده رجل البيت وخادمتها. وحينما تُوفي "تشوانج تشو"، عانت "خونج إي" كي تحافظ على روتينها المعتاد على الرغم من عزلتها وكآبتها، في حين أن "شياو لو" شخصية مثورة لا يُعتمد عليها مطلقاً؛ فيبدو أنها بسبب أنها لم ترتبط بأي رجل من قبل، كانت تبكي في العلن وفي السر، وتُلفت انتباه الناس متعجبين منها.

لم ترد "خونج إي" على وصف "شياو لو" للرجل. لم تُنزل من مستواها من قبل كي تتحدث مع خادمة بهذه الطريقة، فذلك الحديث يؤدي دوماً إلى مواضيع تتعلق بالرجل الأقرب إليها ويجعلها تُظهر حرمانها وقذارتها. منذ أن صارت "خونج إي" أرملة، لم تعد في مزاج جيد يسمح لها بالحديث عن الرجال، والذين كانوا موجودين في خيالها فقط على أي حال، وبعيداً عن أنها أصبحت تشتمنهم، بدأت تشعر بأنهم سيجلبون الخزي لها.

قالت "خونج إي" وهي تنظر مجدداً نحو الإبريق الفخار، والماء المملوء بها تهدأ حركته شيئاً فشيئاً:

- هل سنتناول عصيدة الأرز على الإفطار؟

لكن "شياو لو" لم تكن ذاهبة لإعداد الإفطار بالإبريق، ولكنها كانت تعطي تقريراً عما يحدث بروحٍ عالية. نظرت لـ "خونج إي" وقالت:

- قال الشاب إنه سافر لمسافة طويلة كي يُسلم على السيد "تشوانج".

- أخبره أن السيد مات وليقم بالواجب فقط.

أرادت "خونج إي" أن تعود إلى غرفتها في آخر البيت، ذكّر ذلك "شياو لو"، التي كانت ترتدي زيّاً أسود، بالغربان الموجودة على السقف والتي كانت تطير جيئةً وذهاباً، وصوتها وهي تبني أعشاشها. أمّا هي، على عكس ذلك، شعرت وكأنها مثل كتكوت أبيض في الفناء، حذر ومرتعش.

قالت "شياو لو" ببساطة وهدوء:

- حينما أخبرته أن الأستاذ "تشوانج" وُضع في التابوت أمس، شرع في البكاء بصوتٍ عالٍ، ولم يستطع التوقف حتى وافقْتُ له على رؤيتك.

توقفت "خونج إي" فجأة.

ارتعشت أيدي "خونج إي" المغطاة بأكمامها الواسعة. رفعت يدها اليسرى، ورفعت كمها الأيمن لتظهر كفها، ترددت، لا تعرف هل عليها أن تصفع تلك العاهرة العانس على وجهها أم لا. وفي تلك اللحظة، قرقرت معدتها الفارغة بصوتٍ عالٍ، فشعرت بالضعف. أعطت ظهرها لـ "شياو لو"، ولوحت بإصبعيها الرفيعين اللذين ظهرا من كمها، وقالت:

- سنتناول الإفطار أولاً.

اتجهت "شياو لو" نحو الباب ببطء، ولم تتعدَ خطوة ناحية الباب وقالت:

- لكن هذا الشاب، الذي سافر كل هذا الوقت كي يصل إلى هنا، لا بد أنه حاليّاً جوعان جداً أيضاً...

فجأة، التفتت "خونج إي"، ورفعت حاجبها وقالت بنبرة تهديد:

- إذن ماذا عساي أن أفعل؟

قالت "شياو لو" وهي تضحك:

- لماذا لا تستقبلين الضيف الآن؟

حاولت جاهدة أن تحسّن من مزاجها في وجود "شياو لو" بأن تتجاهلها ولا تهتم بم

تقوله، أنزلت كمها بحركة حادة، وقالت:

- أود حقًا أن أقابل هذا الشخص المختل.

ثم واصلت سيرها وعادت فجأة، وخرجت بسرعة من الباب أمام "شياو لو".

كان الشاب يرتدي زيًا أبيض، ويقف حزينًا تحت الشجرة، والدموع تلمع في عينيه. لم يشعر حتى بشار الكمثرى التي سقطت على كتفيه، ولم ينتبه لوجود "خونج إي" التي كانت تراقبه لفترة. لذا عندما التفت ورأها فجأة واقفة وراءه، صُدم فجأة. مسح بكفه على جبهته سريعًا، وأنزل كتفيه بهدوء، وأدار وجهه لـ "خونج إي".

شعرت "خونج إي" بالصدمة، اتسعت عيناها وازداد بياضهما، وضعف جسدها، فقد بدا الشاب الواقف أمامها وسيماً جدًا ومن أسرة ثرية وعلى قدر عالٍ من التعليم. ورغم أنها شعرت بإعجاب كبير بداخلها، ظلت محافظة على هدوئها. حينما أرادت أن تقول شيئًا للشاب، اكتشفت أن عينيه كانتا مثبتتين عليها، فقد دُهل بجمالها، ولم يستطع التحرك وكأنه سكران ومتشبه بمكانه.

سعدت بنظراته، بدت أكثر جمالًا ورشاقة، وقالت:

- أخبرتني خادمتي "شياو لو" بأنك أتيت لزيارة زوجي الراحل. أليس كذلك؟

صوتها العذب جعله يفيق فجأة، سوَّى ملابسه وهذبها، ثم وقف منتصباً ثم فتح يديه واتجه نحوها وهو يقول بصوت هادئ:

- سيدتي...

ثم توقف عن الحديث وهو يقترب ولا يعرف ماذا يقول:

- سيدتي...

شعرت "خونج إي" بأن ذلك سخيّف، غطت كفّيها بأكمامها العريضة، اقتربت منه كي تساعد وقالت بصوت رقيق:

- كم أنت مهذب! هل تستحق سيدة مثلي كل هذا الاحترام؟

رغم أنها ساعدته بهذا الكلام الرقيق، شعرت بأنها ما زالت ضعيفة، هدَّب الشاب ملابسه مرة أخرى. وفي اللحظة المناسبة التي التقت فيها عيناهما، نمت الورود الحمراء من حولهما على الأشجار، وسقطت واحدة منهم قرب خدّها. أظهرت إصبعاً من كمها الواسع والتقطت الزهرة من على وجهها، قربتها من شفيتها ونظرت لها بعمق ثم أخفتها داخل شفيتها. ثم نظرت للشاب وهي تضغط على الزهرة بشفتيها بلطف للحظة، ثم بلعتها. سألت الشاب:

- هل يمكن أن أعرف اسمك؟

قال الشاب الصغير بصوت خافض:

- أنا "يونج".

ولم يستطع قول المزيد. كان مفتوناً بها تماماً في ذلك الوقت، وكان يُحدِّق بارتباك في وجهها.

تنهدت وقالت:

- لقد أتيت لتقدم سلامك لزوجي، ولكنه تُوفي. لذا أستاذك أن تعود إلى بيتك.

ثم عدلت أكامها الطويلة، وأعطت ظهرها لـ "يونيغ" وتقدمت بضع خطوات ببطء.

صاح "يونيغ" مندهشًا وكأنه استيقظ لتوه من حلم:

- سيدتي، ابقى من فضلك.

توقفت وهي تسمعه من ورائها متلعثًا:

- لقد أعجبت طوال حياتي بالسيد "تشوانج"، وكنت أتمنى دائمًا مقابلته شخصيًا. من

المؤسف أنني حرمت من فرصة لقائه والاستماع لنصائحه. ومع ذلك، هلا تضي في اعتبارك يا

مدام أنني سافرت لمسافة طويلة، وتستقبليني في منزلك، فأبارك جسد السيد "تشوانج" وأطل

مستيقظًا بجانب كفنه لمدة ثلاث ليالٍ؟

انحنت "خونج إي" قليلًا وقالت:

- "يونيغ"، أقدر احترامك لزوجي الراحل، ولكنني أخشى أنه من غير المناسب أن أبقىك هنا

مستيقظًا بجوار كفنه. فأنا ترملت لتوي، ورغم أنني لديّ حجتني كي أدخلك المنزل، أخشى

الشائعات التي ربما تلحق ببنيتنا الطيبة.

- لم أسمع سوى أن السيد "تشوانج" كان ما زال حيًا وباقيًا على وجه الأرض، كان موهوبًا

جدًا وغير تقليدي، كان يفعل كل ما يظنه الناس خارجًا عن المألوف. كانت أحلامه بأنه صار

فراشة مرة، وتحول إلى سمكة مرة أخرى من القصص المألوفة لمنزلنا، وكنت أستمتع بها كثيرًا.

وهما أنني لم أحظَ بفرصة لقائه وهو على قيد الحياة، أرجوك اسمحي لي بأن أبقى بجوار

النعش. وإن رفضتِ طلبي، سأنحنى هنا على ركبتني حتى تسمحني لي بالدخول.

سمعت "خونج إي" صوت هبوط مفاجئ، والتفتت لـ"يونج" لتراه جاثماً على ركبتيه على السلام الصخرية التي تبللت بمياه البئر. ولم تستطع أن تفعل شيئاً سوى أن تتنهد قائلة:

- لماذا تجبرني هكذا؟

- اعذريني لوقاحتي من فضلك، يا مدام. ولكن من فضلك اسمحي لي بأن أظل معه، أنا صادق في كلامي.

حينما رأت وجهه الجاد وعينه اللامعة، احتارت تماماً ولم تعلم ماذا عليها أن تفعل. صوبت نظرها نحو أعلى رأس "يونج" كي ترى شجرة الكمثرى بجانب البئر، تكاد تسمع البراعم وهي تزهر، فتنمو أزهار قصيرة ورقيقة. رنت تلك الأصوات الخافتة في قلبها، وجعلتها تندش. وبجانب قلة حيلتها، بدأت معدتها في القرقرة مجدداً. في نهاية الأمر، قالت لـ"يونج" بضعف:

- إذا شئت، تفضل بالدخول.

رغم أنه سمع بوضوح كلمات "خونج إي"، ظل محملاً فيها ولم يقف حتى عادت إليه وساعدته على الوقوف. وبينما هو يقف، قام سريعاً فترنح مائلاً قليلاً نحو "خونج إي". ولحسن الحظ، أمسكت يدها بكتفها في الوقت المناسب، جال بعينه وثبت نظراته لبعض الوقت على نهديها. على الفور، احمرَّ خَدَّيها فازداد بريق زي الحداد الذي كانت ترتديه.

وقفت "شياو لو" أمام الغرفة الأمامية الرئيسية، وأخذت تجفف يديها المبتلتين، وتراقب "خونج إي" وهي تأتي مع "يونج" وترتدي كعباً عالياً.

قالت دون أن تنتظر رداً من سيدتها:

- الفطار جاهز.

ودخلت لتعد المائدة. في تلك الليلة، بقي "يونج" بجوار كفن "تشوانج تشو"، أمّا أرملة "تشوانج" فقد ظلت بصحبته بجوار مجرى أسود من الفحم. كانت تتوهج باللون الأحمر المائل إلى الأصفر وتتصاعد خارج المجرى فتضيق من مساحة المكان بذلك اللهب المتصاعد.

منذ أن أتى "يونج" إلى الغرفة الرئيسية، كانت "شياو لو" تسير ناحية الغرفة، وتضيء المصابيح الرفيعة والطويلة والمصنوعة من خشب الصنوبر في كل أركان الغرفة الأربعة، ثم تنحني على ركبتها بين الحاضرين إلى الجنازة كي تحرك قطع الفحم المشتعلة، وتضيف قطعاً جديدة ممسكة مصنوعة من البامبو. حينما كانت تضيف قطع الفحم، كانت نظراتها تتناقل ما بين سيدتها وضيفها الشاب، لدرجة تجعل الناس تقشعر، وكذلك صوتها وهي تبلع أثناء تناول الطعام. وفي منتصف الليل، أضافت قطع الفحم مرة أخرى، وانحنت وهي تفرد ظهرها. حينما رآها الناس من حولها بذلك الوضع، لم يلتفتوا إليها تماماً. فشعرت بالحرج واعتذرت وذهبت إلى غرفتها الخاصة. وقبل أن تغادر، أضاءت مصباحين آخرين من خشب الصنوبر بجانب النعش في الغرفة الرئيسية.

بدأت الغرفة مهجورة في ظل غياب "شياو لو". كان النعش الموضوع في منتصف الغرفة الأمامية الرئيسية تحت ضوء المصابيح يعكس ظلًا كبيرًا على الأرض، فتعطي شعورًا لمن ينحني بجواره بأنه محاط. كان صوت شرارة اللهب مثل أزهار الكمثرى التي تنمو ترن داخل "خونج إي" وتؤلّمها. شعرت بدوار يصيبها في تلك اللحظة المتأخرة من ذلك الليل البارد، كانت أصعب لحظة لها على مدار اليوم.

أمّا عينا "يونج"، كان ينظر بهما نحو الأرض، ثم يرفع رأسه شيئاً فشيئاً مثل سلسلتين لينظر نحو السيدة التي تنحني أمامه. ولم ينطق أية كلمة، ولم تنظر هي للأعلى ولو للحظة، ومع ذلك فقد أدرك أنها مهتمة بنظراته. فهم ذلك

من صدرها الذي ترفعه وتنزله بهدوء، وارتباكها الذي يصل إلى حد الجنون الذي يكاد يدمرها من الداخل.

تذكرت "خونج إي" أنه في عيد ميلادها التاسع عشر، كان "تشوانج تشو" يتعجب من ملامح وجهها حينما كانت تخرج لتوها من الحمام، ويتنهد وتملؤه العاطفة قائلاً:
 - بعد وفاتي، بمجرد أن يجف الطمي حول قبري، يمكنك أن تتزوجي مرة أخرى.
 افترضت حينئذ أن زوجها كان يمزح، فمسحت برقة على كفه بأظفارها الطويلة التي تشبه أجنحة طائر العنقاء، وجذبت أصابعه وفردتها مثل ريش المروحة قبل أن تقول:
 - لا بد إذن أن تترك لي مروحة جيدة من الريش.

ضحك "تشوانج تشو" من قلبه بسماعه لذلك الكلام، وأمعن النظر فيها واضحاً ذقنها بين يديه وقال:

- لقد فعلت كل ذلك من أجل أن أتعرف عليك يا "خونج إي"، وبذلك أكون قد وصلت إلى الحقيقة الكامنة لهذا العالم.

ابتسمت "خونج إي" ولكنها لم تقل أي شيء لزوجها، والذي اعتادت قليلاً على غرابة أطواره. ففي إحدى المرات، كان يعوم في حوض استحمام كبير مليء بالمياه. ثم أغلق عينيه وترك الفقاقيع تطفو على السطح. وغفل حتى عن طعامه. كانت "خونج إي" تشعر بالقلق عليه، فتحوم حول الحوض من وقت لآخر حينما تشعر بالملل، وترسم دوائر حول الفقاقيع التي تطفو على الماء. وفي إحدى الأيام، قام "تشوانج تشو" فجأة من حوض المياه وقال لزوجته وهو يبتسم ابتسامة غريبة: "لقد وجدتها. وجدتها أخيراً!". ولكن حينما سأله زوجته عما وجده بالتحديد، لم يفعل سوى أن ابتسم ابتسامة غريبة. وفي تلك الليلة، حينما كانا يمارسان الجنس، بدا جسده ناعم الملمس ونظيفاً مما ترك

انطباع لدى "خونج إي" أن الجسد الذي يلامسها ليس جسد "تشوانج تشو"، ولكنه جسد سمكة، وأنها صارت مثل المياه التي توجد في حوض الاستحمام المليء بالفقايع. وحينما كانت مشاعرها مشتتة حينئذ، همس "تشوانج تشو" في أذنيها: "هل يمكنني أن أقارنك بتلك السمكة الخضراء؟".

لكنها لم تفهم قصده، فقد كانت تركز فقط على أجسادهما التي تتحرك بانفعال والخادمة التي تراقبهما تحت النافذة.

وفي صباح آخر، كان "تشوانج تشو" جالساً مُربّعاً على السرير، ويراقب زوجته وهي تضع مساحيق التجميل. وحينما كانت "خونج إي" تربط شعرها بدبوس خشبي، قال لها فجأة: "في الليلة الماضية، تحولت إلى فراشة تشبه تلك الموجودة على دبوسكِ وحلقت في ماضيكِ". ضحكت "خونج إي" بذلك الكلام السخيف الذي يقوله زوجها. ومع ذلك، حينما وضعت دبوس الشعر، شعرت أن تلك الفراشة ملمسها ناعم ورقيق وكأنها حقيقية، فدهشت للغاية لدرجة أنها صرخت بصوتٍ عالٍ مبعدة دبوس الشعر عنها. حينئذ، نهض "تشوانج تشو" من السرير واضعاً يده في وسطه وقال مبتسماً: "لقد جاءتني أيضاً، ولكنكِ صرختِ بصوتٍ أعلى مني". في تلك اللحظة، أمسك بالمشط وأعطاه مرة أخرى لـ "خونج إي"، واكتشفت بدهشة كبيرة أن الدبوس كما هو بنفس الفراشة غير الحقيقية المنقوشة عليها. اعتقدت أن "تشوانج تشو" يخدعها، فنطرت له نظرة غاضبة ثم ارتدت ملابسه واتجهت إلى الحديقة لجمع بضع قطرات من الندى في إبريق صغير.

كانت تلك النظرة الجادة للشاب "يونج" التي جعلتها تتذكر كل ما مضى مرة أخرى، وتسترجع الماضي الذي لحق بـ "تشوانج تشو" في نعشه وأثار رعبها في الجنابة. كان اللعنان المنعكس من المصاييح يبدو مثل عيون خضراء صغيرة كثيرة مثبتة عليها فشعرت بضيق نفس. نظرت بعينيها الحائرتين حولها في ارتباك وانجذبت لـ "يونج" في النهاية، الذي كان واقفاً بالقرب منها.

نظرا لبعضهما البعض. على عكس الرجل الكبير الراقد في نعشه والذي انتقل إلى العالم الآخر، فإن مظهر "يونج" الوسيم وحركته الرشيقه نبهتها فجأة بأنه مجرد خيال. هل يمكنها حقًا، بعد أن ظلت طوال عمرها واثقة من حسها الأنثوي وإخلاصها، أن تخون زوجها بهذه السرعة بعد موته وتبدأ في خوض علاقة مع رجل آخر بعد يوم واحد من لقائه؟ تنهدت بشكل عميق وقلبت الأمر في ذهنها وتساءلت: "كيف يمكن لامرأة ضعيفة مثلها أن تقاوم هذا الشاب الوسيم واللطيف بمجرد أن يفكر في أن يتعدى حدوده؟".

جلس "يونج" بجوارها واضعًا يده على كمها الواسع كي يبحث عن يدها. تشابكت أيديهما. شعرت "خونج إي" بقوة كبيرة بداخلها من خلال أطراف أصابعها التي تمسك بيده، ومالت على جسده. لكن قوة "يونج" هزمت مقاومتها الضعيفة بسرعة. حينما رفعها من على الأرض بذراعين، ورماها بطريقة غريبة، شعرت أنها في نفس رقة الزهرة المتساقطة في بئر محفوف بالمخاطر دون أي صوت. ورأت "شياو لو" سريعًا وهي تنظر إليها من مخبئها، تلمع نظرات عينيها القوية الباردة التي كادت تخترقها.

في تمام الساعة الواحدة ليلاً، شعر "يونج" بانتكاسة. شحب وجهه فجأة بشكل مروع، وأزالت نظراته تلك السعادة الكامنة في جسدها في لحظة. فتح فمه، وتنفس بعمق، وأمسك عنقه بشدة ولواها بطريقة غريبة فجأة وسقط. حملت "خونج إي" رأسه بذراعيها وجذبتة نحو صدرها قائلة:

- "يونج!"، ما المشكلة؟

قال "يونج" بضعف وهو يقبض على صدره بأصابعه الخمسة مثل عنكبوت ضخم:

- ألم رهيب بصدري أعاني منه منذ أن كنت صغيرًا. ربما كنا منفعلين لا أكثر، حسناً، إذن...

صاحت "خونج إي" بدهشة كبيرة، لا تعلم ماذا عساها أن تفعل قائلة:

- أوه، يا إلهي!

وقربت رأسه من صدرها، كانت تشعر بضيق نفسه المؤلّم يؤلم قلبها. نظرت بعجز حولها، فقط لترى بوضوح ضوء القمر وهو يتسلل عبر النافذة الموجودة أمام سريرها. ولم يسعها سوى أن تقول بصوت مرتعش:

- "تشوانج تشو"، أنا من أستحق اللوم، اجعل هذا الرجل يخرج من هنا.

تقاربت خطوات متسارعة صغيرة أكثر فأكثر من الخارج، دخلت "شياو لو" تستأذن للدخول واقتربت من الباب وقالت:

- هل هناك أي شيء تريدينه يا سيدتي؟ إن كنت لا تريدين شيئاً، سأخلد للنوم.

أنزلت "خونج إي" رأسها، بينما صارت رأسه التي تحملها شاحبة وذابلة وباهتة مثل الضباب حتى ظهر طيف "تشوانج تشو". أمسكت يديه بأكمامه، ونظر بهدوء لـ "خونج إي" التي شحب من إثر رعبها.

قال لها قبل أن يموت:

- أنتِ أصعب لغز بالنسبة لي في هذا العالم.

كانت جثته وأصابعه الممسكة بيديها رقيقة مثل فراشة بيضاء. قال أيضاً:

- حينما أدفن، وبمجرد أن يجف الطمي حول قبري، يمكنك أن تتزوجي مرة أخرى.

- "خونج إي".

أنزلت رأسها وسمعت صوتاً خشناً آتياً من وجه "يونج" الشاحب والميت يقول:

- إن ميت الليلة، كيف ستفسرين لي كل ذلك؟

ابتسمت "خونج إي" قليلاً، نزلت الدموع من عينيها وأغرقت خديها مثل قطرات الندى.

- سيكون الموت هو تفسيري الوحيد.

تساقط الدمع على وجه "يونج" وبلل صدرها. قال وهو يتنهد:

- أنا من تسببت في قتلِك.

ابتسمت قائلة:

- لا، بل أنا من قتلِك أولاً.

بعد أن تأملها قليلاً، قال "يونج" مرتعشاً:

- هناك علاج لي.

بدا جسدها كله متصلباً وقالت:

- ما هو؟

أجبر نفسه على الابتسام بعد وقت طويل ثم قال:

- أن تأكلي قلباً بشرياً.

وبعدها نظر نحوها وهي متسمرة، وأكمل ببطء:

- يجب أن يكون قلباً لجسد ميت، وليس لإنسان حي.

شعرت ببرودة في قلبها تملأ جسدها، صارت الصورة أمامها غير واضحة، عكس القمر ضوؤه

الفضي على "يونج" وعليها، وكأن شعاعه ثبت عليها، كان جسدها ما زال يفقد روحه.

قال بأنفاس متقطعة:

- انس كل شيء.

حينما أخرج نفسًا بصعوبة، ربت عل يدها برقة وقال:

- الموت هو السبيل الوحيد.

تنهدت "خونج إي" طويلًا وأخرجت تنهيدة بصعوبة من حلقها. حملت بثبات في "يونج" بعينين لامعتين.

فرد "يونج" يديه ليمسكها وانتحب قائلاً:

- لا تفعلي ذلك.

أبعدت يديه وحررت نفسها منه، ثم أمسكت بثوبها الملقى بجانب السرير وفردته ثم ارتدته. وقفت في ضوء القمر وانحنت في حالة من الشرود كما لو أن هناك جناحان خرجا من ذراعيها. رفعت ذراعيها، وسقطت أكمامها حتى كوعها، وأمسكت بخصلات شعرها ولفته في تسريحة كحكة وثبتتها بدبوس الفراشة، واتجهت نحو الباب. وحينئذ توقفت فجأة وقالت بصوت منخفض:

- الحب أم الحياة، أيهما أكثر أهمية؟

قبل أن يحاول "يونج" أن يرد عليها، خرجت من الغرفة. بدت خفيفة مثل العصفور، اختارت أولاً من ركن الأدوات في الفناء فأسًا صغيرة تستخدمها "شياو لو" لتقطيع اللحم، ثم اتجهت مسرعة نحو الغرفة الأمامية الرئيسية.

كان الهدوء الذي يملأ الغرفة مخيفًا. كانت المصابيح تحترق، وملأت رائحتها الجو فأوحى بمزيد من الغموض يشوش عقل أي شخص. كان الفجر والظلام الدامس قد حلا في ذلك الوقت، وتخللت في الغرفة بعض الأشعة الرمادية، وحينما حلّ الصباح، مات "يونج".

ولم تكن "خونج إي" قد ربطت شعرها جيدًا لأنها كانت في عجلة، سقطت خصلة شعر أمام عينيها. وضعتها في فمها قبل أن ترفعها على شعرها، ثم رفعت الفأس الذي تمسك به ببطء، وأطلقت صرخة قوية، وسددت الفأس نحو النعش.

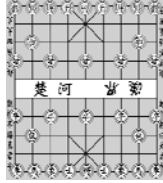
سقطت حافة الفأس على النعش والذي أحدث صوتاً عالياً وصار هناك قطعاً أبيض في الكفن بعلامة حمراء. كانت "خونج إي" مصدومة لدرجة أنها عادت إلى الخلف عدة خطوات وسقطت أرضاً. وحينما نظرت إلى الأعلى، اكتشفت أن الكفن تحرك قليلاً، وقفت مرة أخرى وهي تعض خصلة شعرها بأسنانها بشدة، ورفعت الفأس مرة أخرى. في هذه المرة، سمعت صوتاً يشبه الرعد ورأت شقاً مثل البرق المصحوب بالرعد يخرج من علامة القطع، والذي ازداد شيئاً فشيئاً حتى ظهر "تشوانج تشو" ممسكاً بيديه وراقداً في التابوت بهدوء. اتجهت "خونج إي" نحو التابوت ونظرت بداخله. كان ضوء الغرفة الأساسية الأمامية خافتاً، ولكنها استطاعت رؤية "تشوانج تشو" بشكل واضح جداً، ولم تشعر بأي خوف. - "تشوانج تشو" لقد سافرت كثيراً حول العالم، والآن هذه نهاية رحلة حياتك، ألا تود أن تحيي روحاً أخرى؟

لم يجبها. كانت عيناها مغلقتين، وكأنه يتأمل. رفعت "خونج إي" فأسها الصغيرة وصوبته نحو صدره، فالتصق به ولم يخرج منه. لم تستطع أن تفعل شيئاً سوى أن تتركه. كان ذارعاً متألمتين ومجهدين مما فعلته، لكنها بدت أنها لا يعينها ذلك. حملقت فقط في الوجه بداخل الكفن، وجدته مصعوقاً. تسربت الكثير من الدماء من المكان الذي أصيب بالفأس في صدر "تشوانج تشو" ببطء، وملأت المكان بأكمله. شعرت "خونج إي" أن الزهور التي نبتت على شجرة الكمثرى تتساقط مثل حبات المطر على "تشوانج تشو". غطت الزهور الحمراء جسده وغمرته وبعدها انحسرت مثل مياه المد وظهر وجهه مرة أخرى. انقسم وجهه إلى نصفين: أحدهما "تشوانج تشو" والآخر "يونج".

الحشائش النامية

عندما يحل الربيع

1



حينما أتى "جين إيآن" إلى قصر "باي لي"، كانت هناك خادمتين ينتظرانه عند البوابة. قاداه عبر ساحة البلاط الملكي، سارتا طوال الردهة الخشبية لبعض الوقت قبل أن يتوقفا في النهاية أمام باب. توقف أيضًا "جين إي آن". حينما رأتهم أربع خادومات أخريات، اندفعن إلى هناك لفتح الباب وانحنين أمامه واضعات أيديهن فوق بعضها البعض وقلن:

- جلالة الملكة بانتظارك.

أومأ "جين إي آن" إليهن واتجه إلى الغرفة.

كانت الغرفة مشعة بنور الشمس، وكانت الأميرة "تشون مي" تجلس قرب المنضدة بجوار النافذة وتراقبه وهو يسير نحوها.

قال "جين إي آن" بصوت جاف وضعيف وكأنه استنشق دخاناً أضعف صوته:

- أنا المسؤول الاحتفالي الجديد.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يلتقي فيها بالأميرة، كانت الأميرة مقربة جدًا لدى الإمبراطورة "وانج". يُقال أن المسؤول الرسمي السابق قد تقاعد وعاد إلى بلده لأنه رأى بما فيه الكفاية من هذه الأميرة. ولم يُسمع أبدًا من قبل في البلاط الملكي بشيء مثل أن "جين إي آن" وجب عليه أن يشغر المنصب حتى دون أن يعد نفسه لاختبارات الدولة. سألت الأميرة "تشون مي":

- إذن هل أنت شقيق "جين إي لين"؟

- نعم يا سمو الأميرة.

اندذهشت الأميرة قليلاً ثم قالت بعد نظرة فاحصة سددتها إليه:

- أنتما تشبهان بعضكما البعض كثيرًا. لم تأخذ منه سوى ملامح وجهه ولكن روحكما وخفتكما تختلفان تمامًا.

كان تعاملها الجيد مع الرجال مبهرًا تمامًا، فلم تكن مثل الأميرات اللاتي عشن في عزلة، وكذلك لم تكن مثل مغنيات بيت الزهور اللاتي كانت عيونهن مغرية ينظرن بها نظرات تغري وتحرك قلوب الرجال تمامًا. كانت تنظر بعينين حادتين جريئتين، لذا لم يكن هناك أي داعٍ للشخص الذي تنظر إليه أن يشعر بالخجل.

فرد "جين إي آن" رقعة شطرنج بينهما وشرع في تعليمها كيفية لعبها.

التقطت الأميرة "تشون مي" بعشوائية قطعة شطرنج ووضعتها على الرقعة قبل أن يوضح

"جين إي آن" أي تعليمات للعبة قائلة:

- إن أخيك مغرور، لكنه كان محل إعجاب بعض النساء في المناسبات الخاصة. لم أعلم

أبدًا أيهما حدث أولًا: هل صار مغرورًا بسبب إعجاب النساء به أم العكس؟

ثم قالت وكأنها تُحدّث نفسها:

- لكن حتى قرينة الأمير مرتبطة به قليلاً. هل التقيت بها من قبل؟

هز "جين إي آن" رأسه وأخذ أيضًا قطعة شطرنج ثم وضعها على الرقعة.

قالت الأميرة "تشون مي" ناظرة إليه نظرة تعاطف وكأنها آسفة على أنه لم يرها من قبل:

- الكل يقول أنها رقم واحد في الجمال على مستوى العالم، تمامًا مثل أمي، الإمبراطورة

"وانج" حينما كانت شابة. وحتى الأمير الذي لم ينظر إلى النساء قط سحر بجمالها حينما

التقى بها.

لكنها ابتسمت ابتسامة مبهمة ثم قالت بعدئذ:

- رغم أن الزوجة الجميلة للأمير كانت معجبة بأخيك، وتصرفت بغرابة يومًا بعد يوم بعد

دخولها القصر، فإن الأمير لم يلم أي شخص، وبدلاً من ذلك صار أقرب أصدقاء "جين إي لين".

لا بد أنك سمعت بالأقاويل التي ترددت على الأمير بأنه أضحوكة "سيول"، والآن صار أخو

"جين إي لين" المسؤول الاحتفالي. هل تعلم كيف نلت هذا المنصب؟

أنزل "جين إي آن" عينيه ناظرًا نحو رقعة الشطرنج.

علت الأميرة "تشون مي" صوتها وقالت:

- أنتظر ردك.

- لا أعلم أي شيء سوى تعييني في هذا المنصب بقرار من وزارة الشعائر الدينية.

وضعت الأميرة قطع الشطرنج بشكل أسرع من "جين إي آن" ثم قالت:

- بالطبع هذا غير صحيح. أنت لا يهملك سوى التمتع بالملذات، فإنك حتى لو تعلم كم

التحولات والانعطافات في أمر ما بأكملها، ستدعي أنك لا تعلمها.

جلس "جين إي آن" معتدلاً رافعاً نظراته ومسدها مباشرة نحو عيون الأميرة للمرة الأولى

ثم قال:

- إن كنتِ يا سمو الأميرة غير راضية عني، يمكنكِ أن تختاري شخصاً آخر.

من الواضح أن الأميرة لم تتوقع هذا الرد منه، حملت فيه بدهشة وبدت عيناها بريئتين.

أمّا "جين إي آن" فقد اشتغل الغضب في داخله عدة مرات قبل أن يهدأ في النهاية.

ابتسمت الأميرة "تشون مي" وأومأت له بأن يضع قطع الشطرنج على الرقعة قائلة:

- تبدو مثل "جين إي لين" الآن. ليس من الضروري أن نجد شخصاً آخر كي يحل محلّك.

فإن من كان يسبقك في المنصب كانت رائحة إبطيه سيئة تجعلني أشعر بالدوار. وأنت على

ما يبدو ليست لديك رائحة قوية، ولديك وجه مثل وجه "جين إي لين" وقد يأتي هنا لزيارتك.

أدهشت صراحة الأميرة "تشون مي" "جين إي آن". كان من المفترض أن تتزوج الابن الأكبر

لعزو كبير بالمجلس الإمبراطوري، لذا تم تعيين مسؤول احتفالي ليطلعها على "إتيكيت"

المراسيم الخاصة باحتفالية الزواج الملكي، وكذلك المهارات التي تؤدي لحياة زوجية هائلة مثل

لعب الشطرنج واستعراض "طقوس الشاي". ولكن على ما يبدو لم يكن لدى "جين إي آن" أية

فكرة عما إذا كانت قد تصرفت بتلك الفظاظة نفسها مع المسؤول السابق للاحتفالات أم أنها

كانت تتحدث معه برسمية تامة بكل بساطة بسبب أنه كان شقيق "جين إي لين".

أو هل ربما أرادته أن يتحدث عن "جين إي لين"؟

سألت الأميرة "تشون مي":

- من رأيك، هل سيأتي "جين إي لين" لزيارتك هنا؟

أجاب "جين إي آن":

- لا أظن ذلك.

- ولا حتى إذا دعوته؟

أجاب "جين إي آن" بصراحة:

- ليس من الصواب للأميرة على وشك الزواج أن تفعل ذلك.

قادت الحديث بشكل سريع وابتسمت ابتسامة مأكرة، ثم قالت:

- أتعني أن النساء يمكن أن يقمن بأي شيء يردنه بعد الزواج؟

توقف "جين إي آن" عن الحديث والنظر إليها. لكنه حينما أخذ قطعة شطرنج وفكر في

النقلة التالية، شعر بالدهشة قليلاً، فالأميرة "تشون مي" قد قامت بنقلات غير عادية

بطريقتها الارتجالية.

قالت:

- هل تعرف ذلك الرجل؟

نظر "جين إي آن" إلى الأميرة وقال:

- من؟

- الرجل الذي سأ تزوجه. هل التقيت به؟

- لا.

قالت الأميرة "تشون مي":

- تشرفت برؤيته من وراء الستائر في الشهر الماضي حينما أتى والده إلى

القصر كي يتفق على تاريخ حفل الزفاف. كانت عيناه متورمتين مثل ثمرة

البرقوق العفنة، وكأنه لم ينم أبدًا لمدة نصف شهر، كان نحيفًا وهيكله العظمي بارزًا ولم يهتم حتى بغلق فمه بكمه عندما يتشاءب.

كانت تلتقط بعض قطع الحلوى من العلبة باستمرار وترصها على الرقعة واحدة تلو الأخرى تقريبًا بلا توقف.

- احكِ لي شيئًا مسليًا. فالحياة المعزولة في القصر تزيد من عادة النسيمة.

قال "جين إي آن" بعد برهة:

- وأنا في طريقي إلى هنا في هذا الصباح، أوقف رجل مجنون عربتي، وادعى أن العربية مكونة من الذهب وحاول محاولات يائسة أن يأخذ قطعة منها إلى البيت.

شهقت "تشون مي" قائلة:

- حقًا؟

نظر "جين إي آن" إلى الأسفل على الرقعة كي يحكم على الموقف وقال:

- نعم. إن سموك تلعبين الشطرنج باحترافية لدرجة أنك لا تحتاجين إلى معلم.

نظرت الأميرة "تشون مي" إلى الأسفل أيضًا إلى الرقعة وتساءلت:

- هل فزت إذن؟

أجابها "جين إي آن":

- في الواقع ليس بعد.

- إذن لما تمدح مهارتي في اللعب؟

- من رأيي يمكن لسموك بأن تلعبين بأقل من عشرة لاعبين في مباراة في "تشنج جون

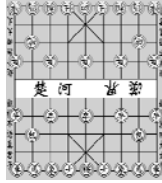
جوان".

تساءلت الأميرة "تشون مي" بنبرة خفيفة من السخرية:

- إذن لا بد أنك أفضل لاعب في الدولة، أليس كذلك؟ هل تحاول إرضائي أم تستعرض نفسك أمامي؟

حينما وصل إلى بوابة قصر "باي لي" في طريق عودته، التفت حوله. كان سطح القصر ممتدًا مثل أجنحة الطائر ويمتلئ بالردهات الخشبية التي تؤدي إلى الغرف في آخرها. كانت الأميرة "تشون مي" تقف في الردهة، وتنظر إليه. رغم أن وجهها بدا غير واضح كلما ابتعد عنها، فإن مظهرها في الملابس البيضاء كان بارزًا.

أخذ يفكر "جين إي آن" وقال لنفسه: "تبدو مثل طيف أبيض". حينما استدار، رأى شجرة كركديه عند بوابة القصر. كانت زهور الشجرة تتساقط من على أفرعها تأثرًا بنسيمات المساء، كان الضوء والزهور ينعكسان على رأسه ووجهه وملابس المسؤول الاحتفالي الجديد. تلك اللحظة التي استدار فيها جعلت قلبه ينبض بسرعة كبيرة، وشعر كما لو أنه قد تحول إلى قطعة سوداء محاطة بالعديد من القطع البيضاء اللانهائية.



2

في اليوم الذي أتى فيه الأمير ليشرب الشاي، تساقط المطر منذ الصباح الباكر وأمطر رذاً خفيفاً جداً والذي بدا كأنه خيوط تنسجها أيدي ماهرة إلى قماش. أخذ يفكر "جين إي آن" في أطراف أصابع الأميرة "تشون مي" ثم حوّل فكره إلى أطراف أوراق شجر البامبو. وفي فناء القصر كان هناك امتداد من نبات البامبو المر، أوراقه خضراء وناضجة، والتي لمعت في المطر وبدأ شكلها حيوي بلونها الزمرد.

فُتح كتاب أمام "جين إي آن"، ولكنه لم يقلب صفحة واحدة لأن كل ما شغل باله هو الأميرة "تشون مي". كانت عيناها الداكنتان مخبئتين في مكان ما بالقرب منه مركزتين عليه، كانتا تحملقان فيه بثبات دون أن تغمضا للحظة وتسببا له الضيق.

سأل "جين إي لين" حينما أتى:

- كيف تسير الأمور في قصر "باي لي"؟

- الأميرة "تشون مي" معروف عنها أنها مزاجية وعنيدة.

ابتسم "جين إي آن" وقال:

- ليس الأمر سيئاً لهذه الدرجة.

ثم أكمل بعد لحظة تفكير:

- إنها لاعبة شطرنج ماهرة.

سأل "جين إي لين" وهو يلتقط اللحم من الإناء الأسود بأعواد أكل فضية رفيعة:

- حقًا!؟

كان كلما يأكل السمك، يفصل رأسه وينزع عظامه وذيله ويضعهم بعناية في الطبق، وكأن الطبق قُدم إليه بهذا الشكل.

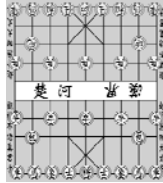
قال "كيم يي ليم" وهو يضع طبقه بشكل مهذب حينما فرغ من تناول السمك:

- التقيت بها مرة في قصر الأمير. كانت غير مهتمة تمامًا بجمال زوجته وظلت تتشاجر معها. رغم أنها على وشك الزواج إلا أنها ما تزال تتصرف كطفلة.
قال "جين إي آن":

- إنها تلعب الشطرنج بمهارة.

نظر "جين إي لين" نحوه سريعًا ثم أمسك لسانه عن بعض الألفاظ البذيئة التي كان على وشك التفوه بها بعد ترده قليلًا. فلم يكن "جين إي لين" يُقدر مثل تلك الإنجازات في الموسيقى أو الشطرنج أو فن الخط أو الرسم، ووبخه عدة مرات بسبب "ميله لحب المتع وافتقاره لأي طموح نبيل".

اقتنع "جين إي آن" قليلًا بكلامه ولم يتفوه بكلمة، ولكنه تذكر بينه وبين نفسه، إن لم تكن لديه مهارته البارعة في لعب الشطرنج، فبالتالي لم يكن ليستطع أبدًا أن ينال منصب المسؤول الاحتفالي.



3

حل المساء مبكرًا في الأيام الممطرة. شهد وقت الغسق هطول المطر الغزير ببطء وتساقطها على أوراق البامبو. أشعل الخدم المصابيح التي كانت متدلية في الردهة الخشبية.

كانت هناك رياحًا تهز المصابيح بخفة.

حينما حل الظلام التام، سُمعت أصوات أقدام من الجزء الشرقي في القصر. سار "جين إي لين" متتبعًا الخادم الذي قاد الطريق وهو يسير أمامه ممسكًا بمصباح، ولكن "جين إي آن" لم يكن يعرف تمامًا الشخص الذي يسير بينهما.

قال "جين إي لين" وهو يسير في الردهة الخشبية ويشم رائحة المطر:

- هل تود أن تشرب كوبًا من الشاي؟ أنا موجود.

ثم ضحك لـ "جين إي آن" قائلاً:

- أنا لا أضيئك، أليس كذلك؟

- بالطبع لا. لحسن الحظ لدي بعض من شاي اللوتس.

خلع الرجل الذي كان واقفًا خلف "جين إي لين" معطفه الذي كان يغطي رأسه أيضًا، في ضوء المصباح ظهر وجهه الوسيم المنير بابتسامة واضحة. شعر "جين إي آن" أن قلبه توقف عن النبض فجأة.

سأل "جين إي لين":

- أليس من الواجب أن تحيي الأمير؟

حينئذ استفاق "جين إي آن" من صدمته وتراجع خطوة كي ينحني.

مد الأمير يده وأمسك بـ"جين إي آن" قائلاً:

- لا تفعل ذلك.

بدا صوته مثل صوت الأميرة "تشون مي"، لا يتحدث إلا بنبرة قوية وبشكل أبطأ وكأن كل

كلمة يلفظ بها يقولها بحرص شديد. قال:

- أمل ألا ينزعج "جين إي آن" من زيارتي الأخيرة.

انحنى "جين إي آن" له ودعاه إلى مكتبه حيثما كانت المدفأة مشتعلة بها طوال اليوم مما

جعل الغرفة دافئة وساحرة وقال:

- بالطبع لا. شرفنتي في غرفتي المتواضعة.

أخذ قلب "جين إي آن" يخفق بشدة وارتعشت يديه بشكل خفيف. حينما جَهَّز طاولة

الشاي وغسل يديه وشطف أدوات الشاي بالماء المغلي، بدأ يهدأ ويتصرف براحة أكثر. فهو لم

يرَ الأمير سوى مرة في البلاط جالساً بمعزل وينظر إلى الأسفل نحو الموظفين. فكر بينه وبين

نفسه ووجهه جامد لا يبدو عليه أي تعبير في أن النبيل لا بد أن يسري على الجميع مثل الأمير.

ثرثر الأمير مع "جين إي لين" متعجباً من "جين إي آن" وحركاته الماهرة.

جلس "جين إي آن" جنباً إلى جنب مع الأمير على فراش به نقوش كثيرة ناظراً إلى شقيقه

الأصغر ومبتسماً وقال:

- الجميع يعلم أن "جين إي آن" ماهر في لعب الشطرنج، تماماً مثل غيرها من المهارات

التي يمتلكها، وحتى أنا بصفتي شقيقه لا أعلم الكثير عنه.

كان شاي اللوتس الذي أعده "جين إي آن" لضيوفه مصنوعاً من الشاي

المنتج في مدينة "باو" في ذلك العام. وضع الشاي الجديد المغلف بورق بين

نباتات البتلة مع زهور اللوتس العطرة النامية في البحيرة وراء بيتهم وبعدها ربط نباتات البتلة بخيط رفيع، وحينما نُقِعَ الشاي في العطر، أخرج أكياس الشاي. دعا "جين إي آن" أخاه ليجرب هذا الشاي كل عام، لكنه لم يتوقع أن الأمير سيأتي مع "جين إي لين" هذه المرة. عندما صبَّ الماء المغلي في أكواب الشاي، كانت رائحة الشاي الذكية تفوح من زهور اللوتس الياضعة التي ملأت الغرفة كما لو أن هناك العديد من زهرات اللوتس التي تمت فجأة حولهم وأنعشتهم. جلس الأمير و"جين إي لين" سوياً، حدثهم "جين إي آن" بشكل مختصر عن أصل الشاي ثم قدّم لكلٍ منهما فنجاناً من الشاي.

قال الأمير بدهشة بعد أن شرب رشفة من فنجانه:

- كيف لم أعلم بوجود مثل هذا الشاي الرائع بالقصر!

أضاف "جين إي لين":

- الشاي جيد، والمياه ليست طبيعية أيضاً. لقد أخذها "جين إي آن" من قطرات الندي

الموجودة على أوراق زهر اللوتس قبل الفجر.

قال "جين إي آن":

- إنكم ذواقون جداً. تتذوقون كل شيء حتى الشاي والماء.

رفع الأمير عينيه من على حافة الفنجان ونظر سريعاً نحو "جين إي آن".

كان الأخوان "جين" يتشابهان في أشياء كثيرة، ولكنهما يتركان انطباعات مختلفة لدى

الناس: أحدهما كان محبوباً مثل الذهب بينما كان الآخر أقل مكانة كالفضة.

عندما انتهيا من شرب الشاي، صب لهما "جين إي آن" المزيد.

قال "جين إي لين":

- هل من الممكن أن أعقد مقارنة بين مواهبنا؟ أمل ألا أضايقك، فأنا أشبه نكهة الشاي القوية التي تفوح بمجرد أن يُصب الماء المغلي.

رفع "جين إي لين" فنجانه ذا اللون التركواز الفاتح الخفيف بنقوشه المزخرفة المصنوع في "ده نينج فو" الذي كان ممسكًا به وعرضه على الأمير ثم قال:

- بينما "جين إي آن" يبدو مثل فنجان الشاي هذا، يظهر حجره الكريم اللمع فقط حينما نصب الماء المغلي للمرة الثالثة.

صُدم "جين إي آن" من تعليقات أخيه الأكبر ونظر نحوه، بدا دومًا بنفس الصورة المرسومة في ذاكرته، شخص غير ناضج في ظل كل هذه التفاهات اليومية. حينما كان والداهما على قيد الحياة، كان كل ما يتحدثان بشأنه يتعلق بكيف يجعلون عشيّرتهم تحظى بالشرف أثناء دردشاتهم القليلة من حين لآخر. كان "جين إي آن" دائمًا ما يتجنب نقاشهما الانفعالي وصورتهم للمستقبل المليئة بالحماس مثل المراقب الذي لم يستطع أبدًا الانضمام إلى تلك المجموعة.

لم يعلم تمامًا منذ متى ولأي سبب بدأ "جين إي لين" يشخصه ويفهمه. بل وكيف لأخيه أن يقول مثل هذا المديح!

فنجان لونه تركوازي فاتح خفيف بنقوشه المزخرفة مصنوع في "ده نينج فو"!

امتدحه الأمير قليلًا قائلاً:

- من دواعي سروري حقًا أن أشرب الخمر مع الأخ "جين إي لين" وأن أشرب الشاي مع

الأخ "جين إي آن"!

بدأ "جين إي آن" الذهاب إلى مدرسة "دونج تانج" في السادسة من عمره. وفي يومه الأول هناك، استدعى ناظر المدرسة "جين إي لين" الذي كان يدرس هناك لمدة عامين في ذلك الحين كي يقف ويرتل بعضًا من كتاب "تعاليم كونفوشيوس". كان "جين إي لين" في الثامنة من عمره آنذاك، ولأنه كان يتمتع ببعض الموهبة الأدبية والذوق الفني، كان بمجرد أن يشجعه أحد عليهما تظهران في ترديده للاقتباسات القديمة من الصين على شكل ترنيمة حيوية وموسيقية، مثل العجلة التي بمجرد أن تحركها تبدأ في الدوران أسرع وأسرع. كان يلعب بشكله الباهر لدرجة أن أخيه الأصغر "جين إي آن" أدرك في تلك اللحظة أنه لن يقترب حتى من مكانة أخيه الأكبر.

منذ ذلك الحين، كان كل شيء يجيده الأخ الأكبر يقلل من شأن الأخ الأصغر. كان مستوى "جين إي آن" الدراسي ضعيفًا أثناء دراسته لـ "الكتب الأربعة المقدسة" و "الكلاسيكيات الخمس". ورغم أنه بذل بعض الجهد في الدراسة، كانت تلك الجمل التي تتحدث عن سبل إدارة البلاد وحكم الشعب دائمًا تُحى من ذاكرته ويعجز لسانه عن تسميعها. كان بدلًا من ذلك يتحلى بالكفاءة في بعض وسائل الترفيه مثل الموسيقى والشطرنج وفن الخط والرسم، وكان مستواه فيها يتعدى فوق المتوسط دون جهد. من حسن حظه أن والديه صبا كل آمالهما على الابن الأكبر ولم يطالباه بأي شيء.

بعد أن توفي والديهما، درس "جين إي لين" ومارس الفنون العسكرية في جامعة "تشنج جون جوان"، وكان يعود إلى البيت كل عشرة أيام.

أما "جين إي آن" كان يؤلف طوال اليوم بعض الألحان الفلكلورية ويرسم بعض الرسومات الصينية بالحبر الأسود ويلعب الشطرنج أثناء شربه للشاي ويمارس المجنون ليلاً في بيوت الزهور. فُتِن في إحدى المرات برقصة في بيت "وو خوا"، بدا جسد الراقصة مرناً وأنعم حتى من عجينة الدقيق، كان يتلوى بطبيعة خلقه كالملايس المبللة.

في صباح أحد الأيام مبكراً، عاد "جين إي آن" إلى البيت بعد ليلة قضاها في بيت "وو خوا"، ووجد "جين إي لين" جالساً في مكتبه. كان هناك حوضاً من النحاس أمام أخيه الأكبر يحرق قطع الفحم فيه كي تُدْفئ الغرفة في الشتاء، وبه كان يوجد زوج من المشابك النحاسية الكبيرة ومقبضها مصنوع من الخشب. أما وجه "جين إي لين" كان يبدو أيضاً بدرجة لون وجودة المعدن، عيناه ذُكِرَت "جين إي آن" بعظامه المكسورة حينما كان يمارس الفنون القتالية. وجد "جين إي آن" رزمة كبيرة من اللوحات المرسومة الملفوفة التي انتقلت من حاوياته ودولابه إلى موضعها الحالي بجانب "جين إي لين".

أمضيا النهار كله في المكتب. كانت ألسنة اللهب الحمراء والزرقاء تتمايل وتتراقص إثر الاشتعال في اللوحات المرسومة، كان ذلك المنظر فاتناً مثل رقصات بيوت الزهور. ظل الرماد في الحوض النحاسي يتراكم حتي وصل إلى أعلى حافة الحوض في آخر الأمر وسقط مثل أوراق الشجر الذابلة على الفراش المنقوش.

شعر "جين إي آن" أيضاً أن قلبه معلق بالمشبك النحاسي وموضوع في المدفأة ومحروق حتى صار رماداً. انحني على ركبتيه دون حراك، شعر أن قدميه وساقيه وجذعه وذراعيه حتى عقله قد فقدوا الحس وكأنهم تم تخديرهم.

غادر "جين إي لين" منوهاً له بعد أن احترقت اللوحات:

- هل أرحت أرواح والديك الراقدة بهذه الأشياء؟

لم يدر كيف عرف أخوه الأكبر كل ما يقوم به. لم يكن من المعتاد في ذلك الحين للفتية الذين يدرسون في جامعة "تشنج جون جوان" أن يرتادوا بيوت الزهور، فمن الممكن لأحدهم في مقبّل شبابه أن يقع في الغرام مرة أو مرتين. وعادة ما يسخر الناس ممن لم يرتادوا أبدًا بيوت الزهور. على الرغم من أن "جين إي آن" هدأ شيئًا فشيئًا بعد تلك الدهشة، لم يوافق على ما قام به أخوه الأكبر، فقد أدرك كل منهما مكانته سواء من حيث الشهرة والثراء أو من حيث الحياة الاجتماعية المليئة بالمشاعر الرقيقة، وقد قام أخوه الأكبر "جين إي لين" بتلك الضجة على تلك الأشياء التافهة فقط كي يستعرض سلطته.

يُريح أرواح والديهما الراقدة؟

ما علاقته بذلك؟

قبل موت والديهما، كان الأب يركّز دائمًا على زجاجات الخمر و"جين إي لين" بينما كانت الأم تركز دومًا على أبيهما و"جين إي لين". وقد نسيا ابنهما الأصغر طوال حياتهما حتى قبل استعدادهما للذهاب إلى عالم الموتى، ناهيك من ما يحدث الآن. كان يشعر بالحزن أيضًا لوفاة والديهما، ولكنه لم يكن يائسًا. فقد أبعد نفسه عن أي شيء يجعله يبدو "عاطفيًا".

في جنازة والده، ارتدى زي الحداد ووقف بوجه صارم خلف أخيه الأكبر يراقب "جين إي لين" وهو يستقبل ويودع الأقارب والضيوف. شعر بالملل والفراغ، فأخذ يراقب "جين إي لين" بعين انتقادية واكتشف أن حزن أخيه الأكبر بدا أنه تتغلب عليه مشاعر الفرح، حيث كان وجهه "جين إي لين" حيويًا فهو لم يعد بحاجة للقلق بشأن حماقات أبيهما التي كان يرتكبها إثر مرجه

الصاحب وإدمانه للخمر لأن ذلك كان سبباً رئيسياً لتبذير الأسرة، والأكثر من ذلك أن أخيه الأكبر صار الآن كبير أسرة "جين"، وقد نال الإعجاب الشديد من كل من قدم فروض العزاء قائلين:

- لأنه ترك ابن مثلك، يستطيع والدك الآن أن يرقد في سلام.

كاد ينفجر في ضحكة باردة قائلاً لهم:

- كيف لإنسان ميت ألا يرقد في سلام؟

أخذ "جين إي آن" يدلك قدميه ورجليه المخدرتين ووقف ونفض رماد الورق من على ملابسه. كان يشعر أنه محظوظ. فقد فضل أن يحرق "جين إي لين" لوحاته بدلاً من الخوض في حديث معه وجهاً لوجه عن طموحاته ومسؤولياته الأسرية.

كان ما يزال يتردد على بيت الزهور و"وو خوا"، ومع ذلك، بدأ شغفه للذهاب إلى بيت الزهور يقل نوعاً ما يوماً بعد يوم. كان ما يزال يتقرب منها، وحينما كانت تغازل الرجال الآخرين حتى، كان يتجاهل ذلك ضاحكاً كالمعتاد، لكنه أخرجها من قلبه كما لو أن تلك المرأة التي أحبها احترقت وتحولت إلى رماد، وأن تلك الإنسانية الحية أمامه لم تكن سوى وهم. كان على علم بغرابة تفكيره، ولكنه لم يسعه أن يوقف تفكيره في ذاك الاتجاه فهو كالحصان يعدو داخل عقله. عن العدو في هذا الاتجاه. لاحظ أفراد بيت الزهور هذا التغير في طباعه، واشتكوا منه عدة مرات متنهدين، ولكن بلا جدوى. لا بد أنها شعرت أنه هجرها وزاد نفوره منها. ولأنها كانت "الأكثر طلباً" في بيت "وو خوا"، لم تفتقر أبداً للمعجبين بجمالها. ورغم أن "جين إي آن" من سلالة نبيلة، لم يكن بالنسبة لها أفضل من الآخرين باستثناء أن وجهه كان وسيماً.

6

لم يقيم "جين إي آن" بزيارة بيت الزهور لفترة طويلة. وأمضى أغلب وقته في دراسة كتيبات الشطرنج. نمت مهاراته أسرع فأُسرع حتى وصل إلى مباريات القمة ضد أمهر اللاعبين وكذلك وصل لدرجة أنه جلب المتبارزين إلى باب بيته. وحينما بلغ الثمانية عشرة من عمره، اجتاز "جين إي لين" اختبارات الأدب الإمبراطورية في فصل الربيع واختبارات الفنون القتالية الإمبراطورية في فصل الخريف، وصار أسطورة في "سيول". لاحقًا بعامين، تولى منصب نائب مفوض المراقبة من الرتبة الثالثة في مكتب المراقبين. كانت هذه أعلى رتبة مُنحت لأسرة "جين" على مدار الستة عقود الماضية.

بسبب نجاح "جين إي لين" الهائل في القصر الإمبراطوري، يبدو أنه لم يصعب عليه بعد ذلك مطالبة أخيه الأصغر بأي شيء أو ربما فقد الثقة تمامًا به. أخذ "جين إي آن" يفكر في كل ذلك بينه وبين نفسه.

لمح "جين إي لين" بطاقته وحيويته في زيه البنفسجي الرسمي. ولأنه كان النجم الجديد في البلاط الملكي، كان يتلقى دعوات على العشاء كل يوم. في حين أن "جين إي آن" بدا مثل عشيقه الملك التي تجاهلها وحط منها الجميع حتى الخدم. نادرًا ما كان يلتقي الأخوان. حينما كان "جين إي آن" ينهض ويتناول الفطور، يكون "جين إي لين" قد ذهب بالفعل إلى البلاط الملكي في الصباح، ولا يتناول العشاء حتى في البيت.

كان "جين إي آن" سعيدًا بذلك. ما ضايقه هو عدم وجود أي شخص ينافسه. ولذا بدأ يرسل جوابات إلى السيد "شوي شين" في معبد "لي سو" على بعد مائة وخمسين كيلومتر من "سيول". كان السيد لاعب شطرنج بارع ويقال

إنه لا يوجد أحد يستطيع أن يتحمل أكثر من ثلاثمائة حركة في مباراة معه. رد السيد "شوي شين" على كل الرسائل في ورق أبيض تمامًا ومفرد ولكن بخط ينم عن ثقة مفرطة. بدا كل شيء كتبه غير جديد، ولكنه به شيء غامض.

صار الجزء الغربي من الفناء الذي اعتاد "جين إي آن" أن يعيش فيه مثل معبد "لي سو" في بيت عائلة "جين". كان دائمًا آخر مَنْ يلاحظ أي تغييرات في البيت في أسرته: تغييرات في السطح وبلاطه، وفي الحوائط المدهونة جديدًا، وفي قطع الأثاث بديكور ذهبي مزخرف. وكذلك لم يعلم تمامًا متى أزيلت بوابة البيت القديمة واستبدلت بأخرى جديدة، لذا حينما عاد في أحد الأيام بعد أن قضى يومًا كاملاً بعيدًا عن البيت، نظر نحو البوابة، وظن أنه دخل البيت الخاطئ.

كانت البوابة الرئيسية للبيت يبلغ عرضها ضعف عرض البوابة العادية، وكانت رائحة بروازها مثل رائحة الخشب الجديد.

مُسح منزل عائلة "كيم" ولُغ ووضِع به أثاث جديد فصار لامعًا وذا بريق مثل قطعة من الكنوز الثمينة المخبأة تحت التراب حتى يستطيع "جين إي آن" استضافة الاحتفالات في بيته والترفيه عن رفقاءه من حاشية البلاط الملكي.

7

حينما التقى "جين إي آن" بالأميرة "تشون مي" للمرة الثانية، أخذ يرمقها ويلاحظها بعناية - ليس بحرية وسهولة مثلها بالطبع - ليرى مدى التشابه بينها وبين الأمير. سألته عندما قابلته:

- هل رأيت ذلك المختل عقليًا اليوم؟ أعني الرجل الذي أراد أن يحصل على قطعة ذهبية

من عربتك؟

كان "جين إي آن" على وشك نسيان هذا الرجل تمامًا لو لم تُذكّره به مجددًا، وقال:

- لا.

بدت تعابير وجه الأميرة "تشون مي" غامضة وقالت:

- أعلم ما الذي جعله يُجن لهذا الحد.

ثم قالت بعد أن سكنت برهة بتأني:

- الأمر يتعلق بك.

ابتسم "جين إي آن" قائلاً:

- بي؟

-ألا يتعلق بك الأمر إن كانت أسرة "جين" متورطة في ذلك بالفعل؟

اختفت ابتسامة "جين إي آن".

أكملت قائلة:

- إنه ابن تاجر تحف. وكان يحب التجسس على خصوصيات الآخرين مثل من يعملون في

القصر الإمبراطوري. وغالبًا ما يركن سيارته المغطاة بغطاء أسود من أعلاها إلى أسفلها خارج

بيتك في الفترة الأخيرة بعد حلول الليل ثم يغادر بها قبل شروق الشمس. كان مفوض المراقبة

"جين" شخصًا وسيماً ولبقاً ومغروراً منذ توليه في البلاط الملكي، ولذا فمن الطبيعي أن يشعر

الناس بالفضول من مروره.

اكتشف أنها مفتونة بسرد القصص. كانت عيناها مثبتتين عليه، كما كانت نبرتها الهادئة ظاهرياً تنم عن سعادة وتشويق لم تستطع كبتهما. كان على "جين إي آن" أن يسيطر على نفسه حتى يركز في الأمر الذي كانت تتحدث بشأنه.

قال:

- لم أرَ العربية على الإطلاق.

سددت الأميرة "تشون مي" نظرة غاضبة تجاهه وشعرت بالضيق لأنه قاطعها وقالت:

- إن كنت رأيته أنت والأخرون، إذن كيف يُعتبر ذلك سر؟

ظل "جين إي آن" صامتاً.

ظلت الأميرة "تشون مي" غاضبة لفترة طويلة، لكنها لم تتمكن من منع نفسها من الكلام مرة أخرى، فقالت:

- كان ابن التاجر ذاك يراهن على شيء ما، فبقي خارج بيتك طوال الليل، وحينما خرج الضيف من بيتك في الصباح التالي، كان يجر العربية لمسافة نصف طريق "سيول" وشعر بالتعب مثل الكلب المنهك الذي يخرج لسانه... لقد أضفت هذا الجزء، لأنني خمنت أنه من المفترض بذلك أن يشعر بالتعب. وحينما لم يعد يستطيع السير أكثر من ذلك، توقفت العربية أيضاً. هل يمكنك تخمين أين توقفت؟
هز "جين إي آن" رأسه.

شعرت الأميرة "تشون مي" بخيبة أمل قليلاً، وحملت نحو "جين إي آن" بعينين غاضبتين وقالت:

- لقد توقفت بالقرب من قطعة خشب ليست بعيدة عن القصر الإمبراطوري، مزق العديد من الرجال الذين كانوا يرتدون ملابس سوداء الغطاء الأسود للعربة مع مغيب الشمس، فرآها ابن التاجر بذلك على أنها لامعة

ومبهرة فجأة وكأنها صُنعت من ذهب. تم نقل العربة نحو القصر بكل جرأة بشكلها الذي يبدو مثل الذهب، ولم يوقفها أحد.
ثم أكملت قائلة:

- لقد أخبر الآخرين بشأن ما حدث، وانتشرت الشائعات في كل مكان، ولكن الرب وحده يعلم مدى صحة هذا الأمر أو عدم صحته، حيث إن ابن التاجر جنونًا كيما رأيته.
سأل "جين إي آن":

- كيف توصلت لذلك؟
- هناك الكثير من الحرس الذين يرتدون زيًا أسود في القصر. أرسل لأي واحد منهم فأعرف كل ما أريد معرفته.

تهتدت الأميرة "تشون مي" وكأنها تريد أن تعرف المزيد وقالت:
- من المؤسف حقًا أننا لا نعلم من الذي كان يجلس في العربة. هل يمكن أن تكون زوجة الأمير؟

تذكر جيدًا تلك الليلة الممطرة التي كانوا يشربون فيها الشاي. هل اختلط عليه الأمر بين كل من الأمير والأميرة "تشون مي" في اللحظة التي خلع فيها الأمير معطفه؟ كانت الطريقة التي نظر بها الأمير نحو أخيه الأكبر بدت لا تليق برجل ناهيك عن جلالتة ورائحة ملابسه التي بدت غريبة أيضًا... بدأ قلب "جين إي آن" في الخفقان سريعًا، يبدو أن الرائحة التي كانت تملأ غرفته والتي لم تذهب إلا بعد عدة أيام تزداد من حوله وتفوح من ملابس الأميرة "تشون مي" وتمسك بحلقه وكأنها يد.

هل يمكن أن يُعجب رجل برجلٍ آخر؟
سألت الأميرة "تشون مي":

- هل أنت بخير؟

- نعم، بخير.

ظلت عيناها مثبتتين على وجهه وقالت:

- هل أنت بخير؟ وجهك أبيض مثل الورقة.

ابتسم "جين إي آن" وهو يشعر بالارتباك قائلاً:

- حقاً؟

عبس وجه الأميرة "نشون مي"، تبدو كأنها تعجبت من ابتسامته وقالت:

- إذن فأنت تعرف الشخص الذي في العربة، أليس كذلك؟

أجاب بحزم:

- لا.

استعاد حبل أفكاره مجدداً في عقله بطريقة غير ملحوظة وسأل:

- كيف جُنَّ ابن التاجر؟

قالت الأميرة "نشون مي" بهدوء:

- هذا هو اللغز الحقيقي. الناس يعلمون فقط أنه مجنون، ولكنهم لا يعرفون متى أو

كيف صار مجنوناً، لذا فلا يوجد من يمكنه أن يخبرنا أنه جُنَّ بسبب الكلام الذي قاله أو أن

هذا الكلام قيل لأنه مجنون.

كان تاريخ زفاف الأميرة "تشون مي" قد بقى عليه عشرة أيام فقط حينما انتشرت الأخبار بأن زوجها المستقبلي تُوفي بسبب مرض مفاجئ.

في اليوم التالي، حينما ذهب رئيس الوزراء إلى البلاط الملكي ممسكًا بقبعته الرسمية في يده، اكتشف الناس أن شعره ابيض فجأة. ظل ينحني على ركبتيه في البلاط ويخر ساجدًا لدرجة أنه جرح جبهته. غطت الدماء وجهه. طلب من الملك وهو يذرف الدموع بأن يسدي له معروفًا بالاستقالة مما جعل كل الحاضرين يتعاطفون معه.

تعاطف الملك أيضًا معه، وبفضل جلالته لم يمنحه الاستقالة فقط ولكنه قرر أيضًا ألا يحقق في سبب وفاة الأمير الذي كان سيتزوج الأميرة "تشون مي".

تأثر البلاط الملكي بأكمله بشأن المناصب التي فرغت من بعد المستشار والأمير. ورغم أن "جين إي آن" كان غير متأثر بذلك، شعر بقلق خفي. فقد صار "جين إي لين" لا محالة محل الاهتمام بطموحاته الواضحة وضوح الشمس وعلاقته غير العادية مع الأمير.

في إحدى الليالي، عاد "جين إي لين" والأمير إلى مكتب "جين إي آن" لشرب الشاي. كانت أشجار البامبو في الفناء تحدث صوت حفيف قوي بفعل الرياح في تلك الليلة.

قال الأمير:

- القصر مليء برائحة أقلام شفاه وبودرة تجميل حريمي.

ثم التقط عدة أنفاس وقال مبتسمًا:

- يبدو أن الهواء المنعش في بيتك مريح حقًا.
- كان الأمير يفضل أن ينظر للأسفل وهو يتحدث ويسدد نظرات عابرة للشخص الذي يتكلم معه. وقف "جين إي آن" بعيدًا عن الأمير في البلاط الملكي، وكان أحيانًا ما يشعر أن الأمير يبدو مثل تمثال من الطين في إحدى المعابد البوذية.
- بدا مزاج "جين إي لين" عاليًا وقال بسعادة عارمة:
- يزخر القصر بالجمال بالتسعة أميرات الفاتنات، وزوجتك التي تبدو حتى أكثر إبهارًا بجمالها، وكذلك الثلاثمائة عشيقة إمبراطورية. فأنت محاط بجمال رباني في أرض مباركة بالعبور. لذا أخشى أن ذكرك لـ "الهواء المنعش" تعني به الفقر وشيء من الحذقة!
- رد الأمير بحسم وهدوء دون أن يرفع رأسه:
- لا أقصد ذلك على الإطلاق. النساء هن النساء لا تتغير طبيعتهن، ومن الصعب أن تتورط معهن، فهن مثل الثعابين.
- أليس من الجيد للرجال أن يتورطوا معهن؟
- النساء كرائحة الزهور، قد تؤدي إلى الاختناق إذا زادت بشدة.
- أنت محق في ذلك. النساء يملن إلى التعلق ويصعب التعامل معهن.
- قال الأمير بهدوء:
- وهذا هو سبب وفاة الأمير على جسد إحدى مغنيات بيت الزهور.
- ارتعشت يد "جين إي آن" وسكب الماء الساخن عليها. توقف كلاً من الأمير و"جين إي لين" عن الحديث ونظرا إلیه.
- اعتذر "جين إي آن" وخفض رأسه شاعرًا وكأن عشرات الآلاف من الإبر وخزته بشدة قائلاً:

- متأسف.

حملق الأمير نحو يده وقال:

- هل أنت بخير؟

انحنى "جين إي آن" معتذراً وقال:

- أنا بخير. آسف جداً على هذه الهرولة المتهورة...

رآه "جين إي لين" وهو يأخذ فوطة كي يمسح الماء من على ظهر يده، واستدار للأمير كي

يشرح له قائلاً:

- "جين إي آن" ما يزال لا يفقه أي شيء من هذا القبيل...

قاطعته الأمير وسأل "جين إي آن":

- هل أنت بخير حقاً؟

- نعم. وآسف على ما حدث...

هدأ "جين إي لين".

قال الأمير:

- حقاً لم أسمع من قبل أنه ما يزال هناك أشخاص في "سيول" لا يعرفون كيف مات الأمير.

نظر الأمير إلى "جين إي لين" وقال:

- في الليلة الماضية في قصر "باي لي"، وضعت "تشون مي" ثوبها الذي كانت أعدته لحفل

زفافها ووضعت على الشماعة وأشعلت فيه النار. جذبت ألسنة اللهب والدخان انتباه

الحرس وشعر بها والدي الإمبراطور وأمي الإمبراطورة حتى.

ضحك "جين إي لين" وقال:

- أليس من المفترض أن تمنح الأميرة "تشون مي" لقب أكثر الشخصيات المميّزة في القصر الإمبراطوري؟

- لأن أمي الملكة هي التي ولدتها، سَبَّت على نفس طباعها. كانت حتى تقول دائماً أنها ستختار الأمير الذي ستتزوجه بنفسها.

أخذ الأمير فنجان الشاي الذي وضعه "جين إي آن" أمامه للتو ثم نظر إلى "جين إي لين" وقال:

- يبدو أن "تشون مي" معجبة بك يا "جين إي لين".

ضحك "جين إي لين" وقال:

- معجبة بي؟ هذا أمر جديد حقاً.

- "جين إي لين" محل إعجاب دائماً، ولذلك فإن مشاعر الآخرين نحوها لا تعني لها شيئاً.

قال "جين إي لين":

- أنت تقلقني بكلامك.

ولكن كانت حركاته لا توحى بذلك. أخذ فنجان الشاي بيده واستنشق رائحته وهو يقول:

- انتقدي إن كنت تراني غير جدير بالاحترام.

بعد لحظة صمت، تحدث الأمير مرة أخرى دون أن ينظر نحو "جين إي لين" فقال:

- كل الشباب الكفاء من الأسر ذات الدرجة الأولى وموظفين الدرجة الثانية في القصر الملكي خطبوا أميرات أخريات، كما أن الشباب من أسر موظفي

الدرجة الرابعة والأقل من ذلك لا يليقون بها. ومع وضع كل ذلك في الاعتبار، فأنت إذن أكثر مرشح ملائم للقب الأمير وزوج الأميرة الجديد يا "جين إي لين". وقد طلبت أُمي الملكة أيضًا بأن أحدثها عن أسرتك.

نظر "جين إي آن" للأسفل نحو البراد الموضوع على البوتاجاز.

قال "جين إي لين":

- لو أعلم أن سموك ستتحدث معي بشأن ذلك لكننا قد شربنا بعض الخمر سويًا الليلة. ثم ضحك قائلاً:

- الحديث عن المشاعر الرومانسية يكون ممتعًا جدًا حينما يكون المرء نصف سكران.

التفت الأمير ناظرًا نحو "جين إي لين" وقال:

- هل تعتبر ذلك رومانسيًا؟

رغم أن "جين إي لين" لم يكن مدمنًا للخمر، بدا أنه سكران، وبدأ يتحدث بحمق وقال:

- طالما هنالك نساء، ماذا يُعتبر ذلك إن لم يكن رومانسيًا؟

تجمد دم "جين إي آن" في عروقه.

قال الأمير ووجهه هادئ بابتسامة باردة:

- أوه، نعم. لقد نسيت تقريبًا أنك أكثر مُتعلّم رومانسي موهوب في "سيول".

ضحك "جين إي لين" وكأنه لا يدرك غضب الأمير وقال:

- إذن هل تعني أنني فزت بلقب ملك الرومانسية في بيوت الدعارة؟

وضع الأمير فنجان الشاي على الطاولة وقال:

- إذن دعونا نسكر.

نهض "جين إي آن" واتجه نحو الباب مسرعًا قبل أن يردوا وقال:

- إذن سأحضر الخمر.

9

ظل "جين إي آن" في المطبخ لبعض الوقت حتى يحضر الخادم الخمر من تاجر الخمر. حينما عاد مرة أخرى إلى المكتب، تسمّر مكانه مما رآه. كان رف الكتب قد أُطيح به، وحامل البراد مائلًا بجانبه، والماء مسكوبًا من بوز البراد، وقد بللت الفراش والكتب الموضوعه فوقه، وكانت المياه مرشوشة على البوتاجاز تفوح منه رائحة خانقة تمزج بين الدخان والفحم الساخن.

كان وجه "جين إي لين" صارمًا، عندما رآه "جين إي آن"، تذكر والدهما حينما كانا صغارًا ولم يكن والدهما قد أدمن الكحول بعد، كانت له نفس هذه النظرة عندما يغضب من شيء ما من حينٍ لآخر.

اتكأ الأمير على الحائط، وبدا وجهه أبيض مثل الورقة، ولكن عينيه كانتا حمراويتين ودامتتين.

رأي "جين إي لين" و"جين إي آن" ممسكًا بزجاجة خمر فانتزعها من أخيه الأصغر ونزع الغطاء وبدأ يشرب من الزجاجة بجرعات كبيرة. كان يشرب لدرجة أن الخمر الذي لم يصل إلى فمه كان يبلل ملابسه.

فر "جين إي آن" إلى الفناء، كان قلبه يخفق بشدة.

ظل في الحديقة لمدة ساعة. حينما عاد، كان "جين إي لين" والأمير قد غادرا بالفعل. كان هناك خادمين يرتبان المكان ويسويان المرتبة التي كانت متشربة بالماء والخمر. ولكن رائحة الخمر كانت ما تزال تملأ الغرفة، رائحة جميلة ومبهجة.

نام "جين إي آن" في الغرفة بجوار المكتب، كان ما يزال يستطيع أن يشم رائحة الخمر. لم ينم جيدًا بل استيقظ عدة مرات أثناء الليل.

حينما التقى "جين إي آن" بـ"جين إي لين" في الراهبم الشرقي من الفناء في الصباح التالي، لم يبدُ "جين إي لين" محببًا على الإطلاق على عكس ما تخيله أخوه الأصغر. كان يجلس في الردهة الخشبية ويرتدي زيًا فضفاضًا وروحه المعنوية مرتفعة ويبدو جسده سaxonًا بسبب تمارين الفنون القتالية التي يمارسها وممسكًا بكوب من الشاي الساخن بيده. حينما رأى "جين إي آن"، ابتسم له وقال:

- هل ستذهب إلى القصر اليوم؟

أوماً "جين إي آن" برأسه قائلاً:

- نعم.

جاء حاجب من القصر وتوجّه نحوه. أخذ "جين إي لين" الرسالة من الحاجب ولوح بها نحو "جين إي آن".

10

"كان الزي الرسمي مصنوعًا من الخامة نفسها التي أرتديها، ولكن كان التطريز رائعًا، حيث كان تطريز طيور العنقاء التسعة اللامع في ضوء الشمس مُطرزًا بالخياط الفضية على الجيبة الطويلة، وعلى الحزام الموضوع

على البلوزة القصيرة يوجد تطريز زهور نبات العبقّة بخيوط ذهبية وفضية. ولكن الجزء الأروع تمثّل في الرداء الحريري المطرّز بـ(أشياء رائعة مثل التنين والعنقاء)". رسمت الأميرة "تشون مي" عدة منحنيات على الطاولة بأطراف أصابعها، وأكملت: "عكف تسعة من أفضل المطرزين في القصر على العمل في هذا الزي لأكثر من نصف عام. لا بد أن تراهم وهم يعملون. وفي العام الماضي، حينما تزوجت زوجة الأمير، كان رداؤها الاحتفالي أشبه بأضحوكة مما جعلنا نضحك بصوتٍ عالٍ. ولكنها كانت جميلة، لذا نظر الناس إلى وجهها فقط وقليلًا من اهتم بما كانت ترتديه مثلنا".

كانت الأميرة "تشون مي" ترتدي بلوزة بيضاء وجيبة خضراء في ذلك اليوم. وقفت أمام النافذة وبدأ شعرها مغسولًا وحيويًا ومفروّدًا على خديها مثل قطعتين من الساتان الأسود. وخلال بضعة أيام فقط، خسرت الكثير من وزنها، صار ذقنها أرفع وبرزت عيناها بشكل أكبر. "أشعلت النيران بنفسي. يا للروعة حينما أمسكت النيران بالملابس! أعتقد أن هذا الرجل لا بد أنه عاش لحظات رائعة حينما كان يمارس الرذيلة على جسد مغنية بيت الزهور قبل أن يموت...".

شعر "جين إي آن" أن وجهه يحترق. لمح خادما القصر خارج الغرفة يقفن في الردهة الخشبية، وبدت ظلالهن مثل الأشجار المتمايلة الظاهرة على فرشاة النجيلة الملتصقة على الأبواب والنوافذ. وقال:

- سمو الأميرة "تشون مي"...

جلست الأميرة "تشون مي" على الطاولة، وقالت وهي تسند ذقنها على يديها:

- المسؤول الاحتفالي احمرّ وجهه.

- من فضلك لا تفعلي ذلك يا سمو الأميرة...

كانا قرييين من بعضهما البعض. رائحة زهور النخيل في شعرها تفوح بشدة. قلبه يخفق ويتلوى محاولاً أن يقاوم رغبته في إدخال أصابعه في خصلات شعرها.
بدت نظرتها التي تنظرها بازدراء حينما كانت تتحدث مثل نظرات أولئك النسوة أيضاً في بيوت الزهور حيثما يذهب إليهن الرجال بغرض المتعة والغزل معهن. كان صوتها رقيقاً وناعماً، ونَفَسُها يداعب خديها كأطراف العشب. قالت له:

- تبدو مثل المرأة حينما تكون خجولاً.

شعر "جين إي آن" بشيء من الضيق لأنه جعل نفسه أضحوكة. لم يفهم لماذا تتمتع بتسلية نفسها من خلال الإغواء لفترة طويلة.

سألته برود:

- هل ترى سموك أن موت الأمير على جسد مغنية الزهور شيئاً رائعاً؟

تغيّر لون وجهها، وأسندت جسدها ببطء إلى الخلف وجلست معتدلة.

قال "جين إي آن":

- لا أعتقد أن سموك ستقولين ذلك إن كنتِ قد سمعتي الشائعات المنتشرة في المدينة.

أكمل "جين إي آن" وكأنه يتحدث عن شخص لا علاقة له بالأميرة "تشون مي":

- لقد ذهب الأمير الذي كان سيتزوجك إلى بيت الزهور بغرض المتعة. ما الذي كان سيقوله الناس عن سموك؟ هل ما تزالين يا سمو الأميرة شخصاً طاهراً وبريئاً وسط كل هذه الشائعات الخبيثة؟ سموك أقل منزلة حتى من مغنية بيت الزهور تلك. أراهنك على أنها مشهورة جداً حتى الآن، والزبائن يأتون إليها في طوابير من العربات. كيف يمنع أي شخص نفسه من فضوله حيال امرأة فاقت شهرتها شهرة أميرة؟ كي أكون صادقاً، أنا أيضاً أريد أن

أزورها. لذا كي نتحدث عن الروعة فكل ما يُقال عن مغنية بيت الزهور الآن يستحق بالفعل كلمة "رائعة".

عضت الأميرة "تشون مي" شفيتها بشدة لدرجة أن فمها بهت لونه.

- لماذا لا تذهبين لزيارتها؟

- كلما أفكر في الأمير الراحل، أصرف نظري عن الموضوع.

رفعت الأميرة "تشون مي" يدها وصفعت "جين إي آن" على وجهه قبل أن يرد وقالت:

- كيف تجرؤ على أن تكون وقحًا معي هكذا؟

قال "جين إي آن":

- عاتب نفسك قبل أن يعاتبك الآخرون.

رفعت الأميرة "تشون مي" يدها الأخرى وصفعته على الخد الآخر.

ابتسم "جين إي آن" وقال:

- رغم أن ما تقومين به يا سمو الأميرة يعتبر وقاحة، لكنه يليق بمكانة سموكِ أكثر من

تفاهتكِ.

- هل قلت أنني تفاهة؟

- نعم، أنتِ حقًا تفاهة.

رفعت الأميرة "تشون مي" يدها مرة أخرى، تحرك شعرها أيضًا معها وتمايل وهي تقول:

- هل تجرؤ على أن تقول لي "أنتِ"؟!

- نعم.

تَسَمَّرَت يد الأميرة "تشون مي" في الهواء. احمر جفنيها وامتلأت عيناها بالدموع، تدريجيًا في البداية ثم بغزارة، حتى صارت قطرات كبيرة تتساقط بشدة على خديها مع "تنهيدة". حولت مسار يدها المرفوعة ومسحت عينيها بظهر يدها.

تدفق مزيد من الدموع من عينيها فتأثر قلبه ورق لها. أعجب بها وهي تصل إلى حالة من الغضب، وأعجب بها أكثر عندما سقطت الدموع على وجهها. كانت فتاة على وشك الزواج، حساسة ورقيقة مثل زهر الخشخاش وتستحق الحب والرعاية. حاول جاهدًا ألا يُبعد الطاولة الموضوعة بينهما واحتضنها وهدأها.

11

لم يتمكن "جين إي آن" من النوم تلك الليلة. أضاء المصباح وأحرق قطعة من بخور كافور "لونج ناو"، وبعدئذ أخرج القطع واحدة تلو الأخرى من صندوق الشطرنج الأبيض وأعادهم إليها بعد أن مسحهم بعناية بقطعة من الحرير. لم يلحظ حتى أن "جين إي لين" كان واقفًا في الردهة الخشبية خارج غرفته.

وقف "جين إي لين" في ضوء المصباح، وقال:

- رأيت ضوء المصباح في غرفتك نافذًا إلى الخارج.

نهض "جين إي آن" سريعًا وقال:

- تعال وتفضل بالجلوس.

رفع "جين إي لين" الجزء الأسفل من رداءه وجلس ثم قال:

- احضر لي فنجاناً من الشاي. ولا تُصدر أي صوت وأنت تحضره.
- شطف "جين إي آن" فناجين الشاي بسرعة وقام بغلي بعض المياه. صب أولاً الماء الساخن في الفنجان، ثم وضع قطعاً من الشاي مع ملعقة شاي. كانت المياه المغلية تصدر فقاقيع وتموج في الفناجين البيضاء المصنوعة من الخزف برسوم مزخرفة، عندما غُمس الشاي أخذت أوراقه القصيرة والطويلة تتفتح ببطء.
- رفع "جين إي لين" الفنجان وأخذ رشفة ثم قال:
- هناك حاجب أرسل من القصر. قُتلت مغنية بيت الزهور المفضلة لدى الأمير الراحل.
- ثبت "جين إي آن" عينيه على الأرض والبراد في يديه.
- قال "جين إي لين":
- أرسلت الأميرة "تشون مي" الحرس الذين يرتدون زيّاً أسود باسم الملكة والتي فقدت الوعي من الخوف عندما أتوا إليها برأس مغنية بيت الزهور في صندوق خشبي. شعر الملك بالغضب وحبس الأميرة "تشون مي" في القصر.
- ثم نظر لأخيه الأصغر وسأله:
- ما الذي قلته للأميرة "تشون مي" اليوم؟
- لم يستطع "جين إي آن" أن يتفوه بكلمة واحدة.
- قالت خادما القصر أنه بعد أن غادر المسؤول الاحتفالي، استدعت الأميرة الحرس الذين يرتدون زيّاً أسود وهي غاضبة.
- ...
- من حسن الحظ أن الأمير استطاع تهدئة الأمور، ولكن...

بدت عينان "جين إي لين" متقدتين من الغضب، وصارت نبرة صوته صارمة وأكيد:
- بصفتك المسؤول الاحتفالي ومسموح لك بدخول القصر الإمبراطوري، هل علينا أن نذكرك كيف تتحدث وتتصرف بحذر مع الآخرين؟
حني "جين إي آن" رأسه وقال:
- آسف...
تنهد "جين إي لين":
- ...آسف لأنني سببت لك مشكلة بعدم حذري.
قال "جين إي لين" وهو ينظر لأخيه الأصغر بغضب:
- لا جدوى من أن تلوم نفسك على أي حال. لماذا تمسك هذا البراد؟
وضع "جين إي آن" البراد على النار.
قال "جين إي لين":
- لا بد ألا يحدث ذلك ثانية. من حسن الحظ أن الأميرة "تشون مي" هي روح قلب الملكة وعشقها الوحيد، لذا لن تصعب الملكة الأمور عليها.
- ...أنا أسف جدًا.
أنهى "جين إي لين" الشاي وتوجه إلى الراهب الشرقي من البيت ثم قال:
- نم مبكرًا.

12

في الصباح التالي، اتجه "جين إي آن" إلى قصر "باي لي". لم ينل أي قسط من النوم طوال الليل وشعر أن رأسه ثقيلة. جلس على العربة، وانحنى على النافذة وغلبه النوم وسط صوت حوافر الحصان.

كانت الأميرة "تشون مي" تجلس في الردهة الخشبية تلف ذراعيها حول رجلها المثنيتين وأراحت رأسها على ركبتيها. كانت عيناها تتبع "جين إي آن" وهو يسير نحوها. قالت وهي ترفع رأسها نحو "جين إي آن" وتبتسم بذهول:
- لقد رأيته ليلة أمس. لقد وقفْتُ بعيداً في آخر سريري وحملت في دون أن ترمش حتى بعينها.

لم يرد عليها "جين إي آن". وجلس بجانبها. بحسب رؤيتهما، لم يرا أي خادمة. لا بد أنها جعلتهم ينصرفوا بوحى من غضبها.
- هل الأشباح موجودة حقاً؟
- بالطبع لا.

- ولكنني رأيته. كان وجهها مثل الرأس الموضوعة في الصندوق الخشبي.

أومأت الأميرة "تشون مي" برقبته وقالت:
- هناك خط أحمر هنا، وكأنه ظهر عليها بعد أن قُطعت رأسها.
- كل ذلك محض خيال.

- تضايقت الأميرة بعض الشيء ونظرت نحو "جين إي آن" بغضب وقالت:
- لا، ليس خيالًا. فأنا السبب في قتلها.
- رد "جين إي آن" بشكل أكثر حزمًا:
- كل ذلك من وحي خيالك فقط. إن فكرت في الأمر جيدًا بالفعل، ستدركين أنه لا يوجد أي شيء.
- بدا وجهها شاحبًا وعيناها محاطتين بالسواد، وقالت:
- لم أجرو من قبل على أن أخذ رد فعل.
- أكملت وهي ما تزال تحتضن ركبتيها بذراعيها:
- كان من الممكن أن تمسك بي وتأخذني إلى عالم الموتى طالما جرؤت على أن أخذ رد فعل.
- لن تأخذك إلى أي مكان. أنت لم تقتليها.
- بلى، لقد قتلتها. وأنا من أمرت الحرس الذين يرتدون الزي الأسود بأن يقتلوها.
- قال "جين إي آن":
- لا، ليس كذلك. بل أنا من تسببت في ذلك. لقد تهورت لأنني أثرت غضبك بما قلته لك.
- نظرت الأميرة "تشون مي" نحو "جين إي آن" بثبات وقالت:
- كيف تجرؤ على الحديث معي بغير رسمية...
- بعد ذلك لفترة طويلة، ابتسمت وتثاءبت وهي تضع يدها على فمها وقالت:
- تحدث معي بأي طريقة كما تريد.
- ابتسم "جين إي آن".

نظرا نحو شجرة الكركديه عند بوابة قصر "باي لي".

قال:

- ما السبب الذي جعلهم يزرعون شجرة كركديه في قصر "باي لي"؟

- ربما لأن كلمة "لي" كلمة شؤم. في الواقع أنا أحب ثمار الـ"لي" (الكمثرى)، فهي ثمار جميلة ورقيقة. وعندما تزهّر تمامًا، تبدو الشجرة بأكملها رائعة مع سقوط الثلج والصقيع مثلها مثل الزهور على فروع الأشجار. أما زهور الكركديه فهي أيضًا بيضاء، ولكنها تبدو صغيرة جدًا وسميكة عندما تزهّر تمامًا. يبدو أنها تتشبه جيدًا بأفرع الأشجار بشكل يائس. يا له من منظر جميل ومبهّر جدًا وقت الغسق، ولكنه غالبًا ما يعطي الناس جوًا من الكآبة.

حملق "جين إي آن" في شجرة الكركديه، وأعجب بالأميرة "تشون مي" بشدة وشعر بابتهاج. كان يتساءل عن سبب مهارتها غير العادية في الشطرنج والتي لا يمكن تفسيرها بأنها موهبة ربانية. فقد تجلّى هذوؤها وسكونها وجديتها في اللعب بشدة بشكل أكبر من المعتاد. حينما أتى الأمير إلى مكتب "جين إي آن" كي يشرب الشاي، كانا أيضًا يلعبان الشطرنج كما اقترح لهما "جين إي لين". افتتح الأمير كلامه بشكل جيد، من الواضح أنه ينفذ تعليمات من هو أعلى منه. ومع ذلك، لم يستطع أن يستمر في حيله أكثر من ذلك. إن فكر في اللعب مع الأميرة "تشون مي"، فلا بد أن يخسر في أقل من 50 نقلة. أما "جين إي آن" فقد استخدم بعض الحيل البسيطة معه وهزمه بعد مائتي نقلة فقط.

قالت الأميرة "تشون مي" وهي تتأهب من وراء كُمّها الذي تضعه على فمها ونظرة نحو

"جين إي آن" والدموع في عينيها:

- أشعر حقًا بالنعاس. لا يمكنني أن أجرؤ على أن أغلق عينيّ بعد حلول الظلام.

ربت "جين إي آن" على شعرها الناعم اللامع مثل الحرير وقال:

- اخدي إلى النوم. وسأبقى هنا كي أحميك. إن جاءت، سأخبرها أنها أتت إلى الشخص الخطأ.

سألته الأميرة "تشون مي" بشيء من الجراءة:

- هل ستنقلها في عربتها إلى بيت عائلة "جين" لأجلك؟
- بالطبع.

قالت وهي تقف وتتنظر نحو "جين إي آن" بتردد:

- إذن ستأتي إلى غرفتي وتبقى معي. لن تقدر عليها أبدًا إن بقيت هنا.
رفع "جين إي آن" وجهه كي ينظر إليها، ولكنها قد استدرات بالفعل ودخلت غرفتها.
جلس "جين إي آن" لبرهة ثم لحقها.

13

تمددت الأميرة "تشون مي"، ودون أن تنظر إليه، ربتت على السرير بجوارها مشيرة له ليمدد بجانبها. خلع "جين إي آن" حذاءه ومدد بجانبها. اقتربت منه وخبأت رأسها في صدره كالقطة، وضعت يدها على عنقه وأمسكت يده باليد الأخرى، تشابكت أصابعهما مع بعضهما البعض. لمست ذقنه رأسها، تفوح من شعرها رائحة زهر القصب العطري، شعر حينئذ أنه عالق في أعشاب.

دق قلب "جين إي آن" سريعًا، كان يشعر بصوت الدماء تسري في شرايينه وهو يشابك أصابعه مع أصابع الأميرة "تشون مي". كانت تهتاج أيضًا بشدة، جسدها يلتف بعنف. بقي "جين إي آن" ممددًا بلا حراك، متخيلاً نفسه مثل

قطعة شاسعة من حقل قطن أو ورقة خضراء كبيرة. بالتدريج، استراحت الأميرة "تشون مي"، صار جسدها أخف وأخف وكأنه يطير بعيداً عنه من إثر خفته. أرجع رأسه إلى الوراء ونظر للأسفل نحوها.

غاصت في نوم عميق.

شعر "جين إي آن" بالدهشة من هدوئه. شعر بكثير من الحنان بداخله لم يشعر به من قبل، بدأ عقله يهدأ بالتدريج حتى صار هادئاً تماماً وكأنه في مباراة شطرنج بنتيجة تعادل. رأى المرأة، تقف قرب السرير، والخط الأحمر بارزاً على عنقها، تبتسم ابتسامة حقد. شعر بالرعب لدرجة أنه تصبب عرقاً بارداً، نهض من السرير وثباً. كانت الأميرة "تشون مي" نائمة على صدره نوماً عميقاً، حينما نهض، احتضنته بشدة دون وعي.

نظر "جين إي آن" للأعلى. كانت النافذة مفتوحة قليلاً، ومن خلالها استطاع أن يرى جزءاً من الفناء، رأى الأمير و"جين إي لين" ينظران نحوهما من النافذة.

اعتقد "جين إي لين" أن عينيه تخدعانه بالتأكيد لأنه عندما نظر مرة أخرى، لم ير أي شخص عند النافذة. بل رأى فقط ذيل رداء أصفر لامع برز للحظة ثم اختفى.

لا بد أنه كان مخطئاً أو يحلم. لا بد أن كل ذلك من وحي خياله مثل المرأة الشبح، لم يمر أي شخص من أمام النافذة. حاول "جين إي آن" أن يهدئ من روعه ويقتنع نفسه بأن يظل مركزاً على عدد رموش الأميرة "تشون مي".

حينما سار خارجًا من قصر "باي لي" في فترة الغسق، اقترب منه حارس عند البوابة وقال له بتملق:

- اعتقدت أن من المفترض أن يغادر المسؤول الاحتفالي مع الأمير ومفوض المراقبة.
ركب "جين إي آن" العربة صامتًا. بدأت العربة في السير. أحنى رأسه على نافذة العربة، صار عقله أكثر حيرة وارتباكًا بعدما اشتد الغروب.

14

وقف "جين إي لين" في الردهة الخشبية يراه وهو يسير خارجًا من البوابة.
انحنى قليلًا ثم قال:
- لقد عدت إلى المنزل.
كان يشعر بالقلق لأنه لا بد أن رائحته بدت سيئة، ولم يغامر بالاقتراب من أخيه الأكبر.
أجاب "جين إي لين" بلا مبالاة:
- آه.

بقيا صامتين لبعض الوقت.
- لا بد أنك تشعر بالتعب بعد أن قضيت يومًا طويلًا في القصر الإمبراطوري.
نظر "جين إي آن" نحو "جين إي لين" فقط ليرى وجه أخيه الأكبر الخالي من أي تعبير.
- خذ قسطًا من الراحة وتناول العشاء.

- حسنًا يا أخي الأكبر.

بينما كان يسير نحو الراهبم الغربي من البيت، شعر أن عيني "جين إي لين" تتبعانه من ورائه. لم يستطع أن يتلفت حوله، ولكن على عكس الصورة التي تولدت في ذهنه، رأى أخيه الأكبر يحملق في حذائه وهو يعطيه ظهره ويديه مشبوكتين وراء ظهره. كان "جين إي لين" طويلًا وقوي البنية، بدا مكتئبًا من منظر ظهره ورأسه النازحة للأسفل، مشهد يصعب على الكلام وصفه. بينما كان "جين إي آن" يحملق بتفاهة لفترة طويلة، ثم التفت وغادر.

حينما عاد "جين إي آن" من غرفته، خلع رداءه، ودفن رأسه فيه وأخذ يشم بصعوبة محاولاً أن يدرك إن كان هذه الرائحة التي يشمها من وحي خياله أم رائحة حقيقية. رأى مرة أخرى في ذاكرته الأميرة "تشون مي" وهي نائمة على صدره رغم أن ذلك كان غير مناسب لتلك اللحظة، شعر حينئذ بنشوة جعلته يرتعش وكأن البرق قد أصابه.

15

لم يعلم متى استيقظت الأميرة "تشون مي" لأن باله كان مشغولاً بالأمير و"جين إي لين"، كان يتساءل لماذا جاء فجأة إلى قصر "باي لي". من أجله؟ أم بسبب أنه تم الاتفاق على زواج "جين إي لين" والأميرة "تشون مي"؟ إن كان بسبب الاحتمال الثاني، فما الذي كان يفكر فيه "جين إي لين" عندما رآه مع الأميرة "تشون مي" معًا بهذا الوضع؟

- فيم تفكر؟

دُهِش "جين إي آن" من عيني الأميرة "تشون مي" الجاحظتين.

- هل استيقظت؟

أومأت الأميرة "تشون مي" وهي تجلس وتحملق في "جين إي آن" الذي كان جالساً أيضاً

وقالت:

- نعم. تبدو غارقاً في التفكير، ما الذي تفكر فيه؟

شعر "جين إي آن" أن ذلك مضحك ومحزن في الوقت نفسه. بعد أن نامت الأميرة "تشون

مي" ساعة، بدت أنها وضعت مخاوفها وراء ظهرها وعادت لطباعها الفضولية في كل شيء.

صار وجهها مليئاً بالحيوية.

أكملت:

- في النساء؟

قال معتقداً أنها تقصد المرأة التي أتت في حلمه:

- نعم.

- هل تفكر حقاً في النساء؟

- نعم.

صفعته الأميرة "تشون مي" على وجهه، واتسعت عيناها من الغضب وقالت:

- كيف تجرؤ على ذلك؟

أجابها:

- أنا أفكر فيك أنتِ.

شعرت الأميرة "تشون مي" بالدوار من إثر الدهشة وتغيرت تعبيرات وجهها سريعاً.

قالت وهي تتحدث بكبرياء الأميرة، ولكن وجهها صار متورداً مثل التفاحة الناضجة:

- صرت وقحًا للغاية. تفكر في؟ لماذا؟

لم يرد "جين إي آن" ولم يتحرك. كان يحاول أن يخرج من فوضي أفكاره مثل الثعبان، حاولت رغبته كذلك أن تهرب من جسده وتُلقي بنفسها على ذلك الجسد الناعم والدافئ والعَطِر.

سمع "جين إي آن" صوته الأجش وهو يقول:

- يجب أن أغادر.

لم تتكلم الأميرة "تشون مي".

حشرج حلقه وشعر بأنه جاف من شدة العطش.

- لم لا تغادر؟

كان تهديدها يبدو أشبه بتشجيع. ارتبكت تمامًا خوفًا من أن تقول أي كلام آخر يوحى بتهديد، تقدم "جين إي آن" نحوها حتى أصبح قريبًا منها ولامست شفتاه شفتيها. كان ملمس شفتيها ناعمًا مثل الزهور، ومختلفًا تمامًا حينما كانت تتحدث بطريقتها الفظة. فُكّر في قرارة نفسه أن الأميرة ربما تكون فظة عندما تتحدث، ولكنها تملك روحًا نقية نقاء الثلج. كانت ترتدي جيبه ذا عدة طبقات من القماش، تحسس بيديه قليلاً قبل أن يصل إلى مبتغاه في النهاية. جلدها ناعم ورطب، شعر وكأن أصابعه تتحسس قطعة أخرى من قماش الساتان.

16

لم يرغب "جين إي آن" في تناول العشاء مع "جين إي لين"، لكنه لم يجد أي عذر مقبول. حينما اتجه إلى غرفة العشاء بعد أن أخذ حمامًا وغير ملابسه، كان "جين إي لين" جالسًا بالفعل بالقرب من المائدة.

قال "جين إي آن" وهو يجلس:

- آسف على التأخير.

أومأ "جين إي لين" للخادم لصب الخمر في كأسيهما وقال:

- دعنا نشرب نخبًا.

لم يستطع "جين إي آن" أن يتحمل شرب الكثير من الخمر مثل "جين إي لين" الذي اعتاد أن يسكر مع والدهما حينما كان يتجول معه.

ملأ الخادم كأسيهما.

رفع "جين إي لين" كأسه وشربه كله دفعة واحدة قائلاً:

- بصحتك.

اضطر "جين إي آن" أن يرد عليه وقال:

- بصحتك.

ملأ الخادم الكأسين مرة أخرى.

بعد أن شرب "جين إي آن" ثلاثة كؤوس، شعر بخفة جسده وتقلبات في معدته.

أشار لـ "جين إي لين" قائلاً:

- لا يمكنني أن أتحمل أكثر من ذلك، لا يمكنني أن أشرب المزيد.

ابتسم "جين إي لين" ورفع كأسه مرة أخرى وقال:

- بلى، يمكنك. من قال أنك لا يمكنك أن تشرب الخمر؟

أدرك "جين إي آن" في النهاية أنه عليه أن يشرب المزيد حتى يسكر، فاضطر أن يرفع كأسه. عندما غطى وجهه بكُمّه من إثر السكر، أراد أن يسكب ما في كأسه، ولكن الفكرة طرأت في باله لحظة فقط ونسيها بعدئذ، فشرب ثلاثة كؤوس من الخمر. قال "جين إي لين" للخدام بأن يتركهما وحدهما في غرفة العشاء، كان يوجد بالغرفة خمسة من الفراش المطرزة المنتشرة في أرجائها. عندما هداً الجو في الغرفة فجأة، استفاق "جين إي آن" قليلاً.

قال "جين إي لين":

- ذهبت إلى القصر الإمبراطوري كي أرى الملكة، وأتحدث معها بشأن زواجي أنا والأميرة "تشون مي".

أيقظ كلام "جين إي لين" "جين إي آن" وكأن شخصاً ما صب بعض المياه الباردة على رأسه.
- سأكون زوجها الجديد.

قال "جين إي آن":

- ستكون الأميرة "تشون مي" سعيدة بالزواج منك. لقد أعجبت بك لوقت طويل.
نظر "جين إي لين" إليه شاعراً بأنه يكذب عليه.

قال "جين إي آن":

- لقد أخبرتني بنفسها في أول مرة ذهبت فيها إلى قصر "الكمثرى البيضاء".

اضطر أن يُكَمِّل عندما رأى "جين إي لين" مثبتاً عينيه عليه فقال:

- أخبرتني أنها جعلتني أبقى في منصب المدير الاحتفالي لها لأني بدوت مثلك يا أخي الأكبر. ومنت أيضاً لو تقم بزيارتها في قصر "باي لي".

ابتسم "جين إي لين" بازدياء وقال:

- حقاً؟ لماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟

- في ذلك الوقت، كان الأمير الإمبراطوري الراحل أعني ابن رئيس الوزراء السابق خاطباً الأميرة "تشون مي" والتي - برغم مكانتها - لا يمكنها أن تقوم بما تشاء.

قال "جين إي لين":

- أنت محق. لا يمكن لأي شخص أن يتصرف كما يشاء في كل شيء. سواء الأمير أم الأميرة "تشون مي" أم أنا أم أنت.

شعر "جين إي آن" بالخوف، وتذكر فجأة عهده بالإخلاص لحبه حينما كان عاشقاً لراقصة بيت الزهور حيث تعاهدا على أنه في حال صار أحد منهما غير مخلص، فيتوجب عليه أو عليها "أن يموت غارقاً في دمه أو أن يبتلع ألف إبرة". في تلك اللحظة، شعر بأنه يريد بشدة أن يحدث ذلك له!

قال "جين إي لين":

- لا بد أنك فوجئت اليوم في قصر "باي لي". لقد فاجأتني أيضاً. فلم أعتقد أبداً أنك قريب من الأميرة "تشون مي" هكذا.

قريب؟ شعر "جين إي آن" بغصة في قلبه. رغم تلك الحميمية، ما زال غير متأكد كيف تعتبره الأميرة "تشون مي" بالنسبة لها. لقد أعجبت بـ "جين إي لين" ولكنها لم تعجب به وحده. كيف ترى "جين إي آن"؟ بديلاً لـ "جين إي لين".

سأل "جين إي آن":

- هل تعتقد أن الأشباح موجودة بالفعل في عالمنا؟

نظر "جين إي لين" نحو "جين إي آن" بارتباك وقال:

- الأشباح؟!

قال "جين إي آن":

- تلك مغنية بيت الزهور المقتولة، كانت عشيقة ابن رئيس الوزراء الراحل. أخبرتني الأميرة "تشون مي" أنها لا تستطيع أن تنام للحظة في الليل، وتحلم بمغنية بيت الزهور وهي تحملي فيها واقفة بجانب السرير.

- ذلك من وحي خيالها فقط.

- قلت لها ذلك أيضًا. ولكنني حلمت بتلك المرأة، كان هناك خط أحمر على رقبتها وكأنه من إثر قطع رأسها مثلما وصفت الأميرة "تشون مي" بالضبط.

ضحك "جين إي لين" وقال:

- هراء!

نظر "جين إي آن" لأخيه الأكبر وقال:

- هراء، لكنه حدث بالفعل. لقد استيقظت مرعوبًا ورأيتك أنت والأمير.

ظل "جين إي لين" صامتًا.

- لا أؤمن بوجود الأشباح. فقط من لهم ضمير مستيقظ يستطيعون رؤية الأشباح.

ابتسم "جين إي لين" وأكمل:

- لا داعٍ للحديث في هذا الأمر أكثر من ذلك. دعنا نسكر.

أفرغ "جين إي آن" كأسه، شعر بسخونية بالأسفل في معدته.

حلّ موسم المطر.

ما بين أواخر الصيف وأوائل الخريف، اكتفت الأرض من الطاقة المستمدة من شمس الصيف الحارقة حيث كانت تشع حرارة شديدة. امتزجت الأمطار الغزيرة مع الرياح العنيفة في ذلك الموسم مصدرة صوتًا مفرغًا حيث تسقط قطرات المطر فوق الصخور الطبيعية على الأرض. كان هناك برد قائم وسط رطوبة المطر. تراكمت أوراق شجر البامبو التي تسقط مع كل موسم مطر بكثرة على الأرض. في الوقت نفسه، نمت نباتات جديدة كثيرة من جذورها مثل ألسنة اللهب المتصاعدة في الرياح.

شعر "جين إي آن" أيضًا أنه مثل عود البامبو، قلبه فارغ، ولكن أفكاره كانت تتوالى عليه بلهفة أكثر من نمو أشجار البامبو، كان يعاني من قلة تركيز. أرسلت الأميرة "تشون مي" الحراس للبحث عنه عدة مرات، ولكنه تجاهل الجميع بحجة أنه أصيب بالبرد.

لم يرغب في رؤيتها، لم يجرؤ على ذلك. كان يشعر في قرارة نفسه أنه يريد أن يُبدي اعتذاره لأخيه الأكبر برفضه مقابلة الأميرة "تشون مي". وفي كل مرة يأتي فيها الحراس ويغادرون كان يفكر في "جين إي لين" الذي كان يأتي ويخرج من القصر الإمبراطوري كما شاء وكأنه قصره الخاص فمن المؤكد أنه سيعلم إلى أين يذهب الحراس. ومع ذلك لم يبدُ أي تعبير على وجهه، ونادرًا ما كان يتناول الطعام في البيت ولا يعود إلا في وقت متأخر.

كان هناك نهر في بيت عائلة "جين" حيثما يقيم "جين إي آن" و"جين إي لين" على الضفتين المتقابلتين.
كان "جين إي آن" يُفضّل نزول المطر في ذلك الوقت.
فلا يصير الفناء فارغاً.

18

سارت الأيام بوتيرة بطيئة. حينما ظهرت الأميرة "تشون مي" أمام "جين إي آن" في إحدى الأمسيات، اعتقد أنه كان يحلم.
أرشد خادمان الأميرة بمكان "جين إي آن"، انحنيا أمامه ثم غادرا، فأدرك "جين إي آن" أن نظرتهم المريبتين توحى بمدى غرابة الظروف.
قالت بوجه حزين:
- قال العديد من الناس أنك مصاب ببرد شديد وأنت الآن على حافة الموت. لم أصدق ذلك إلا عندما أراك بنفسي.
شعر "جين إي آن" أن ساقيه ضعيفتان جداً لدرجة أنه بالكاد يقف وقال:
- كيف... خرجت من القصر؟
قالت وهي تخلع عباءتها:
- طلبت من "جين إي لين" أن يُخرجني. اعتقد الخدم في بيتك بالخطأ أنني سمو الأمير.
هل أشبهه؟

شعر "جين إي آن" أن قلبه مثل بيضة كُسرت على حجرة وسقطت في كوب عصير فلتخ العصور كل ما حوله. نظر إلى الملابس الرجالي التي ترتديها من الأعلى إلى الأسفل، لم يعلم حينئذ هل عليه أن يبكي أم يضحك. غضبت الأميرة "تشون مي" عندما رأت "جين إي آن" صامتًا وقالت:

- لماذا تحملق في هكذا؟ هل أنت مريض حقًا؟ لماذا تبدو غريبًا بهذا الشكل؟

تنهد "جين إي آن" فنهض ودعاها للدخول وقال:

- تفضلي بالدخول، فلنشرب الشاي.

بدت غير مسرورة، ولكن حينما دخلت الغرفة وتجولت فيها، تهلل وجهها وقالت:

- غرفتك تبدو مثل غرفة راهب بوذي.

ظل "جين إي آن" صامتًا.

تنهدت "تشون مي" وقالت:

- يقولون أن هناك حرب قادمة، فقامت مملكة "تشينج" ستجتمع قرب الحدود. والدي

الملك ليس بخير، والذعر في كل مكان في القصر. على أُمي الملكة أن تكون مسؤولة عن كل شيء.

...

تساءلت "تشون مي":

- لماذا لا تقول أي شيء؟ هل تدرك كم العناء الذي تكبدته كي أخرج من القصر؟

- لقد سمعت أنك ستزوجين من أخي الأكبر؟

قالت الأميرة "تشون مي" وهي تنظر نحو "جين إي آن" ووجهها يتوهج تدريجيًا:

- كان عليّ أن أخمن ذلك. أين أُصبت بالبرد؟

- يجب أن أهنئك لأنك كنتِ معجبة طوال الوقت بأخي الكبير.

قالت الأميرة "تشون مي" بغضب وشاعرة بالاستياء:

- أنا فعلاً معجبة به، ولكنني معجبة بك أيضاً. أريد أن أبقى معكما أنتما الاثنين، مع "جين إي لين" وأنت "جين إي آن".

لم يرد "جين إي آن".

- افترضت أنك ستلومني مرة أخرى لتفاهتي.

قال "جين إي آن" متنهداً:

- أنتِ تافهة.

حملقت الأميرة "تشون مي" فيه بغضب وخزي. مد يديه لها ولكنها دفعته بعيداً. مد يديه لها مرة أخرى وأبعدتها مرة أخرى.

قالت وعينيها مستديرتين:

- أليست الفتيات التافهات مثيرات للاشمئزاز؟

قال "جين إي آن":

- أنا أكرهك فعلاً حينما تكونين تافهة. أنت متقلبة المزاج وكذلك خطيبة أخي الأكبر. وأنا حقاً لا أعلم كيف أبقى على علاقة بك أكثر من ذلك.

ابيضَّ وجه الأميرة "تشون مي" ونهضت فجأة وتوجهت نحو الباب.

لم يعلم "جين إي آن" ما الذي كان يفعله، مد يده كي يوقفها، جذبها نحوه، فقدت توازنها وسقطت بين ذراعيه.

شعر باضطراب بالغ، لم يستطع "جين إي آن" أن يعثر على الأربطة الموجودة مع ثياب الأميرة "تشون مي" ومزَّق قطعة من ملابسها الداخلية.

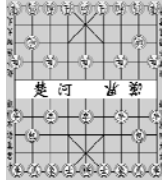
صاحت. كان جسد "جين إي آن" يرتعش بأكمله وكأن هناك نهر بداخله فجّر الخزانات والسدود وأدى إلى حدوث فيضان... بينما كان يفترس جسد الأميرة "تشون مي"، تذكر فجأة "جين إي لين".

قال لنفسه:

- مصيرك العقاب في أحد الأيام.

في اليوم التالي قبل أن يستيقظ الخدم، حزم "جين إي آن" بعضًا من أمتعته وهرب من البيت. كان الجو باردًا وغائمًا. انتظر لوقت طويل حتى استطاع تأجير عربة. سافر في يوم ونصف في العربة، وأمضي نصف يوم آخر في صعود الجبال. حينما وصل في النهاية عند معبد "لي سو"، تنفس الصعداء. أخذ يتجول هناك، ورأى الشمس الغاربة عمودية في الاتجاه الغربي مثل رداء متألق.

عالم البشر الكبير! أغرقت عينا "جين إي آن" بالدموع.



كان السيد "شوي شين" نحيفاً ولكنه رجل عجوز لطيف. كان يرتدي زي كاهن ناصع البياض نظيفاً، ويضع ورقة على المنضدة بعد تناول الغداء كل يوم، ويذاكر ويعلم على كتيبات الشطرنج، مثل الجمبري برأسه وجسده الملتويان. وعلى الرغم من أن "جين إي آن" كانت نفسيته سيئة، لم يستطع أن يمنع نفسه من الابتسامة حينما رأى ذلك المنظر. قد كان ظل في المعبد قرابة شهر ولكنه لم يلعب الشطرنج من قبل مع السيد "شوي شين".

شعر "جين إي آن" بنفاد صبر، كان يسأل السيد "شوي شين" عدة مرات عن موعد المباراة بينهما فيجيبه دائماً بابتسامة قائلاً: "يمكننا أن ننتظر".

كان كل شيء في السيد "شوي شين" ينم عن كبر سنه باستثناء عينيه اللتان توحيان بأنهما عيني شاب حيث كانتا بارزتين وحادتين ومليئتين بالحيوية. شعر "جين إي آن" أن السيد رآه في لمحة بصر فقط.

في فناء معبد "لي سو"، كانت هناك شجرة نادرة جداً من زهرة الكركديه الصينية التي يُقال أن عمرها أكثر من ثلاثمائة عام. رغم أنها كانت تزهر، كان "جين إي آن" يعتقد - في ذلك الوقت في الغسق - أن رؤية الزهور الحمراء تتساقط مثل قطرات الدم في ذلك الوقت في فصل الصيف شيئاً كثيراً للغاية.

وصلت أنباء اشتعال الحرب إلى معبد "لي سو" بعد وقت طويل.

مرت فترة أخرى كبيرة قبل أن يظهر الحرس ذو الزي الأسود فجأة القادمين من القصر الإمبراطوري في معبد "لي سو" وكأنها قوات أتت من السماء.

تبعهم "جين إي آن"، لم يخبره أحد كيف عثروا عليه أو أي شيء عن الحرب. كان الحرس حذرين تمامًا في كلامهم.

لاحقًا، بدأ "جين إي آن" يسمع بعض التفاصيل.

بالنسبة للحرب القادمة، كان مفوض المراقبة "جين إي لين" أول ممثل في حلفاء الحرب وأصعبهم. كان بإمكان "جين إي آن" أن يرى في خياله تأثير أخيه الكبير حينما كان يقاتل بشجاعة، ومذللًا كل العقبات برمحه وسيفه، وكان عليه زيارة العديد من الموظفين الرسميين والعساكر فيزيدهم حماسًا شديدًا بكلامه.

أخذ ينهال على موظفي البلاط والعساكر بالأسئلة كالصواريخ وكأنه يحاول أن يقرر من يختار من بينهم من يملك الشجاعة لبدء القتال قائلاً:

- هناك سؤالان لا يمكن أن نتجاهلهم: لماذا نحارب؟ وما هو أكثر كارثية من الهزيمة؟

فالهزيمة ليست بشيء يستحق أن نخجل منه، الهزيمة من دون معركة هي العار الأكبر.

زعم أنه سيضحي من أجل الشعب ويعين نفسه ضابطًا وليس مفوض مراقبة.

أدهش سلوكه العديد من الناس: لماذا يُعرض نفسه لعواقب وخيمة وقد أصبح الأمير الجديد؟

كي يُرضي الملك؟ ذلك ما كان يخمنه الناس.

بينما كان "جين إي لين" يقوم بكل ما في وسعه ليحافظ على الوحدة الوطنية للشعب، كان الأمير يتصرف بطريقة غير عادية، كان وجهه أبيض كالشمع ورأسه تتلفت يمينا ويسارا نحو "جين إي لين" وكأنه يحاول أن يمسك بكل كلمة يقولها زوج أخته المستقبلي مثل الحمامة التي تلتقط طعامها. وبعدئذ دُهِش بشدة حينما طلب من الملك لاحقاً بأن يأذن له بالإشراف على المعركة وأن يكون في مقدمة صفوفها ويرفع المعنويات.

سمع "جين إي آن" أيضاً في تلك الفترة أن منزل عائلة "جين" بدأ يتوافد عليه الكثير من الناس والعربات والجياد. اجتمع هناك كل السياسيين وكانت أصواتهم العالية غالباً ما تصل إلى خارج البيت بفعل الرياح.

كان الأمير يأتي إلى بيت عائلة "جين" كل ليلة تقريباً، واتجه العديد من الموظفين الرسميين إلى دعم "جين إي لين" على حسابه. أخبره رئيس الخدم أن الموظفين والعساكر يترددون دائماً بهذه العيون المتحمسة والمناقشات المهمة لدرجة أنه شعر بأن ما هو على وشك الحدوث ليس حرباً فقط ولكنه احتفال كبير غير مسبوق.

استمر ازدياد الوفود، وأقنع حلفاء الحرب في النهاية الملك بأن يقاتل ضد غزو مملكة "تشينج"، ومُنح "جين إي لين" لقب مفوض القيادة العسكرية. ظل "جين إي آن" يسمع المزيد عن "جين إي لين" ومدى شجاعته وعظمته من مختلف آراء الناس المتحمسين.

سمع "جين إي آن" أيضاً أن قرابة نصف الجند كانوا معينين جدد، واتبعوا القوات الرسمية في المقدمة قبل أن يتعلموا خلال نصف شهر استخدام الأسلحة مثلما يستخدمون أدوات الزراعة.

21

انتهت الحرب بالهزيمة، وبشكل أكثر مأساوية من المتوقع. بعد مهرجان منتصف الخريف بفترة قصيرة، نُقل "جين إي لين" عائداً إلى "سيول" في جزيرة "جيانج خوا".

عندما عاد "جين إي آن" إلى المنزل مع الحرس ذي الزي الأسود، أُخبر بأن الرجل المغطى بالقماش الأبيض على المحفة هو "جين إي لين". اتجهت كل الأنظار نحوه، كانوا ينتظرون رد فعله. امتلك "جين إي آن" الشجاعة الكافية ورفع القماش الأبيض. هدأت الأصوات، بعدئذ منهم من صرخ، ومنهم من أمسكوا ببعضهم البعض، ومنهم من اختل وتقيأ، ومنهم من فرّ. وقف الحرس ذو الزي الأسود فقط كما اعتادوا دون أي تعبير على وجوههم.

لم تعد هناك أي ملامح لجثة "جين إي لين". بعبارة أخرى، صارت الجثة محروقة تماماً.

كان "جين إي آن" يأمل حينئذ لو بإمكانه أن يصرخ أو يتقيأ أو يمسك بشخص آخر أو يفر من المنظر ببساطة مثلما فعل الآخرون. رغم أن جسده كان يرتعش بالكامل، بدا واضحاً له بشكل أكبر أنه لا يمكنه الفرار وأن من واجبه البقاء هنا.

رغم أن مظهر "جين إي لين" لم يعد كما كان، لم يتغير شخصه حتى الموت. أنذرتهم جثته الراقدة أمامهم بأن الحرب والموت صارا فجأة على مقربة منهم قادمًا من على بعد، وصارا أمرًا حقيقيًا وكبيرًا. سمع "جين إي آن" الصياح والتنهدات مثل المطر الذي يسقط من حوله. بقي هناك مثل الرهينة، لم يأتي الأمير مع جثة "جين إي لين" حيث احتجز في "إي جوان" في "شن يانج" مع بعض الأعضاء الآخرين من حاشيته. وفي كل فترة من ثلاثة إلى خمسة أيام، يتم إرسال مبعوثين لزيارة الأمير ويعودون برسالة مقلقة. بدأت الأمور تضطرب بشدة في القصر الإمبراطوري، قبلت الإمبراطورة كل الشروط التي اقترحها حكام مملكة "تشينج" بالتفاوض السلمي بإطلاق سراح الأمير بأسرع ما يمكن. كما عينت قريبها المستشار الجديد. وفي اليوم الثاني من تعيينه، أتى إلى بيت عائلة "جين" لتقديم التعازي لأخ المتوفي وهو يرتدي زيه الرسمي الجديد.

22

كانت زيارة رئيس الوزراء الجديد إلى بيت عائلة "جين" قد أعادت الوفود إليه مرة أخرى بعد عدة أيام من الصمت الذي حل عليه. تدفق الناس إلى مكان العزاء لتقديم التعازي، كانوا جميعًا يبدو عليهم إمارات الاحترام والرزانة على العكس تمامًا مما كانوا يبدوه من عاطفة وحماسة متقدة قبل الحرب. ما عدا مجموعة ممن كانوا يرتدون الملابس الحريرية الرسمية، بدت الغرفة هادئة تمامًا لدرجة يمكن سماع رنة الإبرة على الأرض. أخذ الناس يواسون "جين إي آن" قائلين: "تعازينا لخسارتك الكبيرة".

كان "جين إي آن" ينحني لهم متذكراً تعبير وجه "جين إي لين" في عزاء والديهما، وتعجب من أنه يبدو متواضعاً ومهذباً مثل أخيه الأكبر حينئذ رغم أنه كان واثقاً تماماً من إخلاصه التام له، ويرد عليهم قائلاً: "شكراً!". مع ذلك، ما يزال غير قادر تماماً على أن يتطبع بطباعه الحالية لأنه كان غير قادر على أن يصدق أن ذلك الجسد المحروق من نار المدفع هو "جين إي لين".

ها هو "جين إي لين" بمهاراته القتالية، مغطى بكفن، مثل سيف قيّم أعيد إلى صندوقه، بعث ذلك المنظر على قلة من الناس بالسكينة حيث كانت مشاعر الحزن التي يظهرونها بسبب موته ربما لم تكن صادقة تماماً.

كرم الملك "جين إي لين" بعد وفاته اعترافاً بتضحيته من أجل البلاد. جاء أيضاً موظفي البلاط الذين لم يأتوا إلى بيت عائلة "جين" من قبل لتقديم تعازيهم.

بعد شهر من الحداد، دُفنت جثة "جين إي لين" في اليوم المحدد. بُنى قبره وراء قبور والديه، كان قبره أكبر حجماً وفخامة عن قبور والديه لاختلاف مكانتهما في المناصب. بعد الجنازة، جلس "جين إي آن" وحده في المقابر التي كانت مصممة على شكل مثلث مستقيم، قبرين أمام كل قبر. رغم أنه أخذ يفكر ملياً، لم يعد يستطيع التفكير في المكان الصحيح لقبره في المستقبل.

حل الظلام قبل عودته إلى بيته، بدا البيت مظلماً مثل وحش عملاق يتنفس. تجول "جين إي آن" في الراهب الشرقي من الفناء مروراً بالردهة الخشبية. عندما نظر هناك نحو المكتب من النافذة المفتوحة، بعث المنظر على الفور برعشات باردة في جسده: أليس الشخص الذي كان يشرب الشاي هنا والذي كان مغطى بكفن أبيض هو "جين إي لين"؟

ضغط على نفسه عدة مرات قبل أن يفتح الباب المنزلق بيديه المرتعشتين، مندهشاً، فلم يعد هناك أحد. شاهد مجموعة من نبات الأقحوان الأبيض الذي

فما تَمَامًا بأزهاره الكبيرة في أواخر الخريف. اتجه إليها وقطف بعضًا منها ووضعها تحت أنفه. لكنه لم يشم أي رائحة، ولا حتي أي نوع من اللذع مثل لذع نبات البعيثان الصيني. أخذ زهور الأقحوان إلى غرفته ووضعها في فَاذَة. ثم أشعل بعض القطع من البخور الصينية وذهب للنوم. حينما نهض بعد وقت طويل واقترب من مكان البخور المحترقة، استنشقها بشدة، ولكنه لم يستطع أن يشم أي شيء. وفي تلك اللحظة، أدرك أنه فقد حاسة الشم.

23

أخذ الأمراء يمتطون جيادهم الكبيرة ويتواصلون دائمًا مع الموظفين المدنيين والعساكر. استقبل "جين إي آن" أيضًا اثنين منهما. كان كلاهما وسيما ومتواضعا وحذرا، وكان كلاهما شاعرا بالقلق من أن طموحاتهما صارت مؤجلة ويخشيان من أن مخططاتهم صارت غير واضحة الملامح.

أراد "جين إي آن" أن يسألها عن الأميرة "تشون مي"، ولكنه كان يمنع الكلام من أن يخرج من فمه عدة مرات. لا بد أنها تمر بوقت صعب قد تزوجت اثنين ماتا في فترة قصيرة. تذكرها وهي تقف في الردهة الخشبية وهي تراقبه وهو يغادر "باي لي" في المرة الأولى وهو منهبر تقريبا بالقصر الكبير ذي الأسطح التي تشبه الأجنحة.

رغم أن الملك كان ما يزال على قيد الحياة، صار ضعيفا ونحيلا لدرجة أنه لم يعد قادرا على إدارة البلاط. اهتمت الملكة بشؤون البلاط من وراء الستار دون أن يعلم أحد، كانت تعبيرات وجه الأمراء تتم عن مكر بينما أخذ الموظفون والعساكر يفكرون في القلق البالغ الذي يشعرون به ومخاوفهم.

بعد مهرجان منتصف الخريف بفترة قصيرة، عين "جين إي آن" فجأة في منصب مفوض المراقبة. حينما انحنى كي يشكر الملك على ما أسبغه عليه، سمع همسات تزداد من حوله مثل الأمواج. حوله. وبينما كان يتسلم الختم الرسمي وقبعة ورداء وحذاء، كان قلبه مسرورًا جدًا، ماذا يعني الزي الرسمي الأحمر المائل إلى البنفسج غير أنه رسالة مضمونها دعوة من الأميرة "تشون مي"؟

في الليلة نفسها، أقام رئيس الوزراء مأدبة للموظفين الرسميين الذين تم تعيينهم للتو وتحملوا كامل المسؤولية على عاتقهم. لكنه خلال الحفل، دخل رئيس الوزراء في أحاديث ودية معهم بدلًا من الحديث بشأن شؤون الدولة مفصّلًا عن نيته في إقامة تحالف أولًا قبل أي أمور أخرى، وحينما تم ذكر اسم "جين إي آن"، تنهد قائلاً:

- إنه حقًا شخص مهم.

رغم أنه شعر بالاضطراب من كلمات رئيس الوزراء الكبير فإن "جين إي آن" أومأ برأسه بالموافقة.

أوقف الحصان على الطريق الأزرق الصخري. كان الليل قد حل حينما عاد مرة أخرى إلى بيت عائلة "جين". أخذ "جين إي آن" يشرب بعضًا من الخمر وشعر بدوار. كان الحديث الذي تبادله مع رئيس الوزراء على طاولة العشاء بدا أنه تحول في ضوء القمر وانعكس على الأرض، وهناك جملة واحدة ترددت في ذهنه وهي: "إنه حقًا شخص مهم".

حينما خرج "جين إي آن" من عربته بمساعدة أيدي كبير الخدم الذي كان ينتظره عند بوابة بيت عائلة "جين"، لم يسعه إلا أن يسأله:

- لماذا يداك باردتان هكذا؟

همس كبير الخدم في أذنيه:

- هناك ضيف مهم.

صُدّم "جين إي آن" واستفاق من سكره. نظر حوله، رأى بالفعل عربة متوقفة عند السور.
قال كبير الخدم وهو يسير في المقدمة:

- في القسم الشرقي في الفناء.

سار "جين إي آن" وراء كبير الخدم بخطى متسارعة، شعر بطاقة داخله تزداد وتملأه مثل الألعاب النارية عندما تنفجر.

بدا كبير الخدم عاقلاً بالشكل الكافي كي يتوقف بالقرب من بوابة القسم الشرقي، وقال:

- سأنتظر أوامرك هنا.

أوماً "كيم بي-اهن"، وراقبه وهو يلتفت كي يغادر، ثم جرى نحو الغرفة التي كانت
مضاءة ونادى:

- الأميرة "شون-مي"...

كان الأمير يجلس في المكتب. وقد سبق له خبرة في الحرب، صار وجهه بني اللون، وهو ما
أضفى عليه بعض العاطفة التي كانت معدومة عنده. عندما سمع صوت "كيم بي-اهن"،
تلفت حوله، ونظر للشخص الواقف أمامه من رأسه إلى أصابع قدميه، وفي النهاية، سدد
نظراته نحو زي "كيم بي-اهن" الرسمي الجديد.

لم يتحرك "كيم بي-اهن"، حيث أن زيه الأحمر الممزوج بالبفسجي كان يحيطه مثل
مجموعة من ألسنة اللهب.

خاتمة

1



كنت دومًا فتاة مسترجلة. فبدلًا من الثثرة مثل الفتيات الأخريات في المواقف الصعبة، كنت ألبأ إلى تسديد اللكمات مثل الصبية. ما زلت أتذكر جيدًا مشادتين تعرضت لهما في فترة طفولتي. كانت الأولى مع فتاة من الجيران وأخيها الأصغر والذي كان مسلحًا بالعصا وفُرش مسح الأرضية، اندفعا كلاهما نحوي كما يفعل الجند في الأفلام مع الأعداء. تقهقرت إلى الخلف. وفجأة، شعرت باليأس لاصطدامي بالجدار الصخري من خلفي، وأدركت أنه لا يوجد أي مكان أتقهقر إليه. كانت تلك أسوأ مرة شعرت فيها بالخوف في فترة طفولتي كلها. في تلك اللحظة اليائسة، أمسكت عمودًا حاملًا لقفتين ووجهته إليهما، ونتيجة لذلك ركلت دلوين مياه فارغين. لم يخف الأخوان من أنهما قد ضُربا بقدر ما خافا من نظرائي في ذلك الوقت. ومع ذلك فانتصاري عليهما لم يجعلني أشعر بالفرح مطلقًا. حينما سرت بعيدًا عنهما في ذلك اليوم، شعرت بذلك النوع من الراحة التي تنتاب المرء بعد فراره من كارثة مؤكدة.

كان العراك الآخر مع فتى في فصلي حينما كنت في الصف الخامس. تحدثنا بحدة في المرة الأولى، كان ذلك يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة. حينما اندفع نحوي من علي بُعد عشرة طاولات، تخيلت نفسي متوحشة، أواجه هجمة مميتة

من وحش جارح. كان السبب الذي جعله يغضب مني هو أنني أثرت ببلبله بأن والده على علاقة غير شرعية بسيده أخرى، وكنتيجة لذلك لم يشأ زوجها بأن يقتل والده بالفعل بل ضربه 17 ضربة بالسكين. كان ذلك أيضاً أمر مسيء وموجع للفتى ولم يسعه أن يجلب له العار. كنت قد أسأت إلى سمعته لأنه أساء هو بدوره إلى أولاً وأطلق عليّ لقب "جاو لي".

وللسبب نفسه، لوّحت مهددة بحامل القفتين لأضايق الفتاة وأخيها عند الجيران.

"جاو لي!"

حينما كنت فتاة، كرهت هذين المقطعين كثيراً ولم أحتمل أي شخص ينطقهما في وجهي، كان ذلك وكأن شخصاً ما قد بصق علانية في وجهي. اعتاد أبي وأمي أن يقلقا بشأني بسبب عراكي مع الأطفال الآخرين كما لو كنت صبي مشاغب. رغم أنني لم أكن أبداً قوية البنية، كان يمكنني أن أضرب أطفالاً أقوى مني وأرسلهم ليشكوا إلى أبي وأمي من الضربات والكدمات التي أصبتهم بها.

في ذلك الوقت لم أكلّف نفسي عناء فهم المعنى الحقيقي لمقطعي كلمة "جاو لي". كل ما علمته هو أن تلك الكلمة "جاو لي" تطلق كنوع من اللوم عليّ بسبب ذلك النوع من الاختلاف بيني وبين الأطفال الآخرين. فالناس دوماً ما يضيفون هذه الكلمة في نهاية وصفهم لي، وحتى الأسوأ من ذلك أنهم لا يطلقوا سوى تلك الكلمة فقط عليّ.

طفلة "جاو لي!"

كان العديد من البالغين أيضاً يطلقون عليّ الكلمة نفسها. كانت عيونهم الفضولية تتجه نحوي كما لو أن لديّ شيء ما سحري أو غامض. كنت أعتبر نظراتهم المتطفلة لي أسوأ من لو أن أحدهم رفع ملابسي في مكان عام.

كانت تُطلق هذه الكلمة أيضًا على أبي وأمي وشقيقاتي وأشقائي. مع ذلك، لم يبدُ أنهم مهتمون بشدة بهذا الأمر مثلي. كانوا يكتفون في العديد من المرات بهزة واحدة بكتفيهم كي يبعدوا هذه الكلمة عن تفكيرهم.

كان لدي رداءان من الحرير. لدى كل منهما جزء علوي قصير يصل فقط إلى أسفل الصدر، جبهة طويلة جدًا حتى الرُكبة، وحزام مربوط من الأمام على شكل دائرة. في السبعينيات، كانت هذه الملابس في الصين مواكبة للموضة. ومع ذلك كنت أرى ألوانهم، التي تتسم بالحيوية، على أنها ألوان الخطر والشر لأن ارتداء هذه الملابس كان يعني لي بأنني مميزة وقد أكون هدفًا لنظرات وأحاديث الناس. من الخطر أن أكون مختلفة عن الآخرين. بعدها بعدة سنوات، بدأت أحب الزي الرسمي مثل النساء الأخريات والتي لم تُغطِ الجزء السفلي فقط بل كانت تضيف شيء من الغموض إلى شخصياتنا.

كان القماش الصيفي الذي يرتديه الكوريون مصنوعًا من الكتان الناعم. ورغم أنه معروف باسم "القماش الصيفي" فإنه كان يُحاك في واقع الأمر في فصل الخريف حينما تزهر قصبه نبات الصفصاف كليًا أو في فصل الشتاء حينما يبدأ تساقط رقاقت الثلج في الهواء. كان لتلك الفصول تأثير على كل خيط كتان في القماش فهي تعطىها لمسة من البرودة ولونًا أبيض نقي، ولذا ففي فصل الصيف التالي حينما تتجه فتاه جميلة قُرب الردهة الخشبية وهي ترتدي قميصًا قصيرًا وجبهة عريضة مصنوعة من القماش الصيفي، فإن الشعور بالحرارة يقل كالمند والجزر.

كانت الملابس المصنوعة من القماش الصيفي الجميل تتلطح وتنكمش بعد ارتدائها بيوم واحد، وكانت تُنظف وتُوضع النشا فيها وتُكوى في اليوم نفسه لتبقى نظيفة ومكوية جيدًا.

كما نرى أبطال وبطلات الأفلام الرومانسية وهم يمرون بعدة مراحل تبدأ بالحب وتنتهي بالكراهية، أكتشف نفسي وقعت فجأة في حب أشياء عدة ترتبط بتلك الجماعة العرقية كلما كبرت.

لم أعلم كيف يحدث هذا التغير، ربما بالإمام الأكثر بالقماش الصيفي الناعم. ومع ذلك، فجأة، أرى أشياء خفية تحت ما أبغضه، أكثر جمالاً، ذلك ما يدهشني كثيراً، ولذا يبدو كل شيء أكثر إبهاراً.

خوفي من العزلة الذي كان ينتابني حينما كنت فتاة صغيرة ظهر الآن بشكل آخر بعد أن بلغت، مثل استمتاعني الخفي باكتشافي أنني أملك أشياء أو بالأحرى كنوزاً لا يحق للآخرين سلبها مني.

2

غالبًا ما يُشار إلى الكوريات من الأقلية الكورية بالصين بشيءٍ من التعاطف، فقد كان عليهن أن يُجِدْنَ أمور البيت والأمور التي تتعلق بالزراعة والمحاصيل في الحقل. في فصل الربيع، وجب عليهن أن يزرعن حبوب الأرز في حقول الأرز الثلجية، ويحملن على ظهورهن الأطفال الذين لا يتلقون الرعاية الكافية من الآخرين، وفي فصل الخريف، يحصدن محصول الأرز وهن يرتدين قبعات من القش. كما يقمن بأفضل ما لديهن كي ينتظرن أزواجهن وأبناءهن في الأسرة، ولكنهن لا يحق لهن حتى الجلوس على مائدة العشاء معهم. عليهن أن يتحملن آلام الولادة ومخاطر شرب الكثير من الكحوليات والوقاحة والعنف اللفظي والجسدي من الرجال.

تشترك كل ربوات البيوت في شيء واحد: يحاولن جميعاً أن يفعلن كل ما بوسعهن ليتأكدن من أن بناتهن غير المتزوجات يكبرن بسعادة في جو من الاسترخاء والراحة. فبالنسبة إلى الشابات، يعتبر يوم زفافهن نهاية أول إجازة في حياتهن.

بينما كنت في المدرسة الثانوية، حدث أن اشتركت في غرفة مع مهندسة متوسطة العمر من القومية الكورية. كان زوجها يهتم بها طوال الوقت. بدا نحيفاً وبشرته داكنة، لكن ملامح وجهه كانت غير واضحة. عندما يتسم يبدو لطيفاً بعض الشيء. كان لديهم زملاء في الجامعة ولذا سارت بداية علاقتهم وزواجهما على نحو طبيعي مثل تخرجهما. كان يشرب الكثير من الكحول وقد يضرب زوجته عندما يسكر. في إحدى المرات جرها من السرير المُدْفئ على الأرض وكسر ضلعين لها. بقيت بالمستشفى في ذلك الوقت لفترة بسبب مرضها المزمن ولفترة أخرى بسبب العنف الذي تعرضت له.

حينما علمت بذلك، كرهت الرجل جداً وكرهت حقاً أنه رجل متعلم. ولكن حينما راقبت المهندسة، اكتشفت أن موقفها من زوجها بدا عادياً تماماً دون أدنى لمحة من الكراهية أو الضيق. بدت نظرات وجهها هادئة تماماً حينما يطعمها زوجها أو يعطيها ماء دون أي سبب آخر، استنتجت أنها لا بد أن اتسمت بهدوء بالغ حينما كان يضربها زوجها.

كانت زوجة ابن عمي أيضاً تبدو جميلة جداً ونحيفة وبشرتها بيضاء مثل الخزف ولها ابتسامة رقيقة. في إحدى المرات نمنا في الغرفة نفسها وأخبرتني بشكل عابر بعد أن أغلقنا النور أنها منذ عدة أيام حملت 6 أطنان كاملة من الفحم للشتاء إلى مكان تخزينه بنفسها، بينما كان زوجها غارقاً في الكحوليات مع أصدقائه طوال ذلك الوقت!

سته أطنان من الفحم للشتاء؟ لم أجد ما أقوله للتعبير عن صدمتي مما تقوله وبالكاد أستطيع أن أصدق أن هاتين الكتفين الرقيقتين بجواري قادرتان على حمل تلك الحمولة التي تبلغ ستة أطنان دون أن تصاب بأذى.

لا فرق بين كل أسباب السعادة، ولكن أسباب التعاسة تختلف فيما بينها. وهما أنني قابلت الكثير والكثير من الناس، أدركت أن السمة المميزة لنساء قومية كوريا هو موقفهن من الحياة وقدرتهن على تحمل المعاناة.

لا يريد رجال أقلية كوريا أن يكونوا متواجدين مع النساء في المطبخ أو يسكنون بقطع قماش بالية أو مقشات في أيديهم، ولا تتركهن زوجاتهم يفعلن هذا، فهن يؤمن بأن الرجل وُلد كي يكون شخصًا عظيمًا، أما التفاهات اليومية مثل العمل في المطحنة فإنها ستقلل من سماتهم الجميلة وتجعلهم غير قادرين على القيام بالأشياء النبيلة حينما تواجههم أمور تتعلق بمستقبل البلد ومستقبلهم.

ذلك السعي إلى المجد يعطي دعمًا معنويًا قويًا لنساء أقلية كوريا اللاتي جعلن عملهن الشاق نوعًا من المبادئ أو الأخلاق. كان العديد من الرجال كسالى بسبب النساء قبل أن يغرقوا في سكر الخمر.

من المعروف أن النساء في قومية كوريا الصينية يعملن أغلب الوقت، ولكن أغلبهن سعداء بطبيعتهن. فهن يرغبن في أن يظهرن بشكل جميل، ويجربن كل شيء يُظهر جمالهن الساحر من وجهة نظرهن. ففي "يان بيان" مثلاً، ترغب النساء هناك دائماً في استخدام المنتجات الأكثر مبيعاً. وحتى السيدات الكبار في السن لسن أقل اهتماماً بملابسهن الملونة عن نظيراتهن الأصغر سناً، لأنهن يعتقدن أن الملابس ومستحضرات التجميل تجعلهن يحافظن على مظهرهن الجميل.

غالبًا ما أتناول الطعام في إحدى المطاعم بالقرب من منزلي، وهو مطعم يقدم أطباقاً كورية. وحدث أنني تعرفت على صاحبتة شيئاً فشيئاً لأن ذوقها في الملابس كان دائماً ما يدهش الزبائن. وغالبًا ما تترك الآخرين، خاصة النساء اللاتي في الأربعينات من عمرهن، يخمن عمرها. يحاول الجميع بالطبع إرضاءها بأنها تبدو في الخمسينات من عمرها رغم أنها تبلغ الستين. ولكنها لم تكن ترضى عن ردودهن، وقد تشعر حتي بالغضب حينما لم تحصل على الرد الذي تريده، وقد ترد أحياناً والعبوس يبدو على وجهها أنها في الأربعينات من

العمر أي في عمرهم نفسه. لم أفهم تمامًا لماذا يرون أن سيدة مثلها، لديها رغبة قوية في أن تبدو جذابة، كبيرة في السن، حتى التقيت بزوجها واكتشفت أنها في الستينات من عمرها بالفعل رغم أنها أصرت بعناد أن تُرجع عمرها إلى الأربعينات. لم يوقفها أي شيء عن خداعها لنفسها، لا التجاعيد، ولا بطاقتها الشخصية، ولا زوجها الذي وصل إلى سن الشيخوخة، ولا حتى عمر أبنائها وبناتها، رأيت الأمر نفسه مع "مارجريت دوراس"، سيدة فرنسية قبلت أن تقيم علاقة رومانسية مع "يان أندريا ستينز"، شاب أصغر منها سنًا في أواخر العشرينات من عمره، وهي في السادسة والستين من عمرها، وقد ألّفت رواية بعنوان "الحبيب" في السادسة والثمانين من عمرها.

3

على النقيض تمامًا من النساء، فإن أغلب رجال قومية كوريا يتحلون بالهدوء، وبالطبع تتحول هذه السمة لديهم تمامًا بعد أن يشربوا الخمر.

كان والدي واحدًا من هؤلاء الصينيين الذي ينتمون للعرق الكوري النادرين الذين يكرهون الخمر. ولكن حينما يحل الزوار في بيتنا، فإنه يكرمهم بتقديم الكثير من الخمر مبدئيًا ابتسامًا متسامحة عندما يستمع إلى هذيانهم بفعل السكر. ونظرًا لأن أبي لا يشرب الكحوليات ولا يسكر، فإنه بذلك بالطبع محروم من اختلاق الحجج لضرب زوجته. لديه وقت فراغ أكثر من رجال الأقلية الكورية الآخرين، يقضي وقت فراغه هذا في الغناء.

خسر والدي الكثير من فرص العمر في شبابه، وذلك يعني أن غناؤه ظل دائمًا هوايته كهوا. ولكن سواء كان محترفًا أم لا، فإن والدي وكثيرين آخرين ممن التقيت بهم لاحقًا مثل رجل يمكنه القيام بتمارين سحب البار بشكل

عشوائى بطاولة الخمر أو سيدة تصرخ من المطبخ، يمكنهم أن يقلدوا المغنيين المحترفين. وفي مثل تلك العروض الارتجالية فإن أفضل ما يمكن أن يصاحب المغني شخص يقوم ببعض التصفيق على مغرفة مقلوبة في حوض مليء بالمياه أو بعض الضربات على حافة الاطباق وأكواب الخمر بعصي الطعام.

كانت الأغاني الكورية الفلكلورية ذا نبرة عالية جدًا ولا يمكن أن يغنيها أصحاب الأصوات غير القوية. كما كانت أيضًا ذا طابع غنائي خاص، وعلى من يغنيها أن يكون لبقًا بشكل ما وله حضور. عادة ما يخلط الناس بين أبناء أقلية كوريا بالصين واليابانيين ويعتبرونهم متشابهين في عدة أشياء، ولكن أغاني تلك المجموعات العرقية تروي لنا قصة مختلفة. فلو قارن أحد مثلًا الأغنيات الكورية بالكحول، فيمكن مقارنة الأغنيات اليابانية الفلكلورية بالشاي الفاتر. وأشهر الأغنيات "التاي" تتميز بها أقلية كوريا هي "آلي لانج"، وتوجد منها عدة نسخ في كل مكان تقريبًا لكنها تختلف من مكانٍ إلى آخر. وهي أغنيات حول وداع الأحبة، ولكنها ذو إيقاع حيوي، على عكس الأغنية الصينية الفلكلورية "رحيل إلى الغرب" فهي أغنية حزينة تعبر عن أحزان الفراق.

وكذلك تروي أغنية "البان سلي" الكورية قصة بنوع من الترنيم والغناء تشبه الأوبرا الصينية التقليدية. ويمكن أن تُؤدى من خلال مغنية تمسك بمروحة وعازف طبلية في مكان واسع. وبالمقارنة نجد أن الأوبرا الصينية أكثر تعقيدًا وتألقًا.

هناك فيلم من جمهورية كوريا يُدعى "شي بيان تشي" عبارة عن قصة تدور حول مغنيين "البان سلي". هناك مدرستان أساسيتان لغناء "البان سلي" اسمهما "دونج بيان تشي" و"شي بيان تشي". تُعرف مدرسة "شي بيان تشي" بأنها بارعة ومأساوية بينما تُعرف المدرسة الأخرى بأنها تدرس غناء ذا حضور مفعم بالعواطف الجياشة. يقدم فيلم "شي بيان تشي" وصفًا لفتاة صارت مغنية "بان سلي" كبيرة. كان والدها لا يريد لها أن تهرب فوضع السم في دوائها حينما كانت

مريضة وأصبحت بالعمى. ومع ذلك تقدمت الفتاة وتحدث الكثير من الصعاب فأتقنت الألحان ودرست مبادئ غناء "البان سلي".

فازت تلك القصة التراجيدية بالعديد من الجوائز في مهرجانات الأفلام العالمية، ولكني أعتقد أنها قصة عادية. قد تنطبق قصتها على ظروف أي دولة من الدول الشرقية تمنع غناء "البان سلي" فيها، لكن أكثر ما شدني في هذه القصة هو أنها بدأت مسيرتها الغنائية مبكرًا وقد دعاها رجل ثري كي تغني في إحدى الحفلات التي يقيمها بمنزله. بينما افتتن الرجال بمظهرها أكثر من أدائها، لم تحس بالغزل ولم يهتمها سوي الغناء. يوضح ذلك جيدًا موقف أبناء أقلية كوريا من الغناء.

أما رقصات الأقلية الكورية فمن المفترض أنها أصعب رقصة عرقية في الصين. فهو عبارة عن مجرد حركات برفع الأيدي والأذرع والمشي على أطراف الأصابع، فلا يمكن أن يكون الرقص الكوري أبسط من هذا، ومع ذلك فإنه دخل سباق التحدي مؤخرًا لبساطته مذكّرًا بمقولة "لاو تزي" بأنه ذو مظهر رائع لكن غير ملفت. ويقال أن رقص قومية كوريا متأثر برقصات "الكرين" أو رقصة البجعة، وأهم شيء في هذه الرقصة هي حركات الأكتاف.

تعد رقصة بيت الزهور مهمة جدًا في رقص قومية كوريا ويمثل أيضًا جوهر الرقص الفلكلوري. نجد مثلًا "خوانج تشي إي" وهي مغنية وشاعرة بيت زهور مشهورة ورمز أسطوري للقرن السادس عشر، كانت تقترب من مكانة العلماء والفنانين وموظفي البلاط الملكي في عصرها. بسبب أسلوبها غير التقليدي وشخصيتها المستقلة نالت إعجاب الكثير من الرجال. كان هناك راهب بوذي شهير يُدعى "تشي تزو" يمارس البوذية في إحدى المعابد لعدة سنوات. وقد كسر أسس البوذية حينما أتت "خوانج تشي إي" عنده وادعت بأنها راهبة بوذية وطرقت بابه مرتدية عباءة الرهبان في إحدى الليالي ورقصت من أجله في غرفة نومه. رغم أنهما بقيا سوياً لوقتٍ قصيرٍ جدًا فإن قصة حبهما تناقلتها

الأجيال. وسميت الرقصة التي أدتها "خوانج تشي إي" في تلك الليلة بـ"سج وو" أو "رقصة الكاهنة" والتي أصبحت فيما بعد نموذجًا لرقصة بيت الزهور.

4

مثل العديد من الجماعات العرقية الأقلية، يحافظ أهل قومية كوريا على العديد من تقاليدهم الفريدة نظرًا لقلة عددهم. ففيما يتعلق بالطعام، يحبون التوابل وأيضًا "الكمثشي" والأطباق الباردة، كما يصنعون شوربة فول الصويا الثقيلة ولا يقدمون أكلات مقلية. يعتبر الباربيكيو الكوري من الأطباق الرئيسية في اللحوم، ولكن في فصل الشتاء يتناولون أيضًا شوربة اللحم والخضار ويطلقون عليها "شن شيانلو". وبما أنهم في أغلب الوقت يأكلون لحم الكلاب، فإن اسم هذا الطبق يُذكر في المثل الصيني الذي يقول: "عندما يشم المرء رائحة لحم الكلب، فلا يمكن حتى لطبق الشن شيان أن يقاومها".

بدت صورة الكوريين غير جيدة في نظر المجموعات العرقية الأخرى بسبب حبهم للحم الكلاب. هناك فصيلة من الكلاب تعرف باسم "تشنداو" في جزيرة "تشن" جنوب شرق شبه جزيرة كوريا، تتحلّى هذه الفصيلة بالمهارة والشجاعة والوفاء لأصحابهم. كذلك لا تنتقي هذه الفصيلة أنواعًا معينة من الطعام ويأكلون غالبًا البقايا. بما أن أغلب الناس في تلك الجزيرة فقراء، تفر كلاب "تشن" من البيوت لتبحث عن طعامها بنفسها فتأكل الضفادع والجراد وحتى طائر الذيال. هناك موقفان يوضحان مدى تعلق هذه الكلاب بأصحابها وبيوتها. منذ ثلاثين عامًا حينما كانت "تشن" مجرد جزيرة محاطة بمياه البحر، قطع كلب "تشن" قد بيع لقوات متواجدة بالقرب من خط عرض 38 شمال مسافة أكثر من 450 كيلو مترًا ليعود لبيته. كان هناك كلب آخر بيع إلى "دا

تيان" أي بما يبعد 260 كيلو مترًا عن بيته، وعاد لأصحابه أيضًا في عام 1993. ولذا يقارن بعض الناس أهل القومية الكورية بهذا النوع من الكلاب "تشن" فهي صغيرة الجسم ولكنها شجاعة ومثابرة وتحافظ على حياتها.

وقد ورثت ثقافة قومية كوريا تعاليم "الكونفوشيوسية" من الصين، توجد لوحات "كونفوشيوس" في كل الأكاديميات والمدارس القديمة. وأغلب البيوت التقليدية مبنية على شكل الحروف الصينية المرسومة مثل: 日 (تعني الشمس) و 月 (تعني القمر) و 口 (تعني الفم) و 回 (تعني العودة) و 用 (تعني الاستخدام).

عادة ما يهتم الكوريون بشدة بالنظافة ويغرمون باللون الأبيض. فعادة ما تتنوع فساتين الزفاف عندهم بين اللونين الأبيض والوردي الفاتح لترمز للطهارة. إضافة إلى ذلك اختارت كوريا زهرة الكركديه البيضاء لتكون الرمز القومي لها لأنه لأنه برغم صغر حجم زهورها الرائعة فإنها ستزهر صباحًا وتذبل وتتساقط في فترة العصر فتُذكر الناس بألا يتجاهلوا وقتهم. وفي أحد العصور عند تمثيل أي بلد عالميًا، دائمًا ما يتم تسليط الضوء بشكل أكبر على الهوية القومية للشعب الكوري، وخاصة تلك المبادئ التي تبنوها لأكثر من ألف عام مثل البساطة والتسامح واحترام الكبير والعطف على الصغير والاستمتاع بالحياة من خلال الأغاني والرقص، وكلها مبادئ تبنهاها الناس من جميع أنحاء العالم مؤخرًا.



الفهرس:

5	أسطورة "جاو لي"
23	بان سلي
33	صاحبة بيت المتعة (الغانية)
47	حكاية مدينة صغيرة
58	الحب الذي لم أصادفه أبدًا
82	وشاح أحمر فوق الأرجوحة
94	رقصة الكاهنة
115	افتتاحية
130	اللغز
147	الحشائش النامية (عندما يحل الربيع)
210	الخاتمة

صدر في سلسلة #كتب_مختلفة:

1. أرامل الخميس كلاوديا بينيرو الأرجنتين
2. كلي لك كلاوديا بينيرو الأرجنتين
3. مشروع زوجة جرايم سيمسيون أستراليا
4. الثلاثة سارة لوتز إنجلترا
5. شركة الحب المحدودة أندريه سنار ماجنسون أيسلندا
6. احترس من جوعي لوتشانا كاستيلينا إيطاليا
7. الحب لم يعد مناسباً ميلا فينتوريني إيطاليا
8. سارق الجثث باتريسيا ميلو البرازيل
9. السيمفونية البيضاء أدريانا ليسبوا البرازيل
10. مقبرة البنانو جوزيه لويس بايشوتو البرتغال
11. صانع الملائكة شتيفان بريجش بلجيكا
12. مغاوفي السبعة سلافيدين أفيدتش البوسنة
13. جامع الكتب جوستابو فابرون باترياو بيرو
14. أبسنت أيفر تونش تركيا
15. خطايا الأبرياء برهان سوغاز تركيا
16. أحلام محطمة بيولانت سينوكاك تركيا
17. ارحل قبل أن أنهار تونا كيرميثشي تركيا
18. امرأة صديقي تونا كيرميثشي تركيا
19. الصلوات تبقى واحدة تونا كيرميثشي تركيا
20. مينتا سوملاز كاموران تركيا
21. ديستينا ماين كيركانات تركيا
22. نساء اسطنبول مجموعة قصصية تركيا
23. توباز هاكان جنيد تركيا
24. لون الغواية هاندي ألتايي تركيا
25. الشيطان امرأة هاندي ألتايي تركيا
26. ديتوكس سوزانا بربنتسوكا التشيك
27. حدث في كراكوف بيترا هولوفا التشيك
28. كل هذا ملكي أنا بيترا هولوفا التشيك
29. سراق طائر البطريق إميل هاكل التشيك
30. كافكا فرانز كافكا التشيك

المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
امراة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
ربيع البربر	يوناكس لوشر	سويسرا
بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
النجمة حمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
رقصة الكاهنة	جين رينشوين	الصين
المغفل	إريك نويوف	فرنسا
المجاعة البيضاء	آكي أوليكاتين	فنلندا
النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
القصاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
إلنيج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
صيف بارد جدًا	روي ياكوبسن	النرويج
جوي سيديبوت	تومي فريينيجا	هولندا
العشاء	هيرمان كوخ	هولندا

كتب عامة مترجمة:

هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتير	ألمانيا
الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
الصراع الطبقي في أفريقيا	ليو زيليج	أمريكا
الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
أوروباينا	باتريك أورشادنيك	التشيك
الثورة التشيكية	مجموعة مؤلفين	التشيك
ذكريات الصين	تشين يو	الصين
جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
الجري	ثور جوتاس	النرويج
عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا



لم يدرك متى بدأت تدق على الطبل الذي لديه على شكل سمكة خشبية، تردد صوت ذلك الدق في ذهنه، أثار ذلك لديه مشاعر مختلفة، وغمرته حالة من السلام الداخلي التي وصل إليها بعد سنين من التربية الذاتية. شعر بداخله بعواصف تجتاح جسده وعصفت بأشياء بداخله لم يشعر بها منذ سنوات، كما عصفت بكل حالات التأمل التي قام بها، وأمحت تقاليد "السوترا" من ذهنه مثل مياه المطر الذي يبلل ثوبها ويتبخر بالحرارة. كان جسدها ملموساً أمام عينيه، كان جسدها حيّاً أمامه لدرجة لا تصدق: بدت عيناها اللامعتان تدب فيهما الروح مثل ضوء الشمعة، كانت العبادة حمراء وكأنها نار تتوهج على جسدها. أراد أن يدفعها بعيداً عنه، ولكنه أراد أيضاً أن يلمسها. وحينما لمست يده العبادة، بدا وكأنهما يدخلان إلى فخ الشيطان في تلك اللحظة ولم يعدا يديه اللتان اعتاد عليهما.

جين رن شون

كاتبة صينية مواليد عام ١٩٧٠، تمثل جيل الشباب في الأدب الصيني، وتشتهر بالكتابة في موضوعات الحب والعاطفة التي تعبر عنها بأسلوب خاص ومختلف أصبحت تشتهر به، وهي تنتمي لقومية كوريا العرقية الصينية، وتعيش في مدينة "تشانجتشوين"، عاصمة مقاطعة "جيلين" بشمال شرق الصين. حازت روايتها "تشون شيانغ"،



ومجموعاتها القصصية "زهرة الخوخ"، و"مدينة النخيل"، و"رقصة الكاهنة"، والعديد من الأعمال الأخرى على العديد من الجوائز المحلية، ومن ضمنها جائزة "الحصان الأسود" لأدب الأقليات الصينية وهي الجائزة الأعلى لكتاب الأقليات العرقية في الصين، وجائزة "جوانج جونج وين" الأدبية للكتاب الواعدين، وجائزة "مجموعة الصين للنشر"، وجائزة "لين جين لان" للقصة القصيرة، وجائزة مجلة "المئة وردة" الأدبية. وبالإضافة إلى هذه الإنجازات، كتبت سيناريوهات أفلام "الشيء الأخضر"، و"المحترم الهارب"، و"كي لونج". ترجمت أعمالها ونشرت باللغات الإنجليزية، واليابانية، والكورية، والألمانية.

